رواية

«سالينا - الشجرة المحرمة»

اسم الكتاب : سالينا – الشجرة المحرمة
تأليف : رامي تادرس
تصميم الغلاف :محمد حاتم خليل
تصحيح لغوي : سلمى نزيه
رقم الإيداع : ٥٨٩٥ / ٢٠١٨

ZERO ONE PICTURES
Production solutions that make sense

زيرو وان بيكتشيرز للتوزيع – شارع أحمد فخري – مدينة نصر – القاهرة
تليفون : 01285829109- 01090288777

«زيرو وان» للنشر و التوزيع

E.mail: Zeroonepictures@outlook.com

Zeronepictures.com

website: www.zeronepictures.com

© جميعُ الحقوق محفوظة، وأى اقتباس أو إعادة طبع أو نشر فى أى صورة كانت ورقية أو الكترونية أو بأية وسيلة سمعية أو بصرية دون إذن كتابى من الناشر؛ يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعّبر بالضرورة عن رأي الدار.

Salina
(The Forbidden Tree)

سالينا
(الشجرة المحرمة)

تأليف
رامي تادرس

"حكايات ما قبل الحكاية"

كان القرن التاسع عشر في تاريخ مصر من أكثر المراحل التي شهدت أحداث و تغيرات على مستويات كثيرة ، فقد كانت الإمبراطورية العثمانية تسيطر على مصر منذ القرن السادس عشر، لكن بعد قيام الحملة الفرنسية على مصر، أرسلت الإمبراطورية العثمانية محمد علي عام ١٨٠١م إلى مصر لمقاومتهم ، و الذي نجح في ذلك بالفعل ، و نصب نفسه خديوي على مصر.

تميزت فترة حكمه بإزدهار بعد فترة ركود الحكم العثماني ، حيث شهدت مصر إصلاحات إدارية و عسكرية و زراعية ، وظهور صناعات جديدة ، بالإضافة للتجارة التي إنتعشت مرة أخرى و التي أدت لظهور جاليات أجنبية كثيرة في مصر، لعل أشهرها هي الجالية اليونانية التي بدأت نشاطها في أربعينيات القرن التاسع عشر، لتنتشر بعدها لأكثر من أثنين و ثلاثين جالية في مختلف أقاليم مصر.

و على جانب آخر و بالرغم من إستقرار المجتمع بشكل كبير ، استمر الإعتقاد في السحر بشكل عام بكل أشكاله التي تبدأ بالخرافات الواهية مروراً بالدجل و الشعوذة و وصولاً للممارسات التي تستخدم السحر بأشكال أكثر تعقيداً و غموضاً ، فقد كان السحر هو السلاح الذي يلجأ إليه الفقراء كلما زاد فقرهم و معاناتهم ، وكان السحر سلاحاً للأغنياء أيضاً كلما زادت ثرواتهم و صراعاتهم .

السحر طقس عمره من عمر البشرية حيث بدأ في العصر الحجري عندما استخدمته القبائل الصغيرة للحماية من الطبيعة الشرسة حيث كانوا يخلطون الرموز المنقوشة و التعاويذ مع بعض الحركات التعبيرية لمواجهة كل هذه المخاطر.

و لم يخلو أي عصر من السحر الذي تطور و تعددت أنواعه مع تعدد الثقافات و المعتقدات ، فمن الحضارة الفرعونية إلى البابلية إلى الإغريق إلى بلاد الهند و مروراً بالعصور الوسطى و حتى العصور الحديثة لم يتوقف السحر أبداً.

ارتبط السحر بممارسات لا حصر لها ، تكررت مجموعة من الأدوات المستخدمة في الكثير منها ، مثل الأحجار و النار و الماء و الدخان و الدم و الثوم و الدمى و العصى و الدبابيس و المرايا و الكثير من الأدوات على حسب طبيعة السحر المستخدم.

و لعل المرايا من الأدوات التي ارتبطت بقصص و أساطير متعددة عبر العصور و حول العالم ، فقد أعتقد الرومان قديماً أن الحياة تتجدد كل سبع سنوات ، و كسر المرايا في ذلك الوقت يتسبب في سبعة سنوات من التعاسة و الحظ السئ ، بينما أعتقد العبيد الأمريكيين الأوائل أن ذلك الحظ السئ سيختفي إذا غُمرت قطع المرايا المكسورة في مياه متدفقة لمدة سبع ساعات .

و في الحضارة اليونانية القديمة كانوا يربطون قطعة مرايا بخيط و تُخفض تدريجياً حتى تتلامس مع سطح المياه ، ثم يقوموا بالصلاة للآلهة ، و

من بعدها يتأملوا الإنعكاسات الناتجة من الماء و المرايا لقراءة المستقبل .

كذلك استخدم العرافين المرايات لتتبع شخص أو التلصص على مكان أو للتواصل مع أشخاص مفقودين أو أموات أو لقراءة المستقبل.

و في الثقافة اليهودية القديمة كانوا يغطون المرايات خلال فترة الحداد التي تستمر لمدة سبع أيام ، إعتقاداً أن روح الميت قد تضل الطريق و تحبس في واحدة من المرايات. و في الثقافة الكرواتية الصربية القديمة كانوا يضعون مرايا في تابوت الميت قبل دفنه حتى يمنعوا أي أرواح من الخروج خارج المقابر!

بينما في الحضارة الصينية القديمة كان الإعتقاد أن المرايات تُخيف الأرواح الشريرة ، خشية أن يروا أنفسهم في المرايات ، و كسر المرايات يوقف الحماية من تلك الأرواح .

و في ثقافات أخرى كان يصروا على تغطية المرايات ليلاً أثناء النوم إعتقاداً منهم أن روح الحالم الهائمة قد تُحاصر في أحد المرايات .

و الحقيقة أن القصص التي إرتبطت بالمرايات لا تنتهي سواء في الأساطير القديمة أو في التاريخ المعاصر، و بقيت بعض التساؤلات ..

لماذا ارتبطت المرايا بالأساطير و المعتقدات القديمة و سلسلة من الأحداث الغامضة عبر عصور طويلة و ثقافات مختلفة ؟

هل جاءت كل هذه القصص من فراغ ؟ و إذا لم تأتي كل هذه القصص من فراغ .. فما هي القوى التي قد تسكن المرايا ؟

"شجرة الخير و الشر"

كانت الوصية الإلهية لآدم و حواء ، أن يأكلا من ثمار جميع أشجار جنة عدن ماعدا شجرة واحدة هي شجرة معرفة الخير و الشر، و لكن يبدو أن الوصية لم تكن سهلة و لا بسيطة أبداً لأن آدم و حواء لم يستطعا تنفيذها و أكلا من الشجرة المحرمة التي أصبحت سبباً لخروجهما من الجنة.

و بغض النظر إذا كانت الوصية أمراً فشلا في إطاعته أم إختباراً لم يستطعا اجتيازه ، و إذا كان السبب هو فضول آدم و حواء أم إغواء إبليس لهما ، فقد بقيت حقيقة أهم و هي إن كلا من الشجرة و إبليس كانا موجودين حتى على أرض جنة عدن مثلهما مثل آدم و حواء.

و على مدار آلاف السنوات لم تصبح شجرة معرفة الخير و الشر هي الشجرة الوحيدة المحرمة ، فبعد خروج آدم و حواء من الجنة زرع أبنائهم في الأرض مئات الأشجار منها المرئي و الغير مرئي ، و تخطت أشكالها شكل الشجرة ، فأصبح منها ما يبدو مثل كتاب أو خاتم أو دمية أو رداء أو مرآة و مئات الأشكال الأخرى ، و تنوعت الأشجار المحرمة مثل شجرة معرفة الأمل و اليأس ، و شجرة الرضا و التمرد ، و شجرة القناعة و الطمع ، و شجرة التسامح و الإنتقام و غيرهم من الأشجار التي أصبحت ثمارها غذاءاً متجدداً لكل من أراد أن يأكل منها و لم يصبح إبليس وحده هو

المسئول عن إغواء البشر بل نافسه أبناء آدم و حواء في إغواء بعضهم البعض . . .

كانت ليلة مقمرة في زمن و مكان ما ، حيثما جلست الأميرة تتفحص بلا مبالاة كومة المجوهرات التي أتى بها الصائغ ، و بدت لها كل المجوهرات متشابهة مثلها مثل أضعافها التي تملكها ، نظرت للصائغ بغضب لأنه لم ينجح في إحضار ما يبهرها فأخرج علبة صغيرة ، وهو يبتسم بدهاء قائلاً أن بالعلبة خاتم ليس له مثيل ، و لكنه محظور على نساء الأرض لأنه يثير حقد و غيرة كل من يراه !

فبرقت عيناها ، جذبت العلبة من يده ، فتحتها لترى الخاتم الذي خطف أنفاسها ، ثم أحاطت إصبعها به .

و من هذه اللحظة شعرت إنها تملك ما لا يملكه أحد على الأرض ، وإستمتعت بنظرات الإنبهار و الغيرة في عيون كل النساء اللاتي رأين الخاتم ، واستمر الحال حتى ذلك اليوم التي شعرت فيه الأميرة بخفو بريق خاتمها عندما رأت نساءاً أخريات يرتدين خواتم جميلة تخطف إنتباه من يراها ، فجن جنونها و صرخت آمره بقطع أصابع كل النساء الموجودة .

و عاد خاتمها ليومض من جديد بعد أن سقطت كل الخواتم من أصابع النساء، و ذات يوم رأت خاتماً جديداً يفوق كل الخواتم التي رأتها جمالاً حتى خاتمها الذي ظهر شاحباً بجانب الخاتم الجديد ، حاولت خلعه لتضع مكانه الخاتم الجديد و لكنه لم يتحرك من إصبعها رغم محاولاتها ، فوضعت الخاتم الجديد في إصبع آخر و هي غير راضية على بقاء الخاتم

القديم ، قامت من نومها في تلك الليلة وهي تصرخ من الألم الذي إلتهم أصابعها التي تحولت إلى اللون الأزرق ، نزعت كل خواتمها ماعدا ذلك الخاتم الذي طبق أنيابه حول أصبعها ، و نشر الألم في أنحاء يدها ، أفقدها الألم عقلها و جعلها تدفع بعيداً كل من حاول الإقتراب منها لمساعدتها . .

جلست تنظر لخاتمها الذي بدا كوحش يتحداها لأنها لم تكن وفية له . .

خطفت سكيناً كبيراً من على المائدة و نظرت للخاتم بعينين فقدا عقلهما ، وضعت يديها على المائدة و هي تضحك بجنون غير مبالية بتحدي الخاتم ، نزلت بالسكين على كفها لتفصله تماما عن ذراعها قبل أن تسقط .

نعم ، لم يعد إبليس وحده هو المسئول عن إغواء البشر بل نافسه أبناء آدم و حواء في إغواء بعضهم البعض ، لم تعد شجرة معرفة الخير و الشر هي الشجرة الوحيدة المحرمة ، لم تعد الشجرة مجرد شجرة بل أخذت أشكالاً عديدة .

∞

"سالينا . . بداية الحكاية"

كان القمر مكتملاً في تلك الليلة . . الهدوء سيطر على المكان و الكل نيام . . إلا هي . .

لم تستطع النوم أبداً، لم تكن المرة الأولى التي يهرب منها النوم ، لم تكن أيضاً المرة الأولى التي تتجاهل فيها النوم و لا تطارده ، كانت هناك أشياء أخرى تستهويها عندما يهرب منها النوم و بالأخص ذلك الدفتر الذي رقد مستكيناً بين يديها كطفل رضيع ينام مطمئناً بين يدي أمه ، فقد كان ذلك الدفترأغلى ما تملك ، كان أهم ما في الحياة ، لا بل كان هو الحياة ، بماضيها و حاضرها و أيضاً مستقبلها الغامض ، تنتظر صفحاته البيضاء حِبرها الأسود ليلوثها بعلامات لا تُمحى كما فعل ماضيها في صفحات دفترها القديم ، كان المخبأ الآمن بالرغم مما يحتويه من ذكريات حزينة و حكايات مخيفة، إلا إنه حمل أيضاً صور قديمة سعيدة تعلو فيها أصوات الضحكات التي رُسمت على وجوه جميلة إختفت من حياتها منذ سنوات عديدة و أصبح ذكراها حبيس الصفحات الأولى ، بينما لم تستطع البقاء معهم في تلك الصفحات و جرفها الحاضر لتنفصل عنهم و تسكن وحيدة في صفحات يشاركها فيها أشخاص آخرين لم تختارهم .

رغم الحزن الذي طغى على السعادة، و رغم الأسود الذي غطى على الأبيض ، و رغم الوجوه التي غابت و الوجوه التي بقيت ، ظل الدفتر

بما فيه بمثابة طفلها الوحيد الذي ينمو كلما كتبت سطراً جديداً على صفحاته.

مرت من أمام المرآة ، نادراً ما وقفت أمامها لتتجمل ، فهي خُلقت جميلة في كل حالاتها، تمتلك قوام شديد التناسق و بشرة ناعمة تخلو تماماً من أي شوائب و كأنها لا تنتمي لعالم البشر، و إنما جزء من لوحة رسام موهوب إستخدم فيها أنقى و أغلى ألوانه ، شعرها ذهبي لامع تنعكس عليه الأضواء مثلما تنعكس على البلور لتُبهِر من يراها ، يمتزج داخل عيناها ألوان الطبيعة مثلما تمتزج أشعة الشمس مع مياه البحر بشكل يأسر القلوب حين تراها.

وقفت تتطلع من النافذة المطلة على البحر الذي تلاطمت أمواجه مثلما تتلاطم الأفكار في رأسها ، جلست على المقعد تتصفح دفترها لعله يهدأ من القلق البالغ الذي سيطر عليها في تلك الليلة ، و للمرة الألف وجدت نفسها تقرأ صفحات تلك الرواية التي لم تختار لها بدايتها و لا شخصياتها ، لكنها وهبَت ما يقرب من عشر سنوات لرسم أحداثها و لن تقبل لها نهاية سوى النهاية التي ترضيها .

فتحت الصفحة الأولي و نظرت لسطورِها التي تكاد تكون محفورة في ذاكرِتها . .

إسمي سالينا عمري ثمان سنوات ، من اليونان ، لكنني عشت أغلب سنوات عمري في الأسكندرية حيث جئت منذ خمس سنوات مع أسرتي المكونة من أبي أندريا و أمي أولينا و شقيقين توأم أرتيموس

وأنتينوس يكبراني بعشر سنوات ، كانوا دائماً يدللونني ويلقبونني بالأميرة سالينا! .. و لم لا ؟!

فقد كنت الإبنة الوحيدة و الصغرى.

ورثت عن أمي الكثير من ملامحها ، كانت جميلة ، حنونة و رقيقة ، تقضي أغلب وقتها بالإعتناء بنا ، كانت تعزف بإتقان شديد على البيانو الموجود بمنزلنا ، تعلمني العزف ، و قراءة الأدب و الشعر.

رائحة الياسمين تملأ المكان داخله و خارجه ، فقد كانت أشجار الياسمين تظلل واجهة المنزل وتنافس برائحتها عطر الياسمين الذي تتعطر به أمي ليفوح من كل أركان المنزل.

كثيرا ما كررت لي أمي بصوتها الحنون تلك القصة قبل أن أنام : سالينا أنتِ قمرهذا البيت ، أنا و والدك لم نكن نتوقع مجيئك أبداً بعد أن رُزقنا بأشقائك الأكبر، كثيراً ما وقفت أتحدث إلى السماء و أطلب منها أن ترزقني بطفلة ، طالما سهرت اتأمل القمر بعد أن أصلي ، إلى أن أُستجيبت صلواتي و جئتي أنتِ في ليلة سطع فيها القمر كما لم يسطع من قبل، لهذا سميتك سالينا فهو من وحي إسم آلهة القمر عند اليونانيين القدامى ، فقد كانت جميلة جدا مثلك ، ولديها قوى ساحرة تستطيع بها التجول حاملة القمر بين يديها ، تخفيه و تظهره كما تشاء حسب ....

كنت عادة أنام عند هذه الجملة و لا أسمع باقي حكاية آلهة القمر اليونانية !

أتذكر أبي بوسامته و ملابسه الأنيقة التي إختارتها أمي له بعناية شديدة ، كان حريصاً أن يجلس معي بعد رجوعه إلى البيت ، كان هو الآخر دائما ما يردد لي : جمالك يا سالينا سيكون ميزة قد يملكها آخرين، لكن ذكائك سيكون سلاحاً تملكينه وحدك.

كانت أسرتنا مترابطة ، لم يكن لدينا الكثير من الأقارب في اليونان ، و لم يكن لأبي أشقاء ، أما والداه توفى منذ سنوات ، بينما توفت جدتي لأمي و هي صغيرة جداً ، و توفى والدها بعد زواجها بفترة قصيرة ، و لم يكن لديها سوى شقيق يعيش في بلد بعيد و باعدتهما الحياة مع مرور الوقت ، و لذلك كانا أبي و أمي شديدا التعلق ببعضهما ، فقد أرادا أن يكونا عائلة متماسكة تعوضهما عما حُرما منه.

لم يكن يقيم معنا سوى عم سلمان المسئول عن العناية بالحديقة و الخيول بالإضافة لحراسة المنزل ، وأيضا هدية التي كانت تعتبرها أمي بمثابة إبنة ثانية لها حيث كانت تكبرني بسنوات معدودة ، كانت تأتي لتساعد أمي في أعمال المنزل بالأخص بعد وفاة والدتها مما جعلها مسئولة عن أخوتها الصغار، و كانت بالنسبة لنا جميعا هدية بالفعل لأنها لم تتوانى أبداً عن مساعدتنا في المنزل بجانب رعاية أخوتها ، كانت تقضي نصف اليوم معنا و النصف الآخر في منزلها الذي لم يكن بعيداً عن منزلنا .

كان يومي مقسم بين دراستي في مدرستي التابعة للجالية اليونانية و بين القراءة التي كنت أعشقها حيث كان نادراً ما تترك الكتب يدي ، كنت كثيرة التأمل للطبيعة من حولي و شديدة الملاحظة لكل تصرفات الناس و حتى سلوك الحيوانات و الطيور.

كان هناك غراباً كبيراً قد جاء و إستقر على شجرة في الحديقة ، شجرتي المفضلة التي أحب دائماً أن أجلس جانبها ، في البداية كنت أتردد من الإقتراب نحوه بحكم تأثري بكل الأقاويل التي أسمعها عن الغربان طوال الوقت ، و لكن شيئاً في عيناه كان يشعرني بالألفة و الأمان و الطيبة !

نعم كان الغراب يشعرني بذلك !

بالأخص عندما رأيت كيف يتعامل مع زوجته ، وهما يبنيان عشهما معاً ، لا أعلم لماذا يكره الناس الغراب إلى هذا الحد؟

هل لأن صوته ليس جميلا؟ أم لأن لونه أسود؟

و هل هذه أسباب كافية لنبذ و معاقبة أي مخلوق على الأرض؟!

كنت أجلس بجانب الشجرة ، أزين أحد فساتيني ببعض الشرائط ، أتى ذلك الغراب و إلتقط أحد الأزرارالملونة بمنقاره و ذهب بها لعشه ، ثم عاد مرة أخرى فقبضت بيدي على كل ما كان بحوذتي ، تطلع نحوي و كأنه يطلب المزيد مما لدي ، فتحت يدي و إلتقطت شريطاً ملوناً ، مددت يدي به فمال منقاره ليتقطه ، وقف ينظر لي و الشريط يتدلى

من منقاره إلى أن قاطعنا صوت شهقة و ضربة على صدر قامت بهما هدية عندما رأتني مع الغراب فقالت : إحذري يا سالينا ! إبتعدي عن غراب البين !

ضحكت لبساطتها و عفويتها و أنا أجيبها : غراب البين؟! إنه طيب و مهذب جدا ! ضربت على صدرها مرة أخرى معلنة عن رفضها لما قلته : طيب و مهذب؟! يا ويلي ! لقد سموه غراب ! من الغربة و الإغتراب ! إنه نذير للشؤم و النكد ! وكما كانت أمي رحمها الله تقول إنه نذير .. ألم.. الموت.. يحفظنا الله ! ضحِكت مرة أخرى على خوفها الشديد من الغراب ثم أضفت بأداء مخيف : لقد قرأت إن كثير من البلدان يعتبروا الغربان أرواح للناس الذين ماتوا قتلى أو أرواح شريرة خرجت من أشخاص ممسوسة !

إستمرت هدية في الضرب على صدرها عدة مرات متلاحقة و هي تردد كلمات لتقيها من شر الغراب المسكين ! بينما دعوتها لتجلس جانبي فترددت ناظرة ناحية الغراب الذي وقف ملكاً على عشه بعد أن ترك شريطي الملون لزوجته حتى تنسقه بين طبقات العش على ذوقها لأن الغربان تفضل تزيين أعشاشها بالألوان الزاهية .

جلست هدية بجانبي و هي تنظر شزراً لذلك الغراب بينما وضعت أمامها كل الشرائط و الخيوط و الأزرار لننسقها على حسب الألوان و أنا أقول : هل تعلمين يا هدية إن هناك قصة تقول إن لون الغربان كان أبيض في سالف الزمان ؟ مالت برأسها غير مقتنعة فأضفت مبتسمة : لقد

قرأت أن في العصور القديمة كان الناس يعتمدون على صيد الجاموس لتوفيرغذائهم ، و كان أمراً صعباً جداً لعدم وجود أدوات للصيد حينئذ و ما زاده صعوبة أن الغربان كانوا أصدقاء للجاموس ، حيث كانوا يراقبون من فوق التل و يحذرون الجاموس إذا رأوا صيادين قادمين إلى أن سيطر الجوع على الناس لعدم قدرتهم على إصطياد الجاموس .

رمقت هدية الغراب و هو مستغرق في ترتيب عشه مع زوجته قائلة : لا يستطيع العيش بدون أن يأذي الناس .

حركت رأسي نفياً : على العكس فهو صديق وفي و مخلص . رمقتني بنظرتها العفوية مستنكرة كلامي، فأضفت : إجتمعت القبيلة لحل مشكلتهم و قرر كبيرهم إن عليهم أسر ذلك الغراب كبير الحجم الذي يتزعم سرب الغربان ، و يلقنونه درساً حتى يتعظ باقي الغربان .

حدقت هدية في و تجمدت أصابعها بينما أضفت : فقرر أحد الرجال أن يضع جلد جاموس على جسده ليخدع الغراب الكبير ، وإقترب من مكان الجاموس بينما كانوا الصيادين قادمين من خلفه ، أصدرت الغربان أصواتهم لتحذير الجاموس حتى يهربوا بعيدا إلا تلك الجاموسة التي وقفت مكانها ، طار إليها زعيم الغربان الأبيض الضخم ، وهو ينعق محذراً و لكنه كان الرجل المرتدي لجلد الجاموس ، أزاح الجلد من على ظهره ، و أمسك زعيم الغربان من قدميه و أسره .

ضربت هدية على صدرها من جديد ثم صفقت من فرط حماسها و أنا أقول : و بعد أن ربطوا قدميه بحبل في نهايته حجر، قررت القبيلة أن

تعاقبه بعد أن تسبب في مجاعتهم ، و بالفعل أشعلوا النار فيه ، و إنقطع الحبل الذي يربطه ، تحرر الغراب و لكن كان قد تأذى من النار كثيراً ، و من يومها تحول لونه من أبيض إلى أسود .

ظلت هدية محدقة فيّ تنتظر باقي القصة فقلت لها : ليس الغراب هو المسئول عن لونه ! و ليس الغراب هو المسئول عما يعتقده الناس عنه !

ظلت هدية تحدق فيّ و كأنها تحتاج إلى دهر كامل لفهم كلماتي حتى قاطعنا صوت أمي التي نادتنا لتناول الغداء.

كان بيتنا هادئ ، دافئ و مليئ بالخيرات ، فقد كان أبي تاجراً كبيراً بالأخص في تجارة التوت و الزيتون ، و كانت له أعمال في مصر، بدأت صغيرة بتصديرالزيتون إلى مصر إلى أن توسعت أعماله إلى زراعة التوت و الزيتون ، ثم تعرف على إثنين من كبار التجار من أصول عثمانية ، يزيد وقاسم ، تشارك معهما في مصنعين لإنتاج الزيوت و تصنيع الحرير الطبيعي .

كان يزيد يدير مصنع الحرير الطبيعي الموجود في القاهرة حيث كان يعيش هناك ، أما قاسم فكان يقيم في الأسكندرية و يدير مع أبي مصنع الزيوت ، حيث كان أبي دائم السفر بين اليونان و الأسكندرية .

قاسم و زوجته آلماس لم ينجبا رغم زواجهما لما يقترب من خمسة عشرعام ، و رغم إمكانية الزواج من أكثر من إمرأة ، لكن قاسم لم يتزوج أبداً من غيرها ، حيث قيل إن ثروته في الأصل ملكاً لآلماس التي كانت

تحبه بشكل جنوني ، كما كان يعشقها هو الآخر . آلماس إمرأة ممتلئة ، وجهها دائري ، دائمة التزين بمختلف الحلي ، ترتدي فساتين ثمينة لكنها مزركشة مليئة بالألوان و الورود و الزخارف ، كل فستان يبدو و كأنه عدة فساتين مجتمعة معاً ، كانت تعشق الكلام عن أي شئ و كل شئ ، كانت أحاديثها مزدحمة و مكدسة مثل فساتينها و صوتها عالي يتحول إلى صفير مزعج في أغلب الأحيان ، و ضحكاتها صاخبة ممتلئة بالسذاجة مثل ضحكات طفلة بلهاء . أما قاسم فكان ضخم الجسد ، له حاجبان كثيفان و شارب كبير، يبدو وجهه مخيفاً مثلما يبدو حارس القلعة في الأساطير التي أقرأها، و لكنه كان الرداء الذي يرتديه أمام الناس خارج المنزل ، إنما داخل المنزل فملامحه تفقد هيبتها ، فهو لا يقل سذاجة من زوجته ، بل ضحكاته تنافس ضحكات زوجته في البلاهة ، أما قراراته فتعتمد تماماً على توجيهاتها ، فقد كان هو الجسد و هي العقل و إن كان جسداً ثقيلاً عقله خاوياً.

داوما على زيارتنا ليس بدافع الوِد ، إنما بدافع الحفاظ على المصالح المشتركة ، و كانت زيارتهما بمثابة عقاب لي، حيث كانت آلماس شديدة التعلق بي بحكم حرمانها من الإنجاب ، كانت تداعبني بشكل مبالغ ، كنت أشعر بإنها تعصرني في كل حضن من أحضانها لي . .

كانت دائما تقول لأمي : ما رأيك أن أعطيكِ ثروتي في مقابل إبنتِك؟!

كانت أمي تنظر لها مبتسمة دون أنتجيب و تُرسل لي نظرات حنونة تصبرني على إحتمال مداعبة آلماس الثقيلة.

و في أحد المرات أضافت آلماس بنبرة حسد جهورة لم تستطع إخفاءها : كم أنتِ محظوظة يا أولينا تملكين كل شئ تتمناه أي إمرأة ، بيت جميل و زوج يعشقِك و ثلاثة أبناء ، شابين وسيمين و إبنة لم أرى بمثل جمالها .

إبتسمت لها أمي و هي مدركة كم تحسدها آلماس و لكنها كانت دائما تلتمس لها الأعذار و تتفهم إفتقادها لوجود ابناء في حياتها ، و في أحد المرات قالت آلماس لإمي إنها تجرب كل الطرق حتى تنجب و إنها تستخدم السحرة و العرافين لمساعدتها في ذلك ، و لم أكن أفهم بالكامل من هم السحرة و العرافين ، و لكنني شعرت بخطورتهم عندما رأيت وجه أمي يكسوه التوتر و هي تقول لآلماس : إحذري فبعض السحرة مجرد محتالين ، يستنذفون أموالك أما البعض الآخر لهم ممارسات مريبة ، و المخاطرة بالتعامل معهم ليست بالأمر الهيّن أبداً ، أتذكر في صغري كنت أسمع قصص و حكايات مخيفة عن ساحرة في قريتنا تسببت في موت عائلة بأكملها حيث كان يقال إنها تحالفت مع الشيطان .

نفضت أمي رأسها و كأنها لا تريد تذكر تلك القصة بينما بدت آلماس غير مبالية بنصيحة أمي ، فقد كان من الواضح إن هدفها الأبدي الذي سيطر على عقلها هو الإنجاب مهما كانت الوسيلة.

أما يزيد فلم يكن يزورنا إلا فيما ندر، حيث يعيش في القاهرة و زياراته دائماً بدافع العمل ، كان يزيد ذو بنية قوية ، ملامحه وسيمة مثل الأمراء لكن يصعب تحديد أي من إنفعالاته على عكس قاسم تماماً ، متزوج من

منصورة و هي من نفس عائلة آلماس و على نفس مستوى ثرائها ، ولكن فارق كبير بينهما لأن منصورة شخصيتها صارمة ، جميلة رغم الوجه الجامد و النظرات الحادة ، شعرها طويل محنّى باللون الأحمر الداكن ، أتذكر زياراتهما لنا ، نادراً ما لاحظت إبتسامة على وجهها ، كان حاجبها الأيمن المرفوع دائماً هو القاسم المشترك في أغلب تعبيراتها ، كنت أعرف أن لديهما أربع بنات ، لكنهما لم يحضرهن معهما أبداً، سمعت مرة أمي عندما كانت تحكي لأبي أن منصورة ترغب بإستماتة في إنجاب إبن ذكر ليرث ثرواتهم و يحمل إسم العائلة كما هو المعتاد في هذه العائلات.

الحقيقة برغم من إني كنت صغيرة حينئذ إلا إنني شعرت إن الأربعة يزيد و منصورة و قاسم و آلماس، كانوا جميعاً يحسدوننا رغم ثرائهم ، فقد كان واضحاً إنهم يفتقدون لأشياء نملكها نحن مثل السعادة التي تجمعنا و ضحكاتنا العفوية و إحساسنا بالرضا و الأمان ، بالإضافة للأبناء التي كانت مشكلة أساسية عند قاسم و آلماس ، كانت مشكلة يزيد و منصورة أيضاً الذان لم يكتفيا ببناتهم الأربعة و أرادا الإبن .

كانت حياتنا بشكل عام هادئة مستقرة ، لا أتذكر أبداً إني رأيت أي خلاف بين أبي و أمي ، بالعكس كان حب أبي لأمي في زيادة مستمرة ، و كانت أمي على إستعداد أن تضحي بكل شئ من أجله و أجلنا ، فلم تتمنى من الدنيا إلا سعادتنا.

أتذكر إنها قضت ثلاث أيام تبحث داخل المنزل و خارجه عن عُقد أهداه

لها والدي قبل زواجهما رغم إنه لم يكن عُقدا ثميناً أبداً و لكن المعنى الذي حمله هذا العُقد لم يقدر بثمن في نظرها.

كانا شقيقاي قد أتما تعليمهما ، و أراد أبي أن يساعداه في أعمالنا ، و كان قد أصطحبهما أكثر من مرة للإطلاع على جوانب العمل بدءاً من أعمال التصدير من اليونان و حتى مصنعي الزيوت و الحرير في الأسكندرية و القاهرة ، أتذكر يوم جلسنا جميعاً و سمعته يقول لأمي و أشقائي : أريد أن أطلعكم على كل حقوقنا في المصانع و نصيبنا من الأرباح ، و كيف تجري كل هذه الأمور، و بالأخص أنتما يقصد (أنتينوس و أرتيموس) لقد أصبحتما رجالا و أستطيع الآن الإعتماد عليكما ، و يجب أن أصارحكم جميعاً ، لقد لاحظت على مدار العام الأخير أن هناك تلاعب من يزيد وقاسم في حصيلة الأرباح ، و لا أفهم سبب تغيرهما المفاجئ رغم إن كل شئ كان على مايرام بيننا في الأعوام السابقة .

هزت أمي رأسها و قالت : ربما هو الطمع ، فالطمع مرض يفتك بالإنسان الذي لا يمكنه رؤية ما لديه من نعم و لا يعود ليرى سوى ما لدى غيره .

شبك أبي يديه أمام وجهه و قال بنبرة متحيرة : لا أعرف.. طوال العام الأخير كان نصيبي من الأرباح ضعيفاً جداً رغم حصتي الأكبر في كلا المصنعين و رواج تجارتنا ، و حاولت أكثر من مرة كشف التلاعب و لكن كان من الصعب أن أتابعهم بدقة و أنا أعمل بين اليونان و الأسكندرية و القاهرة وحدي ، لذلك سوف أدخلكما تدريجياً في تفاصيل العمل

، سوف تذهب يا أرتيموس للقاهرة لتتابع مصنع الحرير، و ستبقى أنت يا أنتينوس هنا في الأسكندرية لتتابع مصنع الزيوت، أما أنا سأكون بين القاهرة و الأسكندرية و طبعاً اليونان .

شردت أمي ثم أضافت بنبرة تحمل الكثير من القلق : ماذا لو شعر يزيد و قاسم إن وجودهما فقط لمراقبتهم ؟

صمت أبي للحظة ثم قال بحزم لشقيقاي: و لهذا يجب عليكما ألا تتورطا في أي مواجهة مع أي شخص حتى لو عرفتما أو رأيتما أي تلاعب ، تصرفا كأنكما موجودان لتتعلما لا لتراقبا ، تذكرا ألا يأخذكما الحماس ابداً ليوقعكما في أي مشاكل ، لأن يزيد و قاسم ليسا بالأشخاص السهل توقع إنفعالاتهم أبداً.

كنت أجلس معهم مشدوهة و أنا أتابع حوارهم ، كنت أفهم الكلام لكن لا أدرك أبعاده جيداً، كنت أشعر بتوتر أبي و قلق أمي و أن كنت لا أفهم أسبابه بالكامل .

نظرت لأبي قائلة بحماس حقيقي : ماذا عني يا أبي؟ أريد أن أساعدك في العمل أنا أيضاً .

إبتسموا جميعاً ، ثم نظر أبي لي بكل الحنان الموجود في العالم و قال : وجودك أمامي الآن يكفيني يا سالينا ، يكفي جمالك و ذكائك ، و لا يوجد لدي شك إنه سيأتي اليوم الذي ستساعدينا جميعاً فيه عندما تكبرين .

قفزت بين ذراعي أبي و أنا أشعر بكل الأمان الموجود على الأرض و أنا أسمع صوت ضحكاتهم التي طالما كان صداها في أذني أكثر عذوبة من صدى نغمات البيانو الموجود بمنزلنا.

بالفعل بدأ شقيقاي الإندماج في العمل ، و كان أبي يتابعهما بإستمرار، أنتيموس كان معنا في الأسكندرية و لم يستطع الوصول إلى أي دلائل على تلاعب في مصنع الزيوت الذي يديره قاسم و لم يتورط معه في أي مشاكل ، فقد كان حريصاً ألا يترك دلائل وراءه حيث كان مساعديه يسدوا أي طريق أمام انتيموس يكشف له أي تلاعب في الحسابات ، أما أرتيموس فسرعان ما لاحظ الكثير من التلاعب الفج في مصنع الحرير الذي يديره يزيد الذي لم يكن مبالياً أو قلقاً من وجود أخي أو كشف أي تلاعب ، و بالرغم من أن أبي قد طلب من أرتيموس الإنتظار حتى ينهي بعض الأعمال في اليونان لكن أرتيموس غلبه حماسه و غيرته على مصالح أبي و تورط في مواجهة مع يزيد كشف له فيها إنه يعلم بكل الحسابات المغلوطة و الصفقات الخاصة الذي يديرها لحسابه، مما أدي إلى مشاجرة كبيرة بينهما، هدد يزيد فيها أخي بالقتل و إنتهت بطرده له و عودته لنا مشتعلاً بالغضب بينما كانت أمي تحاول تهدئته لحين عودة أبي من السفر.

ليومين لم يتوقف صديقي الغراب عن النعيق و كأنه يحذر عن قدوم الصيادين كما كانت تقول القصة القديمة و كالعادة لم تشعر هدية بغرضه النبيل و إنما قالت و هي متجهمة : هذا الغراب سبب النكد و الهم الذي حل علينا و صراخه يجلب المزيد ! بينما كانت تتكلم رأينا

منصورة و الماس قادمتانحو منزلنا فعضت هدية على شفتيها و قالت : أتصدقينني الآن ؟!

جلستا كلاهما مع أمي التي طلبت من هدية أن ترافقني إلى غرفتي ، لكننا وقفناخلف الباب لأننا لم نستطع أن نترك أمي وحدها معهما ، فقد كان وجه منصورة أشد صرامة من المعتاد لدرجة أخافتني و حتى آلماس لم تبدو مثل عادتها أبداً و إنما كان وجهها يحمل نفس النظرة الصارمة التي وجدت الفرصة لتطفو على سطح وجهها أخيراً.

سمعت منصورة تقول لأمي بطريقتها المتعالية : بالطبع يا أولينا عرفتي ماذا فعله إبنك مع يزيد و كيف تعدى عليه بشكل لا يُغتفر أبداً .

صمتت أمي للحظة ثم أجابتها بنبرة هادئة : بالطبع لا يجوز له تعدي حدوده مع من هو أكبر منه...

رفعت منصورة رأسها و قاطعتها بطريقتها المتعالية قائلة : إذاً فعليه الإعتذار عما بدر منه .

هزت أمي رأسها و قالت بنفس النبرة الهادئة : لم أكمل كلامي.. لا يجوز للصغير تعدي حدوده مع من هو أكبر منه كما لا يجوز للكبير أن يتلاعب بحقوق شركائه و إلا لا يجب علينا لوم الصغار إذا كانوا لا يجدون من الكبار قدوة يُحتذى بها. شهقت آلماس مستنكرة كلام أمي و نظرت لمنصورة التي عقدت حاجبيها بغضب قائلة : كيف تجرؤين على قول ذلك عن يزيد بعد أن أعطاكم فرصة مشاركته و فتح لكم

أبواب لرزق لم تكونوا تحلمون به على أرضنا ؟!

حدقت أمي بها و هي مصدومة مما قالته منصورة فاجابتها بصوت مختنق : ماذا تقولين؟ أنتِ مخطئة تماماً و لا يوجد أي فضل علينا من أي إنسان قبل أو بعد مشاركتم ، و إنما عمل اندريا هو ...

قاطعتها الماس بصوت عالي مزعج : نعم لنا فضل عليكم و لولانا ما كنتم تعيشون في كل هذا النعيم !

لديكِ كل ما تحلم به أي إمرأة .. ماذا تريدين أكثر مما عندك؟! .. هل تريدين الإستحواذ على كل شئ؟! .. أتتطاولين علينا أنتِ و أبنائِك بدلا من أن تشكروننا ؟

قامت أمي من على مقعدها و عيونها مصدومة مما تسمعه أذانها قائلة : لن أسمح لكما بإهانتنا فليس لكما الحق أن...

أقتربت منها منصورة بحدة و دفعتها على المقعد مرة أخرى قائلة بنبرة مشتعلة بالتهديد : لن تسمحي لنا ؟ نصيحتي لكي أن تصمتي تماماً و أن تُخرسي أبنائك إذا كنتِ تريدين السلامة لهما .

شهقت أمي بفزع و صرخت قائلة : هل جئتما لتهدداني؟

رفعت منصورة حاجبها و وضعت يديها على خصرها و بدت مثل ساحرة الأساطير التي تسعى للقضاء على الأميرة و هي تقول بنبرة سيطرة : أنا لا أحتاج لتهديدكِ فبإمكاني فعل أي شئ أريده.

وقفت آلماس بجانب منصورة و قالت بنفس التعالي : إبعدي أبنائك عن أزواجنا و الأفضل ألا يتدخل زوجك بعد رجوعه و إلا ستندمون جميعاً.

رأيت عينا أمي ترتجفان من الخوف و الهلع لأول مرة في حياتي بينما إندفعت هدية ناحيتها ، و كأنها على إستعداد لأن تفديها بحياتها ، وجدت نفسي أركض لأبحث عن شقيقاي في المزرعة الصغيرة الموجودة خلف المنزل إلى أن وجدتهما و وقفت ألهث قائلة لهما : آل..آلماس ... و منصورة في المنزل..و أمي خائفة.

ركضا شقيقاي نحو المنزل في لحظة و ركضت خلفهما و دخلت المنزل و سمعت صوت أرتيموس يصرخ على آلماس و منصوره قائلاً : أجئتما لتهددونا في منزلنا ؟! أتسرقوننا ثم تأتون لتهديدنا ..؟!

جذبته أمي من يده ليقف بعيداً عنهما ، بينما تعالى صوت ضحكة ساخرة لمنصورة ثم وضعت أصبعها على جبهة أمي مشيرة لشقيقاي بيدها الأخرى و هي تقول بنفس نبرة التهديد الآمر : تذكري ما قلته لكِ إذا كنتي تريدين سلامتهما.

دفعت هدية يد منصورة بعيد عن أمي صارخة : إبعدي يدكِ عنها !

في لحظة كانت يد منصوره تصفع المسكينة هدية صفعة أسقطتها أرضاً و هي تقول : لم يبقى سوى خادمة جرباء مثلكِ !

إتجه أنتينوس لباب الغرفة صارخاً في آلماس و منصورة قائلاً :

أخرجـــــــــــا من هنـــــــــــا فوراً.

كنت أقف خارج الغرفة مصدومة و أنا أرى هذا المشهد الذي إختلط فيه خوف أمي ببكاء هدية و ثورة شقيقاي .

نظرت كلا من منصورة و آلماس لأمي و شقيقاي بإستهتار و لامبالاة و اتجهتا نحو باب المنزل، خرجت منصورة بحاجبها المرفوع و ملامح التعالي مرسومة على وجهها و تبعتها آلماس التي توقفت لحظة عندي ربتت على رأسي و هي تنظر لأمي بإستفزاز شديد مما جعل أمي تركض ناحيتي و تغمرني في صدرها ، وقتها سمعت صوت دقات قلب أمي تكاد تصرخ من داخلها ، و شعرت بخوف لم أشعر به أبداً من قبل ، خوف جعلني أكره كل لحظة رأيت فيها آلماس و منصورة و زوجيهما، خوف جعلني أتمنى أن يختفوا من هذا العالم حتى يطمئن قلب أمي الخائف و تهدأ صرخاته.

∞

"الإنفصال الملتصق"

عاد أبي من سفره و حاولت أمي أن تخفي عنه ما جرى في غيابه إلى أن يرتاح و لكن شقيقاي لم يستطعا الإنتظار وأخبراه ، لن أنسى وجهه عندما تحول للون الأحمر من فرط غضبه عندما أخبروه عن التهديد الذي تعرضنا له من منصوره و آلماس ، ضرب أبي بيده على الطاولة بإنفعال شديد و قال : هددوكوا؟! هنا في بيتنا؟! هل جنوا؟!

ربتت أمي برقة على كتفه و قالت: إهدأ أندريا.. كما ترى نحن بخير! لكنني لا أفهم لماذا يفعلون ذلك بنا !

قال أرتيموس : لأن الطمع سيطر عليهم و يظنون إن تهديدهم لنا سيخيفنا و سنتركهم ينهبون حقوقنا على الملأ .

نظر له أبي و قال بصرامة و حزم : لا! لو ظنوا ذلك للحظة فإنهم بالتأكيد لا يعلمون مع من يعبثون !

جلست أمي على المقعد المجاور لأبي ، وضعت يدها على رأسها و هزتها بحيرة شديدة : كيف يتحولون فجأة ضدنا بهذا الشكل؟! إلى الآن لا أستطيع أن أفهم سبب كل هذه الكراهية التي جاءت من العدم .

تدخل أنتينوس قائلاً : لا يا أمي فهي لم تأتي من العدم ، من الواضح

إنهم كانوا يحملون لنا كل هذه الكراهية منذ البداية و كانوا سيظهرونها آجلاً أو عاجلاً.

أومأ أبي برأسه موافقاً ثم نظر لأمي قائلاً : يبدو أن كلامه صحيحاً أولينا.. يبدو إن طمعهم و كراهيتهم لم تولد فجأة كما تظنين و إنما خرجت على السطح الآن بعدما كبرت أعمالنا و توسعت تجارتنا.

ثم نظر أبي لنا جميعاً قائلاً بحزم : و لكنهم تناسوا إن لنا النصيب الأكبر فيها.

كنت أجلس في ركن الغرفة أتابع حديثهم حول الطاولة و أنا أشعر بخوف لم أشعر به في حياتي من قبل ، كنت خائفة عليهم و غاضبة من أجلهم ، طوال سنوات عمري لم تدخل منزلنا مشاعر الغضب و الخوف و لم تحمل الوجوه ملامح القلق و الحزن، كنت خائفة على هذا المنزل الآمن من بطش هؤلاء الوحوش الكاسرة الذين جاءوا ليلتهموا سعادتنا.

قاطع أبي أفكاري بصوته الحنون الذي حاول أن يخفي قلقه و هو ينادي لي:

ســـــالينـــــا ...

نظرت له فابتسم لي إبتسامته المعهودة و فتح ذراعيه داعياً لي لأرتمي بينهم ، و كأنني كنت في إنتظار هذه اللحظة فلم أتردد و ركضت في لحظة لأغوص بين ذراعيه فربت هو على رأسي و قبّلها و سمعته و هو ينظر لأمي و شقيقاي قائلاً: سوف أذهب لمقابلة يزيد و قاسم.

سمعت أنفاس أمي القلقة قبل أن تقول له : و لكن.. ماذا ستفعل؟

مرر أبي أصابعه على رأسي مرة أخرى و هو يجيبها : سأعلمهما أن ما فعلوه خطأ لا يغتفر ، و أن شراكتنا لن تستمر بعد اليوم.

قال أنتينوس بحيرة : و لكن كيف سنفض شراكتنا و نأخذ كل حقوقنا ؟

أجابه أبي بحزم و إصرار: لا يوجد لدينا أو لديهم الكثير من الإختيارات، إما أن نشتري نصيبهم أو يشتروا نصيبنا .

قالت أمي : و هل لدينا ما يكفي لشراء نصيبهم؟ و ماذا لو عرضوا شراء نصيبنا؟

هز أبي رأسه وأجابها : رغم إن نصيبنا وحدنا يكاد يقترب من مجموع نصيبهما معاً ، لكننا لا نملك المال الكافي لشراءه منهم ، إلا إذا أخذا هما أحد المصنعين و أخذنا نحن المصنع الآخر، فذلك سيكون الحل الأمثل حتى لو خسرنا نحن بعض المال.

صمت للحظة و أخذ نفسه ليملأ به صدره الذي حملني عالياً ثم هبط مرة أخرى قبل أن يضيف : لن أعلم قبل أن أجلس معهما لأحسم الأمور، فشراكتنا ملتصقة لدرجة يصعب فصلها ، ولكن في هذه الحالة فإن الجراحة قد تكون الحل الوحيد للإنفصال ! نظر أرتيموس لأنتينوس ثم قال لأبي : سنأتي معك يا أبي.

هز أبي رأسه بالنفي قائلاً : لا.. الأفضل أن تبقيا هنا حتى أنتهي وحدي من التفاوض معهم.. قاطعته أمي بإعتراض : و لكن يا أندريا أخاف

عليك من التواجد وحدك معهما بعد كل ما حدث.

قال أبي بثقة : لا تخافِ فأنا أعرف كيف سأتعامل معهما و لكن وجود أبنائي معي قد يستفزهما أكثر.

و بالفعل ذهب أبي لمقابلتهما في اليوم التالي بينما شعرت أن الوقت يمر ببطئ علينا في المنزل ، فأمي تكاد أن تجن ذهاباً و إياباً تجاه الشرفة ، و شقيقاي كانا يجلسان أغلب الوقت خارج المنزل و كأن ذلك يشعرهما إنهما على إستعداد للإنضمام إلى أبي إذا إحتاجهما !

عاد أبي و على وجهه علامات الإنفعال و الغضب و حكى لنا إنه ذهب لمقابلة قاسم و لم يجد يزيد بالأسكندرية فقد عاد إلى القاهرة و أخبرنا عن حواره مع قاسم.

أبي : هل هذا جزاء العِشرة و الشراكة التي دامت بيننا لسنوات؟! أتسرقونني و ترسلون نساءكم لإرهاب أسرتي في غيابي؟!

قاسم : هذا هو جزاء من يتحدانا و يتجاوز حدوده معنا !

أبي : عما تتحدث؟! هل إنعكست الحقائق؟! أتتعدون علينا ثم تلومونا؟!

قاسم : أنت تعرف جيدا عما أتحدث ! لم يكفيك كل ما لديك و ترغب أنت و أبنائك بالإستيلاء على كل شئ !

أبي : هل جننت يا قاسم ؟! أتسرقوننا ثم تتهموننا نحن بالطمع؟! لقد

نفذ صبري ! أسمع جيداً و أخبر يزيد بإنني لن أستمر يوما واحداً في هذه الشراكة بعد أفعالكم المشينة ! و لا يوجد لديكما سوى أن أشتري نصيبكما أو تشتريا نصيبي .

قاسم : أنت تحلم فلن نسمح لك بهدم ما بنيناه لسنوات و لن نتخلى عن أي من المصنعين !

أبي : لا تتحداني يا قاسم و تذكر إنني تجاهلت سرقتكم لي طوال العام الماضي ، و تعدي يزيد على أبني ، و تهديد زوجاتكما لزوجتي في غيابي و في قلب منزلي !

قاسم : إفعل ما شئت !

أبي : إذن أنتم لم تتركوا لي سوى هذا الخيار، و تذكروا إن لدي كل ما يثبت حقوقي و نصيبي في المصانع و سألجأ للقضاء الذي سيعيد لي حقوقي و لن تجني أنت و يزيد سوى تلطيخ سمعتكما في البلاد!

إنتهي أبي من سرد حديثه مع قاسم و قد إكتسى وجهه بالإنفعال و الإرهاق بينما ضمته أمي لتواسيه و هي تقول له : لقد جنوا بالتأكيد!

وقفت أنظر إلى أبي و أمي و شقيقاي و قد تبدلت وجوههم بتلك الوجوه التي لم أعتاد أن آراها .. وجوه الغضب .. الإرهاق ..

الكآبة .. الحزن ..

تضاعف يومها شعوري الخوف عليهم و الغضب من أجلهم ، و تمنيت

لو كانت عندي تلك القدرات السحرية التي يملكها أبطال الأساطير التي أقرأها حتى أذهب لمن كانوا السبب و ألقنهم درسا لن ينسوه أو حتى أنفيهم إلى قلعة بعيدة يحرسها تنين ضخم لا يسمح لهم بالمغادرة أبدا و العودة مرة أخرى لعالمنا !

و بعد يومين كان أبي قد حسم أمره بالبدأ في إجراءات فض الشراكة مع قاسم و يزيد ، و لكن في هذا الصباح أتى أحد الموظفين ليخبرأبي إن قاسم و يزيد يطلبان مقابلته اليوم في منزل قاسم مما أثار شكوك أمي التي قالت لأبي : لماذا يريدان مقابلتك؟ . . هل ستذهب لهما؟

أجابها أبي بعد لحظة تفكير : ربما قد عادا إلى صوابهما و يريدان تسوية الأمور بشكل ودي . .

قالت أمي بنفس الشك : و لماذا لم يأتيا بنفسهما إذن؟!

هز أبي رأسه و قال : ربما لأنهما إستحيا مما فعلته زوجاتهما لكِ أو أرادا أن يتأكدا أولا إنني لا أمانع في مقابلتهما !

مسكت أمي بذراع أبي قائلة : إذن خذ أنتينوس و أرتيموس معك.

ربت أبي بكفه على يد أمي قائلاً : وجودهما قد يعقد الأمور، فحماس الشباب سيغلبهما إذا حدث أي خلاف ، دعيني أذهب وحدي لأستكشف عن نواياهم .

كنت كعادتي أقف أتابع حديثهم ، فأتى أبي و قبّلني و قبّل أمي ثم ذهب لمقابلتهم بينما وقفت أمي على باب المنزل تتطلع عليه حتى إختفى.

" إسألوا الشجرة "

مر الوقت ببطء شديد فاق المرة السابقة ، و لكن في هذه المرة لم تتحرك أمي بقلق في أركان المنزل ، بل جلست تنظر من الشرفة في إنتظار أبي ، و كعادة شقيقاي إنتظرا بالخارج بينما كنت أمسك أحد القصص التي أقرأها ، و أنا أجلس بجانب شجرتي التي يسكنها صديقي الغراب ، توطدت علاقتي به كثيرا لدرجة إنه صار يفهمني دون أن أتكلم !

و لأول مرة شعرت و كأنني لا أندمج فيما أقرأه فعقلي لم يستجيب للسطور التي أقرأها و إنما إنشغل بقلقي على أسرتي . و بعد ساعة طويلة ، نعق الغراب نعقة رقيقة بصوته المزعج معلناً عن رجوع أبي ، أسرعت أمي للذهاب لباب المنزل لإستقباله ، حيث جاء و قد رافقه شقيقاي للداخل ، إحتضنته أمي كأنها لم تراه منذ شهور طويلة.

جلسنا و قد بدت الراحة مرسومة على وجهه عكس المرة السابقة مما هدأ من قلقنا جميعا ، وجلسنا بإنتظار أن يحكي لنا عما حدث في لقاءه مع يزيد و قاسم.

أسند أبي ظهره على المقعد ، إجتمعنا حوله و عيوننا يكاد فضولها أن ينطق قبل ألسنتنا ، فأبتسم و قال : لقد ذهبت إلى منزل قاسم كما تعملون ، وجدته مع يزيد بانتظاري و هذا ما حدث . .

يزيد : أصحيح ما سمعته من قاسم يا أندريا ؟! أتريد الإنفصال عنا ؟!

أبي : أنا لا أريد الخوض مزيدا فيما حدث ، فأنت تعلم إن ما حدث لا يُغتفر و أنا متأكد إن قاسم قد حكى لك عن كل شئ . .

يزيد : يا أندريا إن الإخوة يتعاركون طوال الوقت ، و بالنهاية يتصالحون و نحن أخوة.

أبي: ما حدث تعدى لا يحدث بين الأخوة ، و قاسم أكد ذلك في كلامه معي .

قاسم : أعذرني يا أندريا لقد غلبني الشيطان ، و ما قلته لك لا يعبر أبداً عن مقصدي الحقيقي أبداً .

أبي : لأكون صريحاً معكما .. أنا لا أفهم سر تغيركما المفاجئ و لا أقتنع به فما زالت أفعالكم السابقة تحتاج إلى تفسير.

يزيد : كما أخبرك قاسم إن الشيطان قد تلاعب بنا بعد أن حاول بعد المنافسين لنا في السوق أن يفرقونا أن نجاحنا يزعجهم .

أبي : عن أي منافسين تتحدث ؟!

قاسم : لا يهم الآن يا أندريا ، عفا الله عما سلف ، و دعنا ننسى كل ما حدث.

يزيد : و تأكيداً عن حسن نوايانا ، فنحن على إستعداد أن ننفذ أي شئ تتطلبه حتى تشعر بالأمان معنا مرة أخرى !

أبي : أقدر محاولاتكما ، و لكنكما بحكم العشرة بيننا تعلمون إنني

صريح و لا أنافق ، و لهذا فأنا غير متأكد إذا كنت على إستعداد أن أنسى كل ما سبق .

قاسم : أترفض عرضنا لفتح صفحة جديدة ؟!

يزيد : أتركه يا قاسم فأنا أتفهم مقصده تماماً ، و هو معه حق فهو بحاجة لبعض الوقت حتى يفكر جيداً في الأمر ، و أنا أثق في قراراته الحكيمة التي ستصب كالعادة في المصلحة العامة.

قاسم : بالطبع ، و نحن لن نتعجل حتى تعطينا أي قرار.

يزيد : كما إننا ندين لك بالإعتذارعما بدرمنا في الفترة السابقة، أليس كذلك يا قاسم ؟!

قاسم : بالطبع .. بالطبع ..

أندريا : و أنا أقدرإعتذاركما.. إذاً إتركوني يومين حتى آخذ قراري الأخير الذي يجب أن تشاركني فيه زوجتي و أبنائي ....

إنتهى أبي من سرده للقاءه مع يزيد و قاسم و نظر لنا جميعاً حيث كنا ننظر له ، و كأننا في إنتظار المزيد إلى أن قطع هو ذلك الصمت بقوله : ما رأيكم فيما سمعتوه ؟

أجابته أمي و هي شاردة : ما رأيك أنت ؟

أجابها أبي مع بعض التردد : لا أعلم يا أولينا ! جزء مني يريد أن يصدقهما لأن في ذلك تجنب لمشاكل و خسارة قد تحدث نتيجة فض

الشراكة ، بينما جزء آخر يلح علي أن أتشبث بقرار الإنفصال بعد كل تجاوزاتهم ضدنا.

قالت أمي و هي ما زالت تفكر: أنا أميل لفكرة إنهم يريدون تجنب الخسارة ، و لذلك إعتذروا و قدموا عرضهم لتوفير كل ما يرضيك حتى تطمئن لهم مرة أخرى.

أومأ أبي برأسه و كأنه قد إقتنع برأيها ثم نظر لشقيقاي و قال : و أنتما؟ ما رأيكما؟!

نظرأرتيموس لأنتينوس ثم قال معترضاً : أنا لا أشعر بذلك ! و لا أصدق تحولهم المفاجئ بحجة تجنب الخسارة.

أضاف أنتينوس : و أنا أيضا يا أبي، فأفعالهم في الفترة السابقة كشفتهم على حقيقتهم.

قالت أمي بنبرتها الحكيمة : ربما لأنكما في سن الشباب يغلبكما الحماس لا ترون إلا هذا الجانب ، و لكن غالباً ما يفضل الكبار المصلحة و المنطق بالنهاية.

قال أبي بنبرة لا تخفي حيرته : وأنا أوافقك يا أولينا ، و إن كان أرتيموس وأنتينوس يقولان ما يدور بأذهاننا نحن أيضاً ، لكل رأي حجة و تفسير تستحق التفكير قبل أخذ القرار!

و يبدو إننا بحاجة لرأي محايد . . .

ثم نظر أبي لي حيث كنت أتابع حديثهم منذ بدايته و قال مبتسماً : نحن بحاجة لرأيك يا سالينا . . إلى أي جانب تميلين ؟!

تطلعت في وجوههم التي تنتظر ما سأقوله و كأن رأيي سيحسم الموقف ، إبتسمت بإرتباك قبل أن أجيب : لا أعرف . . و إنما تذكرت قصة قرأتها عن صديقين أحدهما طيب و الآخر خبيث ، في يوم كان الطيب يمشي وحده ، و وجد كيس مليئ بالمال فأسرع لصديقه الخبيث و أخبره ، و عرض عليه أن يقتسما المال، و لكن الخبيث إقترح عليه أن يأخذا جزء بسيط من المال و يدفنا الكيس تحت الشجرة حتى لا يعلم عنه أحد ، و كلما إحتاجا مال يذهبا لأخذه من تحت الشجرة على شرط ألا يذهب أي منهما وحده للشجرة !

و في اليوم الثاني ذهب الخبيث ، أخذ كل المال لنفسه ، و بعد فترة إحتاج الطيب بعض المال فأخذ صديقه الخبيث و ذهبا و عندما لم يجد المال، إتهم الخبيث بإنه سرق المال و لكن الخبيث أسرع و إتهمه إنه هو من سبق و سرقه !

قررا أن يذهبا للقاضي ليحكم بينهما و كان الخبيث قد طلب من أخيه الإختباء داخل الشجرة ! ، و أخبر القاضي أن الشجرة شاهدة على الحقيقة ، إسألوها و ستخبركم ، و بالفعل ذهبوا جميعا و سأل القاضي الشجرة : من سرق المال؟!

فأجاب شقيق الخبيث إن الطيب من سرقه ! فشك القاضي بالشجرة

المتكلمة فأمر بإحراقها ، فصرخ شقيق الخبيث بداخلها و أعترف بالحقيقة !

إنتهيت من قصتي ، نظرت لهم لأجدهم ينظرون لي في صمت و كأنهم مازالوا يستمعون لقصتي المنتهية إلى أن كسرت الصمت و قلت لهم : ألم تعجبكم القصة؟!

نظر شقيقاي لبعضهما البعض و ابتسما، و قالت أمي : أعتقد أن سالينا أعطتنا رأيها و حسمت الأمر بطريقتها الخاصة.

طوقني أبي بذراعه و قال بفخر: وأنا أعتقد إن ذكاء إبنتنا يتزايد كل يوم بقدر ما يتزايد جمالها.

عادت الإبتسامات على وجوه الجميع ثم أضاف أبي : ما رأيكم أن نريح أذهاننا من كل ما حدث ، و نتجاهل التفكير في تلك الأمور المزعجة ، و نستمتع بليلتنا ، و نحتفل بعشاء طيب.

ضحكت أمي و قالت : على شرط أن نعد جميعاً العشاء.

∞

"الغراب و الغريب"

كانت أجمل أُمسية عشتها في حياتي .

حُفرَت كل لحظة من لحظاتها في ذاكرتي ، و لن تنجح كل محاولات المستقبل الفاشلة أن تمحيها من مخيلتي .

وقفنا جميعاً في المطبخ و قد غمرنا التفاؤل الذي داعب شهيتنا للأكل ، فأخذنا نتفنّن في أصناف العشاء، حيث طلب أبي من أمي أن تعد له خبزالزيتون الذي يعشقه، قضت أمي ساعتين في تحضيره بينما كانت تشرف في نفس الوقت على شوربة العدس الأسود بالجزرالتي تشاركا شقيقاي في تحضيرها، في حين إنهمك أبي في تحضير سمك السلمون للشوي بعد أن غطاها بخلطة الليمون و زيت الزيتون و الزعتر المجفف، أما أنا فكانت مهمتي هي السلطة المفضلة لنا جميعاً و المكونة من قطع الطماطم الحمراء الممزوجة مع الجبن الأبيض الطازج و بالطبع الزيتون الأسود اللامع الذي يزين أغلب أطباقنا.

أكلنا ، ضحكنا ، و لعبنا لساعات طويلة حتى شعرت بالنعاس و ذهبت لأنام ، بدأ الغراب بالخارج بالنعيق بصوت عالي متكرر لفترة طويلة ، فتحت نافذتي و حاولت إسكاته ، ثم عدت إلى سريري، و بعد ساعة عاد لينعق بشكل متقطع إلى أن سكت تماماً بعدها بدقائق ، لم أكد أغمض جفوني حتى سمعت ضربات خافتة على باب المنزل فنزلت من

على سريري مرة أخرى ، و اتجهت نحو السلم حيث رأيت شقيقاي واقفان أمام باب المنزل يتحدثان لشخص غريب أول مرة أراه، بدا الغريب نحيلاً منحنياً ملابسه بسيطة ، و كان يقول إنه ليس من الأسكندرية و حصانه يعاني من الإعياء و لا يستطيع التحرك في هذا الجو السئ ، طلب السماح له بالمبيت حتى الصباح ، سمعت شقيقاي يناديان على أبي الذي إستمع للغريب مرة أخرى ، سأله من أين جاء و إلى أين ذاهب ، و بالفعل سمح له بالمبيت في حجرة عم سلمان حارس المنزل ، ثم نادى شقيقاي على عم سلمان الذي لم يجيب فأدركا إنه مستغرق في نوم عميق كعادته ، طلب أبي من أرتيموس أن يرافقه إلى حجرة عم سلمان بعد أن أعطاه بعض الطعام حتى لا ينام ذلك الغريب النحيل جائعاً، بينما إتجهت مرة أخرى إلى غرفتي و قبل أن أدخل سريري فتحت نافذتي مرة أخرى لأطل على الغراب و زوجته اللذان صمتا تماماً ، ظننت إنه الطقس الممطر هو ما اسكتهما و لكنني لمحت شيئاً أسود ملقى تحت الأرض فأخرجت رأسي خارج النافذة ، و أنا أحاول رؤية ذلك الشئ ، فأدركت إنه غراب مقتول في رقبته شيئاً مثل سهم ، أفزعني منظره و لمحت بعيداً باب غرفة عم سلمان ينفتح و ظهر ذلك الغريب النحيل الذي لم يعد منحنياً مثلما كان منذ دقائق قليلة ، و في يده رأيت خنجراً ، يبدو إنه لمحني أيضاً فركض نحو منزلنا مرة أخرى ، بينما صرخت متجهة إلى أمي لأيقظها قائلة : أمي ! الغراب مقتول و الغريب بيده سكينا ! قفزت أمي خارج سريرها ، و هي غير مدركة لما أقول و ركضنا نحو الطابق الأرضي ، وقبل ان نصل رأينا الغريب و قد عاد ، يطوق ذراعه حول رقبة أنتينوس

، و يصوب سكينه نحوها ، و هو يقول لأبي بصوت حاد مثل سكينه : أعطيني كل اوراق أملاكك في المصانع و الأراضي و إلا قتلته.

أرتبك أبي من خوفه على شقيقي و هو يصرخ : من أنت و ماذا تريد؟!

سمعت ذلك الغريب يقول : أنا من سيذبح عائلتك كلها أمامك إذا لم تعطيني ما طلبته!

أجابه ابي و هو يصرخ خوفاً على أخي : سأعطيك أموالاً كافية لتعيش ملكا و لكن إتركه !

أجاب ذلك الغريب بنبرة مخيفة : ستعطيني تلك الأموال بعدما تعطيني أوراق أملاكك كلها!

صرخ أنتينوس : لا تعطيه شيئاً ! إنها خدعة من قاسم و يزيد.

قال الغريب و هو يضغط بسكينه على رقبة أنتينوس : صحيح ! يجب أن تكون فخوراً بذكاءه و الآن إعطني الأوراق و إلا . .

في هذه اللحظة صرخت أمي التي لم تحتمل المشهد فصرخ عليها أبي ألا تهبط ثم أضاف كلمة واحدة: سالينـــــــــــا.

لحظتها جذبتني أمي نحو غرفتها ، حيث أخرجت من خزانتها صندوقا به أوراقاً ، أعطتني أياه ، و قالت لي و هي تلهث من فرط ذعرها : خذي هذا الصندوق و أركضِ إلى بيت هدية و اختبئي هناك و إذا لم نأتي لنأخذك. .

إبتلعت ريقها بصعوبة و هي لا تجد كلمات لتضيفها ثم قالت : إطلبي من هدية أن تأخذك للجالية اليونانية فوراً.

بكيت و أنا لا أدرك ما يحدث ، و هي تربطني من خصري بقطع قماش عقدتها ، و تخرجني من النافذة حيث سمعنا صوت لصرخة من أبي تبعها أصوات إرتطام شديدة لم تحتملها أمي التي أخذت تنزلني سريعاً حتى لم أعد أراها قبل أمتار قليلة من الأرض بينما نزعت القماش المربوط حولي و ركضت خارج محيط المنزل، لكنني لم أستطع حينما سمعت صرخة أمي هي الأخرى، عدت و تركت الصندوق متوارياً بجانب شجرتي المفضلة ، حيث رأيت زوجة الغراب عن قرب و قد سقط عشها متناثراً حولها بما كان يحوي من بيض تكسر كاشفاً عن أجنة صغيرة بداخله ، ركضت باكية إلى حجرة عم سلمان ، و بمجرد دخولي رأيت أرتيموس على الأرض مقتولاً ، و من خلفه عم سلمان مقتولاً في فراشه ، صرخت عائدة للمنزل ، و أنا لا أفكر و لا أدرك إذا كان ما أعيشه واقع أم كابوس و بمجرد دخولي للمنزل رأيت أنتينوس مقتولاً و من بعده والدي ملقى على السلم و الدماء تغطيه ، فصرخت و أنا أحاول إيقاظه من نومه الأبدي و على أول السلم ظهر ذلك الغريب و عيونه تشتعل بتلك النظرات المخيفة المتعطشة للدماء ، فقفز ناحيتي و وجدت نفسي أركض خارج المنزل مرة أخرى ، و أنا أصرخ لعل أهلي يسمعون صرخاتي و يعودون للحياة مرة أخرى لينقذونني! و لكن ذلك الغريب كان سريعاً ، مد يده ليمسكني فوقعت على الأرض و أنا أصرخ و لم أعد أرى سوى عيونه الشيطانية فصفعني على وجهي ، رفع سكينه

و هو يقول : أين الأوراق ؟! إنطقي !

فجأة رأيت عصا غليظة تضربه على رأسه فتركني و استدار ليواجه ضاربه، كانت هدية ترتعش خلفه و بيدها العصا تحركها في الهواء لإخافته بينما سيطر الرعب عليها ، لكنه مد يده في لحظة و مسك العصا من طرفها ، فضمت هدية كلتا يديها على الطرف الآخر و بدأت في الصراخ بعدما أدركت قوته إلى أن أفلتت العصا ، ألقاها الغريب بعيداً ، أمسك بيده رقبة هدية التي تحشرج صراخها بين الحياة و الموت بينما سدد سكينه نحو رقبتها فركضت نحوهما و ضربته بكل قوتي على ظهره، دفعني بقوة على الأرض فارتطمت بشدة في الشجرة الموجودة خلفي و شعرت بدوار ، و أنا أرى ذلك الشئ الأسود القادم من السماء و هو ينقض على رأس الغريب !

لقد كان الغراب يهاجم الغريب دفاعاً عنا ، و بالفعل أسقط الغراب الغريب بعد إصابته في رأسه و أستمر في الإنقضاض عليه بينما كان الغريب يحاول ضربه بيديه بعد أن أسقط سكينه الذي وجدته يومض على الأرض فمسكته و أنا أرى الغراب المسكين يواصل إنقضاضه على ذلك الغريب المتوحش الذي طوق يديه على رقبته لكسرها.

لم أشعر بنفسي و أنا أنقض على الغريب و أسدد له طعنات في عينيه المخيفتين بقوة لم أشعر بها من قبل ، بينما كنت أصرخ صرخات مكتومة لم يسمعها أحد غيري حتى لم أعد أرى وجه الغريب بعدما فقد كل معالمه ، و لم أتوقف إلا عندما سمعت صوت هدية الباكي ، و

هي تناديني فنظرت لها و لم أرى شيئا بعدها إلا ظلام.

كانت أسوأ أُمسية عشتها في حياتي.

حُفرَت كل لحظة من لحظاتها في ذاكرتي و لن تنجح كل محاولات المستقبل الفاشلة أن تمحيها من مخيلتي .

∞

" القناع "

كانت السماء صافية ، الأشجار و الزهور في أبهى ألوانها ، العصافير تتراقص حولها ، ركضت نحو المنزل و السعادة تغمرني فتحت البوابة الكبيرة و دخلت أركض في الطريق المؤدي للمنزل إلى أن وصلت للباب و وجدته موصداً ، طرقته عدة مرات و لم يجيب أحد فناديت على أمي و لكنني لم أسمع صوتي و ناديت مرات و مرات و لكن لم أسمع صوتي بينما كنت أسمع صوت الغراب الذي وقف على الشجرة ينظر لي و بدأ صوته يتعالى كأنه يصرخ ليحذرني و أنا أطرق على الباب بكلتا يداي و صوت الغراب لا يتوقف و هو يصيح .....

سالينا .. سالينـا .. سالينـــا.. سالينـــــا !

فتحت عيناي بصعوبة لأرى تلك السيدة التي ترتدي ملابس بيضاء و هي تربت على كتفي برقة و من جانبها وقفت هدية و هي تلهث كأنها تركض في مكانها ، بينما إمتلأ وجهها بالدموع و هي تقول : حمد لله على سلامتك .. الحمد لله .. لقد مضت أيام و أنتِ نائمة .. لقد كنت خائفة ألا....

قاطعتها الممرضة لتسكتها قائلة إنني يجب أن أستريح ، بينما كنت إلتفت حولي و أدركت وجودي في مستشفى و في لحظة تذكرت كل الأحداث التي عشتها قبل أن أفقد الوعي و شعرت بخوف لم أشعر به

من قبل ، هل كان كابوساً لم يحدث إلا في عالم الخيال؟! ، بينما كانت الممرضة تحاول أن تبقيني بلا حركة وجدت نفسي أقاطعها طالبة منها أن تبقى هدية لأنني أريد أن أتحدث معها وحدنا ، نظرت لي الممرضة نظرة مرتبكة من شدة إصراري فقالت إنها ستذهب لإستدعاء الطبيب ، خرجت من الغرفة فأندفعت هدية نحوي و هي تبكي و تردد كلمات متقطعة فمسكت يدها و سألتها : هل ماتوا؟!

تجمدتا عيناها للحظات ثم عادتا للدموع مرة جديدة ، لم أبكي رغم إنني تمنيت قبل أن أسألها أن يكون ما عشته كابوساً : أين هم؟

عرفت منها إنه تم دفنهم بالأمس بعدما تأكد إن ذلك الرجل هو من قتلهم ! و إن الجالية اليونانية قامت بكل مراسم الدفن اللائقة ثم جففت دموعها و إقتربت مني قائلة : لا تقولي أبداً إنكِ من قتلتي ذلك الوحش ! لقد قلت لهم إنني من فعلت ذلك بعدما إرتطمت رأسكِ بالشجرة ! لقد كنت خائفة عليكِ ..

قاطعتها : الصندوق؟!

أجابتني بإنه محفوظ في مكان آمن بعدما أخذته من الحديقة ، سألتها : كيف جئتي؟! أقصد كيف عرفتي؟

بلعت ريقها و هي ترتجف : لقد جائني ذلك الـ .. الغراب ! ، نعم .. الغراب !

جاء و أخذ يصيح بدون توقف !

حاولت أن أصرفه و لكنه كان يحمل شريطاً ملونا من شرائطك، شعرت إنه يحاول إخباري بشئ و أن هناك خطراً يحيط بكم ، فركضت نحو المنزل و...

صمتت و هي تبكي ثم أشارت نحو النافذة : هل تصدقين أن الغراب يقف بالخارج منذ أن جئتي هنا ! كأنه.. كأنه يحرسك ! نظرت نحو النافذة رأيته يتطلع ناحيتي في صمت فيبدو إنه لم يتغلب على أحزانه هو الآخر بعدما فقد أسرته !

سألتني هدية و هي ما زالت ترتجف : من كان ذلك الوحش ؟! أجبتها بإنني لا أعرف من هو! و لكنني أعرف من أرسلوه. ضمت هدية يديها على صدرها : من هم ؟!

إنفتح باب الغرفة في هذه اللحظة و إندفعت نحوي آلماس و من خلفها قاسم .

وقفت هدية أمام سريري كأنها تصد رياحهم العاتية عني ، لكن آلماس أزاحتها بعيداً و هي تقول بوجه يعتليه لهفة غريبة : حمدلله يا حبيبتي ! .. حمدلله ! .. لا تخافي! .. نحن معكِ و لن نتركِ أبداً !

إقترب قاسم ليقبل رأسي بوجه يكسوه حنان أغرب.

كيف يمكن أن يرتدي البشر أقنعة تخفي حقيقتهم ؟!

بل تناقضها تماما !

من أين يأتون بتلك الأقنعة؟!

هل يولدون بها؟!

و بالفعل لم يتركاني و ظلت الماس تردد لي إنها سترعاني مثل إبنتها و لا تتمنى شيئاً سوى أن أنتقل لأعيش معها ، و كذلك لم تتركني الجالية اليونانية أبداً بالأخص أحد كبارها من الأثرياء ذوي النفوذ و يدعى ديمتري فهو كان الصديق المقرب لوالدي و لذلك أعطيته الصندوق الذي يحوي كل مستندات أملاك أسرتي ليصبح هو الوصي عليّ ، الشئ الذي لم يصدم قاسم و يزيد كثيراً على عكس ما توقعت فقد إستقبلا ما حدث بإستسلام غريب .

و عندما آن آوان خروجي من المستشفى كان الجميع حولي و كان المتوقع هو ذهابي لأعيش مع ديمتري و أسرته و لكنني كنت قد قررت أن ارتدي القناع أنا الأخرى و قلت له :عمي ديمتري . . إسمح لي أن أذهب لأعيش مع عمتي آلماس و عمي قاسم !

غطت الدهشة وجه ديمتري الذي كان يعلم عن الخلافات الأخيرة بين أبي و شريكيه ، بينما أطلقت آلماس ضحكتها العالية و هي تعصرني بأحضانها كالعادة و في طرف الغرفة لم تستطع هدية كتم شهقتها المذعورة .

دمية آلماس

بالطبع حاول ديمتري إقناعي بالعدول عن قراري و لكنه إستسلم أمام

إصـراري ، شرط أن يأخذني للعيش معه إذا رأى شيئاً لا يرضيه من قبل آلماس و قاسم ، بالطبع لن يرى أبداً ما لا يرضيه ، فقد كانت آلماس تعاملني مثلما تعامل أي طفلة دميتها ، تحضنني و تجدل شعري و تبدل ملابسي و تأتيني بألعاب لا حصر لها ، و رغم إنني كنت طفلة صغيرة لكنني كنت مدركة إنها تفتقد لوجود الأطفال في حياتها ، و تعوضه بطريقة تعاملها الطفولية معي ، لم تهينني و لم تأذيني أبداً، و رغم ذلك لم أشعر نحوها بأي تعاطف و لم أحمل لها أي مشاعر و لم أنسى عندما جاءت مع منصورة لتهدد أمي ، لقد كان عندي أم واحدة قتلوها و لست بحاجة إلى أم بديلة من قاتيليها ، لكنني قررت أن ألعب لعبة الأقنعة ، قررت أن ارتدي قناع الطفلة البريئة التي تحلم آلماس بإنجابها.

طلبت أن تقيم معي هدية و لكن آلماس تحججت بإن المنزل يمتلئ بالخدم و يكفي أن نرسل لها راتباً شهرياً لمساعدتها في تربية أخوتها الصغار، و الحقيقة أن آلماس خافت من هدية بعد أن ظنت إنها من قتلت ذلك القاتل بهذه الطريقة البشعة.

القاتل الذي أرسلته هي و شركائها لقتل أسرتي و لم تتخيل أبداً إنني من قتلته و إنني من سأقتلها يوماً ما.

أتذكر الشهور الأولى عندما كانت الكوابيس تسلب النوم مني ، كنت أتسلل إلى غرفة آلماس و قاسم ، أقف أتأملهما و أنا أسأل نفسي متى ستحين اللحظة التي سأنتقم لأسرتي منهما ، و في أحد الليالي هيأ لي عقلي الساذج إنه الوقت المناسب للقضاء عليهما ، ذهبت إلى المطبخ و

أحضرت أكبر سكين رأيته و تسللت داخل الغرفة بينما كانا غارقان في نوم عميق، و رفعت يدي نحو صدر قاسم و نظرت للمرآة التي كانت بمواجهتي ، خيل لي إنني أرى أمي داخلها تحرك رأسها مشيرة إنه ليس الوقت المناسب و فجأة قاطعنا صوت شخير قاسم العالي، إختفت صورة أمي و خارت يدي وركضت نحو غرفتي ، و أنا أرتعش بعد أن رأيت أمي في المرآة لأول مرة منذ أن ماتت !

إنتقل صديقي الغراب للعيش بجانبي في حديقة منزل آلماس، أطلقت عليه إسم أنجلوس ، إنه المرادف لكمة ملاك باللغة اليونانية ، فقد كان أنجلوس بالنسبة لي بمثابة ملاك و ليس مجرد غراب .

لم تتوقف علاقتي بهدية فهي إعتادت زيارتي مرة كل اسبوع و لكننا كنا على إتصال يومي عن طريق انجلوس الذي كان يساعدني في إرسال و إستقبال الرسائل منها و إليها ، في أحد زياراتها أخبرتها عما أعرفه عن قتلة أسرتي فضربت هدية على خديها بجنون و هي تستنكر وجودي معهم و لكنني أخبرتها عن رغبتي في الإنتقام و كل ما أريده هو مساعدتها وقت الحاجة ، إقناعها بضرورة بقائي لم يكن سهلاً أبداً و لكنها كانت على إستعداد أن تفعل أي شئ وفاءاً لي و لأسرتي .

بعد مرور سنة كنت قد تحولت لفتاة مدللة في ذلك المنزل ، لكنني كنت مدركة أن السبب هو جمالي ، فأنا أبدو مثل دمية في نظرآلماس، دمية تلعب بها و تعوضها عن عدم إنجابها ، و لأكون أكثر صراحة فقد كنت مثل الحيوان الأليف بالنسبة لها أكثر من كوني إنسان ، أما قاسم

فكان يعاملني بنفس أسلوبها ، كان على إستعداد أن يحقق لي أي شئ أطلبه و دائما يأتيني بكل أنواع الكتب التي كنت أطلبها بإستمرار، فقد كنت أقضي كل وقتي في القراءة التي أراها مثل بحر ليس له قاع و سماء ليس لها سقف .

و كأن قاسم قد تعايش مع فكرة إنني إبنته بالفعل ، أو أنه كان يفعل أي شئ يُسعد آلماس ، فقد كان يدرك تماما أهمية وجودي بالنسبة لها و بالأخص إن رغبتها في الإنجاب تلاشت بعد أن عشت معهما ، كنت أشعر و كأن آلماس و قاسم قد تقمصا أدوار الأم و الأب إلى أن تناسا الحقيقة ، من ينظر إليهما لن يرى إلا عشقه لها و تفانيها له ، كم هي غريبة تلك المخلوقات !

كيف يمكن لوحوش كاسرة أن يروض قلوبها كل هذا الحب ؟!

لكنني كنت أدرك إن نهايتي مؤكدة إذا شعروا للحظة إنني أعرف حقيقتهما ، لذلك كنت أتظاهر دائما بالسذاجة و البراءة و كأنني قد تغلبت على أحزاني و فراق أسرتي و لم أعد أتذكر ما حدث لهم ، و ذلك بالضبط ما كانا يرغبا فيه ليتعاشا معي متناسين ما فعلاه بالإشتراك مع يزيد و منصورة .

لم أفهم أبداً كيف إستطاعا نسيان فعلتهما الشنعاء.

لم أفهم أبداً كيف ينظران لي و يدللانني ، كأن من قتلوهم لا يمتون لي بأي صلة.

لم أفهم أبداً كيف يستطيعان النوم كل ليلة.

في أحد الليالي ذهبت إلى غرفتي لأنام ، بمجرد أن فتحت الباب وجدت الدُمى التي تغرقني بها آلماس تندفع نحوي مثل شلال ثائر من كافة أركان الغرفة حتى إنني لم أكن أرى الأرض من كثرتهم ، دُمى من كافة الأشكال و الألوان و الأحجام ، دُمى يفوق عددها عدد أمواج البحر، شعرت إنني أغرق فيها عندما خطوت وسطها و بينما كنت أزيحها بيدي بعيداً ، رأيت وجوه أسرتي بأسفلها فضربت الدُمى في كل إتجاه بكل قوتي لأصل لهم ، و بمجرد أن إقتربت منهم رأيت عيونهم متحجرة تدمع بالدماء فصرخت صرخة متحشرجة بدون صوت ، لأصحو من ذلك الحلم غارقة في دموعي، قفزت من على السرير و إتجهت إلى المرآة أنظر لنفسي وكأنني أراها لأول مرة منذ زمن بعيد، و لم تكن صورتي هي الوحيدة التي رأيتها بل رأيت أفراد أسرتي الأربعة في المرآة يقفون من خلفي ، إنتفضت و نظرت خلفي فلم أجدهم ، التفت مرة أخرى للمرآة فوجدتهم و على وجوههم نفس الإبتسامة التي إعتدت أن أراها دائماً، وعدتهم في تلك الليلة بإنني لن أنساهم و سأنتقم لهم من قاتليهم.

منذ تلك الليلة تحولت المرآة للعالم الآخر الذي تسكنه أسرتي ، أراهم فيها كلما نظرت إليها ، أرى في عيونهم نفس النظرات التي تُطمأنني ، النظرات التي تفهمني و تشعر بي.

و على مدارخمسة أعوام قضيتهم داخل هذا المنزل ، كنت خلالهم الدمية الجميلة و الطفلة المطيعة و الإبنة الوهمية لكل من آلماس و قاسم ،

بالرغم إني كنت قد تخطيت الثالثة عشرة و بدأت تتغير معالم جسدي مودعة عالم الطفولة ، خلال هذه الأعوام لم أنسى للحظة ما فعلوه بأسرتي رغم إبتساماتي التي كانت دائماً على وجهي عندما أرى الماس و قاسم، بل كنت أناديهما بأبي و أمي بعد أن طلبا مني ذلك ، مما أسعدهما بشدة ، إنما في الحقيقة ، في غرفتي و أمام مرآتي مع أسرتي في عالمي الآخر كانت كراهيتي لهما تزداد مع صباح كل يوم جديد .

∞

" أم عيوش و عين شنكوش "

أتذكر ذلك اليوم عندما رأيت تلك السيدة ذات الملابس السوداء التي أتت بصحبة منصورة التي كانت تأتي لزيارة آلماس كل فترة ، و دائماً تتجنبني ، كانوا ينادون تلك السيدة بأم عيوش ، تقريباً في خمسيناتها ، سمراء ، نحيلة ، عيونها كانت أكثر ما يلفت النظر إليها ، حيث كانت تحيط عيونها بسواد الكحل لدرجة إنها تكاد تملأ جفونها به .

إختلست نظرة عليها لأجدها تتفحصني ، شعرت أن عيناها تحاولان النفاذ داخل عيناي لتخترقا رأسي ، لكنني حاولت صد نظراتها بوجه أشد جموداً من وجوه التماثيل الحجرية .

حينها قالت آلماس مشيرة لي و موجهة كلامها للسيدة ذات الملابس السوداء : هذه سالينا أجمل فتاة على وجه الأرض .

أجبتها بنفس الطريقة الطفولية البريئة : و أنتِ أحن و أطيب أم على وجه الأرض .

لاحظت لأول مرة إبتسامة على وجه منصورة التي شعرت بتعلق آلماس بي ، أما أم عيوش ذات الملابس السوداء لم يبدو على وجهها أي تعبير .

كنت أسمع أصوات غريبة و كلمات أغرب ، أرى أضواء شموع و دخان مع روائح غريبة مقززة تبعث من الغرفة التي جلسوا فيها ، أدركت إنها

ساحرة أتت لتقوم ببعض تعاويذها حتى تتحقق أمنية آلماس في الإنجاب ، يبدو أن آلماس قد عاد هوسها القديم بفكرة الإنجاب ، ربما شعرت إنني لم أعد الطفلة الصغيرة التي تعوض حرمانها من الإمومة أو يبدو إن رغبة منصورة هي الأخرى بإنجاب الإبن قد أحيت رغبة الإنجاب من جديد عند آلماس .

طوال الخمس سنوات السابقة كنت أنتظر اليوم الذي سيأتي لأنتقم فيه من قتلة أسرتي ، كنت في حالة بيات شتوي مستمرإلى أن يحل موسم الإنتقام الذي سأحقق فيه ما إنتظرته طيلة هذه الأعوام و كل ما علي هو إنتظار إشارة من أسرتي .

تكررت زيارات أم عيوش ، في أحد المرات رأيتها تعطي آلماس لفائف صغيرة من القماش لتضعها عند أبواب و نوافذ المنزل من الخارج ، قائلة : هذه لفائف أعشاب إسمها عين شنكوش ستحصنك ضد أي روح تحاول منعك من الإنجاب ، إحرصِ أن تبقى بعيدة عن متناول أي شخص لأنها سامة للبشر مثلما هي للشياطين .

أخذتها منها آلماس بحرص شديد كأنها قد حصلت للتو على جواهر ثمينة لا تستطيع أن تنتظر حتى ترتديها !

كنت قد أخبرت هدية عن أم عيوش و نظراتها لي ، و كالعادة ضربت هدية على صدرها و هي تنتفض و أخبرتني إنها معروفة بإتصالها بالجن و تستخدمهم لفعل ما تريده ثم حذرتني منها و هي تبكي !

الغريب أن في هذا العام حملت آلماس و كانت سعادتها هي و قاسم لا توصف ، لكن مات الطفل فور ولادته ، و تكررت زيارات أم عيوش من جديد ، التي كانت تنظر لي بنظرات أشد حدة في كل مرة ، و على مدار ما يقرب من ثلاثة أعوام تكرر الحمل لمرة ثانية و ثالثة ، و تكرر فقدان الجنين في كل المرات فور ولادته.

ظلت آلماس تفقد جزء من صحتها و حيوتها في كل مرة تحمل فيها ، و بدأت تلازم الفراش لفترات طويلة ، أما قاسم كان منهمك في أعماله التي زادت مع توسع مصنع الزيوت و لكن آلماس كانت تشعر أن قاسم لم يعد يحبها بعد أن زرعت تلك الساحرة في رأسها فكرة إنه قد يتزوج من غيرها ، خاصة في هذه المرحلة من عمره ، كما سمعتها تكرر لآلماس أكثر من مرة جملة معناها إن الإبن الحقيقي هو الذي يأتى من صلب والديه ، و بالطبع كانت تقصد أن تذكرها بأن علاقتها بي لا تجعل مني إبنة حقيقية لها.

الغريب أن آلماس لم تفقد إصرارها على الإنجاب ، و لم تتوقف عن إحضار تلك الساحرة بالرغم من تدهور صحتها ، بل إزداد إستدعائها لها و قل إهتمامها المعتاد بي و كأن أم عيوش قد سحرتها لتتبع كلامها وليس لتنجب !

و في كل زيارة جديدة كانت أم عيوش ترمقني بنظرات مشتعلة أكثر و أكثر ، كأن عيناها المكحلتان على وشك الإنفجار في وجهي ، و في آخر زيارة وقفت و إتجهت ناحيتي و قالت بدهاء مخيف : لقد صرتي شابة

جميلة ، لو كان جمالك سلاح لقتلتي به عائلة بأكملها .

في هذه المرة شعرت بقلق حقيقي من هذه الأفعى الكحلى و وقفت بالقرب من باب الغرفة لأراقبهما و سمعتها تقول لآلماس : لقد اثبتُ لكي إنكِ تستطيعين الإنجاب ، لكن هذا المنزل تسكنه روح مليئة بالكراهية و الحقد ، تلك الروح تبعث الموت ليقتل أي حياة جديدة ، و خلاصك الوحيد هو التخلص من هذه الروح .

شهقت آلماس بإعياء و صدمة مما سمعته : روح؟! أي روح؟! دعينا نتخلص منها فوراً .

قالت الساحرة بصوت إقترب من الفحيح : أنتِ لست بحاجة لي لتتخلصي منها .. بل تستطيعين وحدك التخلص منها .. إنها تلك الفتاة الشقراء التي تعاميلنها و كإنها إبنتك ، و نسيتي إنها شابة جميلة تستطيع خطف زوجك في أي لحظة .

إنتفضت آلماس من على سريرها و قالت : سالينا ؟!

إقتربت منها أم عيوش و مالت نحوها و كأنها تريد طرق الحديد و هو ساخن و قالت : منذ أول لحظة رأيتها فيها ، أشعر بروح سوداء تسكنها ، ترددت في مصارحتك طوال هذه السنوات لأنني أعرف إنكِ لن تصدقينني من فرط حبك لها ، و لكن لم يعد بإمكاني التغاضي عنها ، وأراكِ تفقدين حملاً بعد الآخر.. أطفالِك يموتون .. بسببها !

تجمدت آلماس على سريرها ، وظلت تحدق في أم عيوش و هي شاردة

تستجمع أفكارها ، قد بدا لها إن كلام أم عيوش يتوافق مع حقائق قديمة قد تناستها.

لحظتها لم أفكر، فقد كان عقلي أسرع من عاصفة عاتية لم تمهد قبل قدومها ، ركضت نحو أحد النوافذ و نزعت واحدة من لفائف القماش المملوءة بالأعشاب السامة طاردة الأرواح و الشياطين، خبأتها في ملابسي و إتجهت نحو حظيرة الدواجن بالخارج و فتحت أبوابها و ذهبت سريعاً إلى المطبخ ، طلبت من الخادمات الإسراع لأقفاص الدجاج التي فتحت لغلقها قبل أن يهربوا خارجها ، فتحت إناء الأعشاب الذي وصفته الساحرة لآلماس لإسترداد صحتها و كانت قد أحضرت المزيد منه في ذلك اليوم و فتحت قطعة القماش لأجد مطحون الأعشاب الذي بدا أبيض مثل السكر له ملمس الطحين، و نثرته داخل إناء الأعشاب.

إتجهت مرة أخرى ناحية غرفة آلماس و سمعتها تقول و قد بدت إنها حسمت أمرها : سأتكلم مع قاسم الليلة لنجد طريقة للتخلص منها.

ردت أم عيوش بنبرة إنتصار واضحة : ثقي بي، هذه الفتاة لعنة و هلاك في صورة ملاك ، أستطيع أن أرى الكراهية تنبعث من عيونها ،لا تتركيها حتى تقضي عليكم و إسرعي بالتخلص منها اليوم قبل الغد.

نزلت الساحرة ثم إتجهت إلى باب المنزل حيث كنت واقفة في إنتظارها ، لقد أردت أن أثبت لها هذه المرة إنني أقوى منها بكثير و إنها لن تستطيع أبداً تفسد لي ما إنتظرت تحقيقه طيلة السنوات السابقة.

نظرت إليها بنظرات تكشف مشاعري الحقيقية تجاهها و تجاه هذا البيت و تجاه أصحابه ، شعرت لأول مرة أن الساحرة ترتبك أمام نظراتي و لا تستطيع الغوص بعيونها المكحلة داخل رأسي ، بل إنها كادت أن تركض خارج المنزل هاربة مني و هي تُتمتم بكلمات مبهمة.

رأيت الخادمة تحمل المشروب الذي وصفته أم عيوش لآلماس ، فأخذته منها لأعطيه أنا لها ، صعدت السلم و أخرجت باقي ذلك العشب المطحون و نثرته في هذا المشروب لأزيد من مفعوله ، ثم دخلت غرفة آلماس راسمة على وجهي إبتسامة طفولية من النوع المفضل عند آلماس التي بدت مرتبكة تتجنب النظر لي .

أعطيتها المشروب قائلة بتأثر زائف : أدعو الله أن ترتاحي من هذا الإعياء قريباً.

إبتسمت لي إبتسامة شاحبة باهتة و أخذت المشروب مني، و إتجهت أنا للمرآة الموجودة في مواجهة سريرها ، وقفت أتأملها في المرآة و هي تشربه ، و على سطح المرآة وقفت من حولي عائلتي تساندني كالمعتاد ، ثم نزعت تلك الشرائط الطفولية الملونة من شعري و اسدلته على أكتافي ، و أخذت واحدة من مجوهراتها و وضعتها حول عنقي ، و أنا أقول ببطء شديد : و أنا متأكدة إن الله سوف يستجيب لي و يريحك من إعياءِك ...

ثم أضفتُ بسخرية : و من حياتك كلها.

رأيتها من خلفي في المرآة تحدق بي بذهول ، فاستدرت لها و وقفت في مواجهتها قائلة ببطء و هدوء قاتل : هل ظننتي يوما إنني نسيت يوم جئتي لتهددينا أنتي و منصورة ؟

هل ظننتي يوما إنني نسيت الخوف الذي رأيته في عيون أمي بسببكما ؟

هل ظننتي يوما إنني لم أكن أعرف ماذا فعلتم بعائلتي؟

كم أنتِ حمقاء !

جحظت عيون آلماس من فرط الصدمة و الألم و كادت تنفجر خارج رأسها ، بينما توجهت أنا للمرآة مرة أخرى قائلة لها : آن آوانك أن تتركِ هذه الحياة ، و لا تخافِ من الوحدة فستلحق بكِ صديقتِك الساحرة قريباً ، و أعدِك بإرسال المزيد من أحبائِك تباعاً.

أسقطت آلماس الكوب ، و أرادت أن تصرخ و تنهض من سريرها ، لكنها كانت أضعف من أن تتحرك ، كان إعيائها الممزوج بمشروب عين شنكوش كافي أن يقضي على الباقي من قوتها ، بينما كنت أضع أحد خواتمها الضخمة حول أصبعي و أنا أقول : هل تتألمين ؟!

يجب أن تشكريني ، لأنني أردت لكِ موتاً أشد ألماً و لكنني إضطررت للتعجيل بموتِك الآن بسبب غبائِك أنتِ و ساحرتِك.

واصلت التحدث لها عبر المرآة و انا مستمتعة برؤيتها تتألم في صمت و هي تتحول للون الأزرق تدريجيا : هل ترين كم أنا جميلة؟

لا تقلقي على قاسم فإنه في أيدي أمينة ، موتك سيكون بداية العقاب لكم جميعاً بسبب جريمتكم ضد عائلتي .

نظرت إليها من المرآة و هي تحدق في بعيون مذعورة واهنة تتجمد ببطء بعدما شُلت حركتها تماماً حتى فارقت الحياة . في هذه اللحظة شعرت بسكون و راحة رغم منظر جثتها الزرقاء الملقى أمامي .

أخذت عقد اللؤلؤ المفضل لدى الماس و خاتما محفور عليه إسمها و إسم قاسم ، ركضت نحو غرفتي ، وضعتهما داخل جراب صغير ، كتبت رسالة لهدية : إذهبِ فوراً لبيت أم عيوش و دِسّي لها الخاتم و العقد .

ناديت على الغراب و مديت له الجراب الذي التقطه بمنقاره و إنطلق ، و كأنه يعلم ما عليه أن يفعل ، ثم رجعت إلى الغرفة و ربطت شعري مرة أخرى و وقفت أنظر إلى جثة آلماس ، لم يكن لدي شك أن هدية ستفعل ما طلبته منها و لكنني كنت قلقة أن يسيطر الخوف عليها من أم عيوش .

إنتظرت لنصف ساعة ثم جلست بجانب جثة آلماس الهامدة ، و أخذت الكوب وضعته جانباً ، ثم صرخت بأعلى صوتي صرخة ظلت حبيسة داخلي لسنوات . في لحظات كانت الخادمات متجمعات في الغرفة ، و أنا جالسة على الأرض أبكي و أصرخ : أمي آلماس ماتت ، تلك الساحرة كانت لعنة عليها !

تلك الساحرة قتلتها .

جاء قاسم إلى المنزل بعد أن أبلغوه، و جلس يبكي مقهوراً بجانبها كطفل صغيراً فقد أمه لتوه ، بينما كنت أجلس أنا على الأرض في مكاني أمسك يدها و أفتعل البكاء و انا مستمتعة برؤيته مكسوراً جريحاً، لقد كان القاتل يشرب من نفس كأس جريمته و هو يرى حبيبة عمره مقتولة أمام عينيه.

كم هي ممتعة رؤيته و هو يتألم لفراقها !

بدأت أن أردد بتأثر مزيف : تلك الساحرة المشئومة .. أم عيوش هي السبب، كانت تشعر بالوهن في كل مرة تشرب فيها ذلك المشروب ، نصحتها أن .....

قاطعني قاسم قائلاً : أي مشروب ؟

أجبته سريعاً : خلطة الأعشاب التي وصفتها للعلاج .

شرد قاسم للحظة بعيونه المكسورة الباكية ، ثم صرخ في أحد موظفيه الذي أتى معه : إرسل رجالك لإحضارها، و إرسل لأحد الأطباء لفحص ذلك المشروب.

ثم نظر إلي قائلاً بوهن ، و هو يكاد أن يفقد الوعي : هل ..لاحظتي.. أو.. سمعتي أي.. شئ آخر؟

أجبته مفتعلة التفكير و التردد : نعم..أمي آلماس لاحظت إختفاء بعض من مجوهراتها و بالأخص بعد زيارات الساحرة.

و أثناء إستدعاء الساحرة ، أمرقاسم بتفتيش جميع الخدم ، و لم يجدوا أي شئ بالطبع.

أتى ذلك الطبيب و بدأ في تفحص الأعشاب الموصوفة من الساحرة ، أحضروا أم عيوش لمواجهتها و استجوابها ، بينما بدأت في الصراخ لصدمتها من موت آلماس، لكنني هجمت عليها و أنا أصرخ : لماذا؟ لماذا قتلتيها؟ لقد كانت بمثابة أمي !

في هذه اللحظة دخل أحد رجال الشرطة حاملاً جرابا ، أفرغ محتوياته كاشفاً عن الخاتم و العقد بينما دخل ذلك الطبيب قائلاً بإنفعال مقتضب لقاسم : هذه الأعشاب سامة بالفعل.

لحظتها نظرت لي تلك الساحرة بعيون تشتعل مثل البركان و صرخت مسددة أصابعها ناحيتي : هذه هي الشيطانة التي قتلتها، إنها شيطان في صورة إنسان.

فجأة إنقض عليها قاسم و صفعها عدة صفعات رن صداها في البيت كله إلى أن أخذوها خارج البيت لتسليمها لإدارة الشرطة.

بينما كانت الساحرة تصرخ بجملة واحدة مشيرة نحوي : إقتلوا تلك الشيطانة ! . . إقتلوا تلك الشيطانة ! . . إقتلوا تلك الشيطانة !

إستمريت في بكائي الزائف ، أرتميت بين ذراعي قاسم المنهار، و بالطبع لم يستمع لها أي شخص أو يعيرها أي إهتمام لما تقوله ، فقد إعتبروا إتهاماتها لي مجرد محاولات يائسة لإنكار جريمتها.

دفنوا آلماس ، بعدها بأيام أُعدمت تلك الساحرة حيث أصدروا حكماً سريعاً بشأنها بالأخص إن آلماس كانت من كبرى العائلات ذات الأصول العثمانية في مصر و زوجة لواحد من أكبر التجار.

أقامت منصورة معنا لمدة اسبوع بعد دفن آلماس ، و كانت قد بدا عليها التأثر لموت آلماس و إن كانت لم تفقد صرامتها المعهودة ، جلست معي في ذلك اليوم ، و هي تنظر إلي متفحصة رافعة حاجبها الأيمن قبل أن تقول : وفاة آلماس كانت صدمة لي ، جزءاً مني يؤنبني لأنني من عرّفتها على تلك الساحرة الملعونة.

نظرت إليها بتأثر مصطنع و تعاطف زائف ، أشاحت هي بوجهها للحظة ثم نظرت لي مستعيدة ذلك الوجه الصارم : أعلم أن آلماس رحمها الله كانت تحبك مثل إبنتها ، فبعد مقتل أسرتك قررت أن تعطف عليكِ و تعوضكِ عنهم .

حاولت أن أحتفظ بمعالم الحزن على وجهي ، قلت بنبرة حزن باردة : سأعيش ممتنة لما فعلته من أجلي ، لكن قدر لي الله أن أفقد الأم مرتين.

نظرت منصورة لي للحظات ، شردت و هي ضامة شفتيها ، ثم رفعت حاجبها الأيمن و أضافت بنفس طريقتها الصارمة : لقد صرتِ شابة جميلة ، وجودكِ وحدكِ هنا مع قاسم لن يكون مناسباً ، و وفاءاً لآلماس قررت أن آأخذكِ لتعيشِ معنا ، تعلمين إن لدي أربعة بنات ، و لا مانع لدي أن تكوني بمثابة أخت لهم.

شردت للحظة بعد سماعي لما قالته، فما عرضته جاء مطابقاً لما أريد تماماً، ثم نظرت للأرض بإستكانة قائلة : أنا موافقة على أي شئ تقرريه ، و أشكركِ على كرمِكِ معي .

بدت مستمتعة بإستسلامي لها للحظات ، قالت : مع إنني كنت أتمنى الإبن طيلة هذه السنوات ، لكن يبدو أن البنات قدر كُتب عليّ ، لتصبح الأربع بنات خمسة .

كانت منصورة بصرامتها و جمودها تبدو لي مثل تابوت حي ترقد بداخله جثة تسكنها الأسرار و الأحقاد، و علي أن أكتشف تلك الأسرار قبل أن أدفن جثتها في أعماق الجحيم الذي تستحقه .

قضيت ليلة بأكملها أضب ملابسي و متلعقاتي و وقفت أمام مرآتي أتطلع لنفسي و لأسرتي، لم أكن في حاجة لأي تفسيرات لهم، فقد بدوا متفهمين لي، رأيت على وجوههم نظرة رضا، وجدت نفسي أتحدث لهم في المرآة بدون صوت : أقوى إنتقام هو رؤية عدوك يعاني مما تعاني أنت منه . .

أن تحرمه مما حرمك منه . .

أقوى إنتقام هو الإنتقام الذي يبدأ و لا ينتهي سريعا . .

هو العذاب الذي يدوم طويلاً إلى أن يقرر جلادك إما أن يرحمك أو يضربك بالضربة القاضية .

"القاهرة . . بيت المناهة"

و في صباح اليوم التالي أرسلت رسالة لهدية برعاية صديقنا الوفي ، جاءت هدية و على وجهها صدمة الفراق بعد صدمة مقتل آلماس ، و لكنني طمأنتها بأننا سنكون على وصال دائم، بكت كعادتها و هي تحتضنني ، تجمدت فجأة و هي تنظر خلفي حيث ظهرت منصورة، أنا أعرف إن (هدية) لم تنسى أبداً عندما صفعتها منصورة ، أسقطتها أرضاً ، وصفتها بالجرباء عندما كانت تدافع عن أمي ، نظرت منصورة لها بنفس النظرة المتعالية ، لم تبدو إنها تتذكرها بينما ودعتها أنا على وعد بلقاء قريب.

ذهبت لغرفة قاسم لأودعه أو بالأحرى لأودع ما تبقى منه متمنية له ان يتحسن قريباً ، و كل جزء في قلبي يعني عكس ما ينطقه لساني ، ثم سافرت مع منصورة إلى القاهرة، و قد كانت هذه المرة الأولى التي أذهب فيها إلى القاهرة ، و يبدو إنها كانت المرة الأولى لصديقي أيضاً الذي قرر مرافقتي محلقاً فوق العربة ، و في الطريق لم أكن أشعر بأي قلق أو رهبة من المجهول ، بل على العكس كنت أشعر بثقة ، كنت مستمتعة برؤية القاهرة بمبانيها و شوارعها التي تبدو متشابكة و ممتدة مثل خطوط في متاهة لا تنتهي مثلها مثل متاهات عقلي الذي لا يملك خريطته إلا أنا.

وصلنا المنزل الذي بدا مميزاً وسط المباني المحيطة ، فقد كان كبيراً تحيطه

حديقة ، مكون من طابقين ، كان بابها الخشبي الضخم المشغول بنقوش عثمانية معقدة يؤكد على دقة صانعه و ثراء مالكه، كانت أغلب مساحة الطابق الأول عبارة عن صالة كبيرة مخصصة لإستقبال الضيوف ، كان إستعراض للثراء واضح من خلال أرضيته الرخامية الوردية و العمدان الممزوجة بين الطراز الأندلسي مع لمسات عثمانية واضحة في الزخارف النباتية الذهبية التي تزين تيجان الأعمدة.

حمل أحد الخدم حقائبي ليأخذها للغرفة ، بينما سمعت خطوات متلاحقة تهبط من أعلى ، كانت هذه المرة الأولى التي أرى فيها بنات منصورة و يزيد الأربعة :

جلبهار .. نهر .. نور .. سرور

وقفن في أماكنهن ينظرن لي ، إكتست وجوهن بفضول واضح مع بعض مظاهر الغيرة الأنثوية المتفحصة التي تحدث دائماً عندما ترى البنات بنت أخرى أجمل منهم.

قالت منصورة لبناتها بنبرة مبطنة بدهاء : يا بنات !

تذكرن سالينا التي حكيت لكن عنها كثيراً ، أليس كذلك ؟!

من اليوم سالينا ستعيش معنا مثلما كانت تعيش مع الخالة آلماس رحمها الله .

ظلت الأربع بنات واقفات في أماكنهن ، كأن أرجلهن قد ثُبتت في الأرض.

جلبهار هي الإبنة الكبرى ، لها شعر أسود حالك مرفوع تصففه بشكل بسيط ، ردائها أنيق ، لكنه يشبه ملابس السيدات الأكبر سناً ، رغم إن ملامحها أقرب إلى والدها إلا إنها لم تكن في مثل وسامته حيث كانت الأطول و الأعرض بين شقيقاتها ، حتى طريقة تعاملها بدت صلبة كالرجال ، يبدو إن رغبة والديها الأبدية في إنجاب إبن قد أثرت على شخصيتها التي خلطت بين الملامح الأنثوية و الصفات الذكورية ، كنت قد علمت من آلماس إنها كانت قد تزوجت مبكراً ، لكن زواجها لم يستمر أكثر من سنة بعد أن مات زوجها فجأة .

نهر و نور توأم تشبهان الأم كثيراً ، لديهما نفس الملامح المتعالية ، العيون المتفحصة و الإبتسامة الشحيحة ، و حتى الشعر المصفف بعناية ، و يبدو من ألوان و تفاصيل فساتينهما إنهما تهتمان بأناقتهما و تسعيان للفت الأنظار .

بدتا و كأنهما في منافسة ضد بعضهماً أو إن هناك غيرة واضحة بينهما ، خطوات كل منهما تسبق الأخرى ، نظرات كل منهما تتحدى الأخرى ، و لم يكن هناك ما يميز نور عن نهر سوى خصلات شعرها المموج .

أما سرور فقد كانت الأصغر، بدت أكثر رقة من الأخريات ، الغرة الموجودة على جبهتها زادتها نعومة ، رغم إن عيناها بهما نفس النظرة الصارمة التي ورثوها عن الأم ، بدت منفصلة عنهن ، الحقيقة أن إسمها بدا على غير مسمى ، لم تكن تحمل أي نصيب من إسمها ، حيث بدت منطوية تفضل تجنب تلك التجمعات .

صاحت منصورة عليهن بأداء أم مسيطرة تصدر أوامر كما يأمر قائد عسكري جنوده : ماذا بكن؟! تحركن و رحبن بها.

في لحظة كانت الأربع بنات حولي يرحبن بي بأداء مصطنع.

ضمتني جلبهار و قبلتني بود مبالغ و قالت : أهلا بكِ في بيتنا، سمعنا عن جمالك لكن لم أكن أعرف إنكِ أجمل من الوصف بكثير.

تبعتها نهر و نور تقريباً في نفس الوقت بقبلات سريعة بينما أيديهم تتفحص جسدي ، شعري و ملابسي.

نهر بإبتسامة متهكمة تخفي ورائها غيرتها : بالطبع جميلة و لذلك مكانها الطبيعي معنا.

أضافت نور بنفس النبرة مشيرة لنفسها و لنهر: نعم ، زادت الجميلات واحدة ، برأيك سالينا من منا الأجمل؟

تهربت من الرد بإني سحبت سرور من مكانها لأحتضنها بينما لم تنطق سرور بكلمة و أكتفت بهز رأسها.

بعدها أخذوني لغرفتي ، كانت الغرفة في الطابق السفلي و ليس العلوي ، بررت منصورة ذلك بإن جميع الغرف في الطابق العلوي مشغولة ، و كانت الغرفة إحدى غرف الضيوف الموجودة في الطابق السفلي في الجناح الأيسر للطابق حيث كان الجناح الأيمن يشمل المطبخ و غرف للخدم المقيمين في البيت.

إنصرفت سرور ، و كأنها هربت بعد أن أتمت مهمة إستقبالي ، وقفت جلبهار تراقبني من بعد بينما رافقتني نهر و نور ، وقفتا تتفحصاني و أنا أفرغ حقائبي ، كان واضحاً أن فضولهما لم يكن فقط لإستكشافي ، إنما كل منهما لا تقبل أن تعرف إحداهما شئ لا تعرفه الأخرى.

أدعيت الأرهاق رغم إنني كنت مرهقة بالفعل و بحاجة للنوم ، كنت مدركة إن أمامي الكثير لأكتشفه في هذا المنزل المزدحم و يجب أن أكون في كامل طاقتي.

بعد ساعتين طرقت الخادمة على الباب لتوقظني حتى أستعد للغداء مع الأسرة ، قمت و أرتديت أحد فساتيني المفضلة و وقفت أمام المرآة أصفف شعري ، و أنا مبتسمة لأن أسرتي كانت موجودة حولي في المرآة كالمعتاد في ذلك العالم الآخر الذي يجمعنا دائماً.

خرجت من غرفتي و إتجهت لغرفة المائدة ، حيث كانت الأسرة تتجمع و قد وصل يزيد و بمجرد أن رأوني شعرت كأنني أرى شهقاتهم تقفز من أعينهم ، كانت البنات ينظرن إليّ نظرات مشبعة بغيرة دسمة ، أما الأب يزيد بدا كمن رأى مالم يتوقعه أبداً ، آخر مرة تقابلنا كانت منذ سنوات حيث كانت نظراته لي بنفس براءة شخصية الطفلة الساذجة التي كنت أتقمصها ، أما الآن فهو ينظر لي بنفس النظرة المنبهرة التي تسيطر على الرجل عندما يرى إمرأة جميلة.

لم تختلف هيئة يزيد كثيراً ، بل تضاعفت وسامته فما زال يتميز بملابسه الأنيقة و شعره المصفف و لحيته المهذبة بعناية شديدة ، إتجهت

إليه بآداء الفتاة التي تخفي عينيها من الخجل ، أما هو لم يحاول إخفاء الإنبهارالذي يشع من عينيه ، قام من على مقعده في مقدمة المائدة و فرد ذراعيه قائلا : سالينا ! من يصدق ؟! لقد كبرتي و أصبحتي أجمل الجميلات.

في تلك اللحظة عمت نظرات سريعة من الإستنكار المغموس بالغيرة على وجوه البنات ، ضمني يزيد و ربت على ظهري بحرارة قاطعتها صوت منصورة التي قالت بإبتسامة صارمة ليزيد : الأفضل أن نجلس لنأكل و إلا سيبرد الطعام.

جلسنا جميعا حول المائدة العامرة بكل أصناف الطعام ، لاحظت سيطرة الأم على مسار كل شئ حتى الإشارة بالبدء في الأكل ، لاحظت إهتمام يزيد ببناته بشكل واضح .

كنت أستطيع أن أشعر بنظراتهم و هي تراقبني ، نظرات تتلوى مثل أفاعي تزحف نحوي لتستشعر كل جزء مني .

قالت الأفعى الأم بفحيح مملوء بالتفاخر: ما رأيك يا سالينا في طعامنا ؟

توقفت الحيات الأربعة و نظرن ناحيتي متنظرين سماع إجابتي.

أجبتها بآداء الفتاة الخجولة الممتنة : يكفيني شكله و رائحته لأعرف إنه أطيب طعام ذقته.

مالت برأسها مصطنعة التأثر و قالت : أعلم إن الطعام في بيت آلماس رحمها الله كان يضرب به المثل في الأسكندرية بأكملها .

تدخل يزيد قائلاً بحماس شديد : دعونا ننسى الأحزان و نستمتع بطعامنا ، نحن أبناء اليوم واليوم يوم سالينا فنحن نحتفل بها .

رفعت منصورة حاجبها و قالت بصرامة مغلفة بدلال مصطنع : بالطبع ، نحتفل بسالينا اليوم كله و لكنها تعرف إنه بدأ من الغد مثلها مثل بناتنا !

يبدو أنه أصبح لك إبنة خامسة يزيد باشا , إبتسم يزيد إبتسامة مقتضبة غامراً وجهه في الصحن أمامه قائلاً : بالطبع بالطبع .

إنتهى الغداء ، جلسنا نتحدث قليلاً بشكل متكلف على مواضيع عامة من هنا و من هناك ، لاحظت عيون يزيد التي لا تفارقني إلا عندما يتذكر وجود منصورة التي لاحظت نظراته بالتأكيد ، بينما كانت جلبهار الكبرى تجلس بجانب والدها الذي بدا مقرباً لها أكثر من أمها ، أما نهر و نور قد جلستا حول منصورة ليكونوا الثلاثي الفتاك الذي لا يسلم من لسانهن أحد ، لم يتركن أحداً إلا و تحدثن عنه غالباً بالسوء ، بكل أنواع بالإشارات و الحركات و الغمزات ، أما سرور فواصلت صمتها فلا أتذكر إني سمعت منها سوى كلمات معدودة .

كنت أحاول أن أقرأ كل ما أستطيع قراءته في كتاب هذه العائلة الذي بدا مكتوبا بلغة سرية ، تحتاج لفك شفراتها ، لن يرضيني سوى قراءة كل سطر في ذلك الكتاب قبل أن أحرقه بناري التي لم تنطفئ يوما طيلة السنوات الماضية .

كانت الأسرة تتجمع يومياً على الغذاء و العشاء ، يزيد خارج المنزل أغلب فترات اليوم إلا في فترات الغذاء و الليل حيث يرسل لي دائماً تلك النظرات التي تنبض بالإعجاب كلما تلاقت عيوننا .

منصورة تتجول في كل أنحاء المنزل لتصدر أوامرها للجميع ، تراقب كافة من في المنزل كما تحرص على القيام بالزيارات و الواجبات الإجتماعية لكل سيدات العائلات الكبرى .

جلبهار تعشق النوم أغلب أوقات النهار ، تسهر أغلب الليل و لا يوجد لديها إهتمامات محددة حيث كانت أكثرهم بساطة و عفوية ، لكنها تبدو و كأنها تريد أن تعرف عني أكثر من أن تظهر لي .

نهر و نور معاً دائماً بكل مشاحاناتهما التي لا تنتهي ، تحرصان على المشاركة في كل المناسبات الإجتماعية بكل أشكالها مثلهما مثل أمهما ، أما سرور فهي على العكس تبدو معزولة عن الأسرة داخل المنزل و أن كانت لا تتجنب الزيارات الإجتماعية داخل أو خارج المنزل .

ضيوفهم كانوا من عائلات كبرى و معروفة بشكل دائم كل أسبوع ، تكون هذه الزيارات فرصة تستعرض فيها العائلة ثرائها و نفوذها ، يبالغون في الترحيب بضيوفهم بكل أشكال الطعام و أبهى الملابس بالأخص منصورة ، تستمتع بتزعم تلك الزيارات الإجتماعية و إدارة الحوار و معرفة آخر الأخبار، أما نهر و نور فهذه التجمعات تكون فرصتهما لإظهار أحدث فساتينهم و مجوهراتهم و بالطبع فرص ذهبية لإصطياد الأزواج و لفت أنظار عائلاتهم .

مضى شهر بنفس الإيقاع البطئ المتكرر، لم يتغير شئ ماعدا إنزعاج نهر و نورالواضح ، خاصة عندما يبدي الضيوف إعجابهم بي و بجمالي مما كان يثيرغيرتهما بشكل لم يستطعا إخفاءه و في إحدى الزيارات تعمدا عرقلتي و سكب المشروب على ملابسي حتى أنسحب من المكان ، حتى أن منصورة بدأت في التقليل من تواجدي في هذه الزيارات عن طريق إشغالي في أي شئ يبعدني عن الظهور بشكل واضح وسط هذه التجمعات.

و لكن الشئ المؤكد هو إهتمام نهر و نور المبالغ فيه سواء في ملابسهما أو تصرفاتهما و بالأخص عندما يأتي رجال أثرياء ذو مكانة عالية في تلك الزيارات فلم يكن يعنيهما في أزواج المستقبل سوى الثراء و السلطة و ليس الوسامة أو السن ، أما جلبهار فلم تبدي إلا القليل من الإهتمام لهذا الموضوع فقط لمجاراة المحيطين ، أما سرور فعلى العكس، لا يجذبها سوى الرجال الأكثر وسامة و الأصغر سناً.

أما أنا لم تعنيني كثيراً تلك الزيارات إنما كانت عائلة يزيد هي مسار إهتمامي الوحيد ، لذلك يجب أن أكسر الحواجز ، عوضها عنها أبني جسور بيني و بين كل شخص فيهم على حدة ، فمن منهم سيكون الهدف الأسهل الذي سيفتح لي الباب لأكتشف ما لا أستطيع كشفه وحدي.

و كان السؤال مع من أبدأ ؟

" إيكو و نرجس . . غرام و إنتقام"

سرور قد تبدو منغلقة على نفسها ، تتجنب التواصل مع الآخرين داخل المنزل ، و لكن قد يكون ذلك في مصلحتي ، فالأكيد إنها ترغب في الكلام مثلها مثل كل البشر، و قد يكون تجنبها للكلام لسبب ما و ليس لرغبتها المطلقة في الصمت ، ربما السبب هو إفتقادها لشئ أو لشخص ما .

كنت قد لاحظت إهتمامها الغريب ببعض الزهور المزروعة في الحديقة ، إنتهزت فرصة خروج منصورة و باقي البنات و إتجهت في صباح ذلك اليوم إلى الحديقة حيث كانت تروي زهورها و وقفت قائلة : أنا أعرف سركِ ؟

إلتفتت لي برجفة أقرب للصدمة عاقدة حاجبيها .

فاستدركت سريعاً بإبتسامة مشيرة للزهور: سركِ هو النرجس الذي تحبينه و تهتمين به كل يوم .

لم تعرني إهتماماً ، عادت لتروي زهور النرجس . إستمريت أنا بالكلام قائلة بطريقة تحاول إثارة فضولها : هل تعرفين أن وراء النرجس قصة حب غير عادية ؟

إرتجفت رموشها و إرتعشت يدها ثم قالت بصوت خافت : أي قصة حب ؟

جلست جانبها على الأرض متنهدة ، كأني أتذكر مشهد رومانسي و قلت : في الأساطير اليونانية القديمة كان هناك شاباً إسمه نركسوس و من

إسمه جاءت كلمة نرجس ، كان نركسوس أجمل شاب عرفته الأرض ، أعجب به كل من رآه سواء كانوا إناث أو ذكور، و لكنه كان يصدهم جميعاً ، فلم يكن يعرف الحب و لم يعطي للعواطف أي إهتمام، و كانت هناك فتاة جميلة إسمها إيكو معروفة بلباقتها و طريقة كلامها التي تجذب كل من حولها ، ذات يوم خرج نركسوس مع إصدقائه للصيد و رأته إيكو و وقعت في غرامه من أول نظرة ، ولكنها كانت تعرف جيداً إن نركسوس يملأه الغرور و لا يحب أحد و إنه يصد كل من يقترب منه ، فظلت تراقبه من بعيد من فوق التل ، و كان نركسوس يركض وراء فريسته من مكان إلى آخر إلى أن إصطادها ، وأراد أن يتفاخر بمهاراته في الصيد و لكنه إكتشف إنه ضل الطريق و إنه وحيداً في مكان مظلم مجهول.

توقفت عن الكلام و سرور تحدق في بعينان تطلبان المزيد فقلت : أشعر إنك مللتي من القصة ، دعيني أكملها في وقت آخر.

أجابت سرور سريعابنبرة إهتمام شديد : لا على العكس ، أريد أن أعرف ماذا حدث لنركسوس ؟

تنهدت مرة أخرى ، كأنني أستعيد مشاهد القصة من ذاكرتي لمرة ثانية و قلت : ظل ينادي طوال الوقت على رفاقه حتى يجدوه ، و كانت إيكو ما زالت واقفة على التل تراقبه و رددت وراءه كل كلماته مثل الصدى حتى تلفت إنتباهه ، ففرح نركسوس معتقداً إن أحد رفاقه هو من يجيبه ، إستجمعت إيكو شجاعتها ، ركضت نحوه بقوة كل المشاعر التي

حملتها له إلى أن وصلت له لترتمي في أحضانه لكنه دفعها بعيداً ، قائلا : إذهبي بعيداً . . أنا لا أريدك !

فوقعت إيكو على الأرض و جُرح كبريائها و كُسر قلبها فركضت بعيداً لتبكي . .

لاحظت دموع تلمع في عيني سرور ، هي تفرك كفيها ببعضهما بعصبية شديدة ، واضح أن القصة تلمسها بشكل ما ، إستمريت في رواية القصة غير مبالية : رجع نركسوس ، كانت نرجسيته تزيد كل يوم مثل جماله المتزايد ، بينما إيكو كانت تتعذب فذهبت لأفروديت آلهة الحب ، اشتكت لها فوعدتها أن تنتقم لها ، بالفعل كان نركسوس في أحد رحلات الصيد ، شعر بالإرهاق ، ذهب ليستريح و يشرب من تلك الواحة الجميلة ، فجأة رأي وجه بشريّ تحت الماء يناديه و قد كان أجمل من رأى ، و شعرلأول مرة بإنه يغرق في الغرام، و لم يستطع النوم من شدة تعلقه بعروس الواحة ، ظل يذهب للواحة ليتحدث لها و لم يستطع الوصول لها فهي تحت الماء و هو فوق الأرض ، ظل بجانب الواحة إلى أن ذبل و ذهب جماله ، مات من عذاب حبه . .

الحقيقة أن ذلك الوجه تحت الماء كان مجرد صورة وجهه المنعكس على سطح الماء ، لكن أفروديت كانت قد أنزلت به العقاب مستغله نرجسيته فلن يذوب عشقاً إلا في نفسه ، وبعدها أعادته الآلهة للحياة في صورة زهرة جميلة سميت نركسوس أو نرجس و لذلك أرتبطت الزهرة بمعاني الحزن و الغرور معاً.

لم أكد أتم جملتي حتى وجدت سرور تركض نحو المنزل . .

وقفت مكاني أراقبها و هي تختفي داخل المنزل ، كنت أعلم أن سهمي قد أصاب الفريسة في القلب ، لن تركض بعيداً قبل أن تسقط ، ببطء و بثقة رجعت أنا إلى المنزل و صعدت إلى غرفتها و طرقت على الباب مرتين ، دخلت وجدتها تجفف دموعها متحاشية النظر لي ، أدعيت الإحساس بالذنب و قلت بنبرة أسف : أنا أعتذر يا سرور إذا كنت قد قلت أي أشياء ضايقتك.

فركت كفيها و هي تقول بصوت حزين : لا أبداً فأنتي لم تضايقيني ، و إنما القصة ذكرتني بشئ ما . .

سكتت لحظة منتظرة أن تضيف شيئاً لكنها لم تتكلم ، فقلت مداعبة : لا تقولي إنكَ تعرفين نركسوس هل يمكن أن تعرفينني عليه ؟!

إبتسمت سرور إبتسامة شاحبة و هي تفرك كفيها و قالت : لكن نركسوس مات.

نظرت إليها و قلت بطريقة مباشرة : هل أحببتي شخصاً و مات ؟

نظرت ناحيتي مرتبكة و ترددت في الكلام . .

أضفت سريعاً : تستطيعين الكلام معي ، فأنا عشت فترة طويلة بحاجة إلى من يسمعني و أتفهم تماماً ما تشعرين به.

إستمرت سرور في فرك كفيها و كأنها تنظفها من أشياء غير مرئية ،

ثم قالت : حسن ، إبن أحد أصدقاء أبي ، كنت دائماً أسمع عن سحر وسامته من كافة الفتيات اللاتي رأوه ، في كل مرة كنت أشعر إنه لن يكون إلا لي أنا حتى قبل أن أقابله ، و في أول زيارة له و لعائلته جذبتني وسامته الشديدة و كلامه الساحر. إبتسمت سرور إبتسامة باهتة و هي تسترجع الصورة : رغم إن إخواتي حاولن لفت إنتباهه لهن لكنه لم يستطع مقاومة نظراتي له.

تنهدت و كأنها تذكرت تلك اللحظات وقالت : عندما قمنا برد الزيارة لهم ، دسّ ورقة في يدي كتب فيها إنه معجب بي و يريد مقابلتي على إنفراد في حديقة منزلنا ، في اليوم التالي في وقت متأخر، بالفعل تقابلنا ، كان يسمعني كلام عن هيامه بي و هو يمسك يداي و يقبلني ، تكررت لقائاتنا السرية ، كان تعلقي به يزيد مع كل كلمة يقولها لي ، مع كل لمسة ، حتى منديله الذي أعطاه لي كنت أحتفظ به و كأنه خاتم زواجي منه ، كأن هناك سحر يجعلني هائمة في حبه ليلاً نهاراً.

توقفت سرورعن الكلام لتأخذ نفساً عميقاً ، كأنها عادت لتوها من تحت بحار عميقة كتمت أنفاسها.

إبتسمت لها ، ربتت على يدها لأطمئنها ، استكملت كلامها قائلة : إلا أن رأتني أمي في ذات ليلة وأنا في أحضانه في الغرفة الخشبية الموجودة بالحديقة ، غضبت ، وبختنا ، لكنها لمّحت لحسن إنه لا يوجد مانع لديها أن يتزوجني حلا لهذه الفضيحة رغم إنني الصغرى بين إخوتي العازبات ، إبتسم هو لأمي ، هدأها بإسلوبه اللبق ، وعدها بزيارة مع أهله قريباً ،

لكنه لم يأتي مع أهله أو حتى وحده و إختفى ، توقف تماماً عن زياراته لي ، وسمعنا أقاويل عن إقتراب زواجه بأخرى ، حتى إن أمي إفتعلت زيارة لعائلته لتستكشف نواياه ، لكنه تصرف و كأن شئ لم يكن فكان يعرف إن أمي لن تخبر أحد عن لقاءاتي السرية به ، خصوصاً إن أبي قد يشن حروب إذا عرف إن إبنته كانت وقعت في الخطيئة معه ، رغم محاولة أمي لكنني أصريت أنا أحاول بنفسي معه ، صدني و بدا و كأنه كان يلعب بي و ملّ من اللعبة و رماها خلفه بكل بساطة.

سكتت سرور مرة أخرى ، عقدت حاجبيها و نظرت لي قائلة : و لهذا قررت أن أنتقم منه ، كان يستحق العقاب بعد ما فعله معي ، فهو لن يكون لغيري إذا لم يكن لي أنا !

طلبت من أمي أن تأخذني لذلك الرجل المخيف صوّان ، المعروف بسحره الأسود الذي يستخدمه لمن يريد أن يأذي أحد أو ينتقم من أحد ، لا يعنيه إلا المال ، من يدفع له يصل إلى مراده.

قلت و كأنني أتفهمها : و ماذا فعل ذلك الرجل .. صوّان؟

شردت ببصرها ثم قالت : صوّان شخص مخيف ، وحش من عالم آخر ، لا يشبه البشر العاديين ، التعامل معه لا رجعة فيه ، بعد ما حكيت له ما حدث سألني أسئلة كثيرة عن حسن و إسم أمه و محل منزله و شهر ميلاده و حتى عطره المفضل ، أخذ مني منديل حسن ، كتب عليه كلمات بلغة لا أفهمها ، رسم طلاسم حولها ليس لها معنى ، فتح قنينة عطر و سكب منها ثلاث نقاط في منتصف المنديل ، ردد بعض

الكلمات بإيقاع غريب ثم كرر كلام عجيب لم أنساه أبداً: (تنفسي .. تنفسي .. تنفسي يا زهرة الحب من العطر المسموم و المبعوث من آيار و برمودة و شعبان) .

ثم أعطاني المنديل بعد أن طواه ، طلب مني أن أربطه بنفسي في سور منزل حسن أو في أحد أشجار حديقتهم ، و إلا سينزل العقاب بي أنا إن لم أفعل ، و بالفعل نفذت كل ما طلبه.

سكتت سرور فسألتها بصوت هامس : ماذا كان عقابه ؟ هل مات ؟

تحشرجت الكلمات في حلقها و هي تقول : عرفنا إن حسن هاجمه المرض فجأة على مدى ثلاثة أيام ، إحتار فيه كل الأطباء فقد كان يسعل بصوت غريب ، يختنق كأنه يشم رائحة قاتلة لا يشمها أحد غيره ، حاولوا معه بكل الأدوية و الوصفات ، داوموا على تجديد الهواء كل صباح ، كان يختنق ببطء شديد إلى أن مات في اليوم الثالث مختنقاً .

مشيت نحو النافذة المطلة على زهور النرجس في الحديقة ، ثم إستدرت لها و قلت : عطرحسن المفضل كان من زهرة النرجس، أليس كذلك؟

و هي نفس الرائحة التي إستخدمها صوّان في سحره ، سكب منها ثلاث نقاط على المنديل ..

لقد أختنق حسن بما كان يعشقه ..

إرتعشت عينا سرور بين غضب و حزن ، قالت : كان يستحق العقاب ، لكنني لم أكن أعرف إن عقابه سيطاردني بقية حياتي ، كان يجب أن

أفهم أن القرب من صوّان ليس بمزحة ، بالأخص إنها لم تكن المرة الأولي التي نتعامل معه فيها . .

نظرت إليها قائلة بدهشة : حسن لم يكن الوحيد ؟

تجمدت سرور و تجمدت دموعها و كأنها إستوعبت للتو إنها كشفت لي كل هذه الأسرار، قبّلتها لأهدئها ، نصحتها أن تنام قليلاً لترتاح ، وقفت أتأملها وهي تنام ، وجدت نفسي أبتسم فقد كان حسن و سرورمثل نركسوس و إيكو ، كان صوّان بديلاً لأفروديت ، كان النرجس بغروره قاسماً حزيناً جمع بين الأسطورة السوداء و الحقيقة الحالكة.

هل تزرع سرور النرجس لتبقي ذكرى حسن حية ؟!

أم تحاول أن تموت بعطره المفضل ؟!

هل تشعر بالذنب لأنها قتلته ؟

أم تشعر بالألم لأنها فقدته و لم يعد ملكها كما أرادت ؟!

غريب هو الشعور بالذنب بعد الإنتقام !

لماذا لم أشعر به بعد موت آلماس ؟

ربما يولد الذنب من الإنتقام الممزوج بالغرام ، لكن إنتقامي ممزوج بكراهية لا تولد إلا السعادة . .

في الأيام التالية زاد التقارب بيني و بين سرور ، لاحظ الجميع ذلك ،

كنت أحاول أن أبدو طبيعية ، أمام غمزات و إشارات الإخوات الثلاث ، وأمام فضول الأم لكي تعرف كيف نجحت أنا فيما فشلوا كلهم فيه ، كيف أخرجت سرور من عزلتها و تقربت منها ، و لكنني كنت أحاول البقاء على مقربة منهم جميعا مستغلة كل المواقف اليومية التي تجمعني بهم ، بينما كانت علاقتي بيزيد لا تتخطى الجلوس معاً أثناء الغداء أو العشاء حيث كانت منصورة ملاصقة له طالما كنت أنا جالسة ، لذا لم أحاول أبداً إثارة غضبها بإفتعال أي أحاديث معه خارج النطاق اليومي المحدود ، و إن كنت أبادله نظراته المختلسة ناحيتي بإبتسامات خجولة لا يلحظها أحد ..

كانت عيوني تسجل كل همسة أو إشارة أراها في هذا البيت ، كنت أعلم إن قوتي ستزيد كلما زادت معرفتي بكل شخص منهم ، لكن السؤال الذي كان يدور في بالي طيلة هذه الأيام هو من غير حسن تخلصوا منه بمعاونة صوّان؟

إكتشفت أن الأجابة كانت أمامي طول الوقت ، و لهذا قررت أن أستغل أقرب فرصة للتقرب من جلبهار..

∞

" عنكب و عنكبوت . . حياة أو موت "

كانت علاقتي بجلبهار هي الأفضل نسبياً بعد سرور، لم تكن جلبهار من نوع النساء اللاتي يدعين الأنوثة طوال الوقت و إن كانت تظهر بعض الغيرة الأنثوية في بعض المواقف ، لكنها كانت الأكثر إعتدالاً بالمقارنة مع باقي البنات ، و في أحياناً أخرى بدت لي و كأن الرجال ليسوا في قائمة إهتماماتها ، إنما تتدعي الإهتمام بالرجال لمجاراة من حولها عندما يتكلمن عن الرجال و الزواج . .

و في أحد الليالي كان جميع من في البيت قد ناموا مبكراً إلا جلبهار التي كانت تجلس على مقعدها المفضل في الصالون ، تدخن من سجائر يزيد كعادتها ، فتحت باب غرفتي و فجأة صرخت صرخة خافتة تكفي لتسمعها هي فقط ، ركضت جلبهار نحو غرفتي و في يدها سيجارتها ، رافعة حاجبيها قائلة :

سالينا !! ماذا حدث ؟

وضعت يدي على صدري ، و أنا أتنفس بصعوبة كأني أعود إلى الحياة ، أجبتها برقة خائفة : عنكبوت ! كان يوجد عنكبوت في الغرفة !

نظرت لي بخيبة أمل و كأنها إنتظرت أن أقول كان هناك شبحاً في الغرفة و قالت : عنكبوت ! مثلك مثل إخوتي ! أنا لا أجده مخلوقاً مخيفاً أبداً.

جلست أنا على طرف سريري ، قلت : معكِ كل الحق ! إنما نحن إعتدنا وراثة الخوف عموماً .

إبتسمت و هي تدخن سيجارتها ، أومأت رأسها و كأنها توافق تماما على كلامي ، أضفت أنا : العنكبوت مخلوقاً أكثر تعقيداً مما يبدو، تعرفين إنه يطلق على الأنثى لقب الأرملة السوداء . .

إختفت إبتسامتها في لحظة و تغير وجهها ، فقد بدا اللقب ملائم تماما لجلبهار بشعرها الأسود الحالك و صدر فستانها الأسود المشغول بخيوط متداخلة بالإضافة لحقيقة كونها أرملة ، فأضفت سريعا بنبرة الطفلة التي تسرعت في الكلام واضعة كفي على فمي : آسفة يا جلبهار . . لم أكن أقصد أبداً .

رفعت أكتافها و كأنها غير مبالية و قالت : آسفة لماذا ؟ هل أبدو لكِ بثمانية أرجل ؟

ضحكت أنا و أجبت بسرعة : أنتي أجمل البنات ، أنا كنت أعتذر إذا كنت قد ذكرتِك بزوجِك رحمه الله . .

مطت شفتيها و هي تمرر أصابعها على رقبتها ، نظرت جانباً و قالت : و هل كنت متزوجة لأتذكر الفقيد المغفور له ؟!

ضحِكت مرة أخرى سريعاً و قلت : يبدو أن السجائر لها مفعول سحري للنسيان . .

ضحكت جلبهارثم أطفأت السيجارة ، جلست جانبي و هي تغمز

بعينها : ليست السجائر وحدها التي لها مفعول السحر!

لماذا يطلقون على العنكبوت لقب الأرملة السوداء ؟

وقفت أمامها و وضعت يداي على خصري و رفعت حاجبي قائلة بأداء مسرحي : لأنها تقتل زوجها !

تغير وجه جلبهار مرة أخرى ، فأضفت كأني لم ألاحظ : أنثى العنكبوت قوية ، فهي تبني بيتها وحدها ولا تكل أو تمل و لا تتهاون أبداً ، لكن الذكر ضعيف و كسول ، فهو يريد البيت جاهزاً فقط للإنتقال للعيش فيه ، في البداية تعطيه الأنثى الفرصة للحياة ، لكنه يواصل ضعفه و كسله ، لذلك تقرر أن تقتله بعد التزاوج لأن في موته إفاده على الأقل ، فهي تأكله لأن أنسجته مفيدة في تغذية صغارها ..

برقت عيون جلبهار إستمتاعاً بالقصة قالت : إذن معها كل الحق أن تقتله ، ليّت النساء يتعلمن من العنكبوت ..

قلت أنا لها بدلال : ليس كل الرجال يستحقون الموت ..

ردت هي بصلابة رجل : لا كلهم يستحقون القتل ، إنهم مخلوقات أنانية تعيش على قهر النساء ، و يريدون أن يأخذوا و لا يعطوا ، أن يستمتعوا بكل شئ و يحرموننا من كل شئ ..

نظرت لها و كأني تأثرت بكلامها و قلت ببطء شديد مثير للإعصاب : يبدو إن تجربتِك في الزواج كانت قاسية ، لكننا لا نستطيع العيش دون رجال ..

عقدت حاجبيها بإستنكار ، وقفت كأنها ترفض ما أقوله فأضفت : أتمنى أن يعوضك الله قريباً بزوج مثالي ليسعدِك ..

قالت جلبهار بإنفعال سريع : سأقتله هو الآخر..

نظرت لها و كأني مصدومة وبدت هي مرتبكة و كأنها إستوعبت زلّة لسانها ، فقررت أن أطرق على الحديد و هو ساخن ، أرتميت بين ذراعيها ، شعرت و كأن جلبهاربحاجة لهذا الحضن ، كانت تضمني و كأنها لا تريد أن أفلت منها ، لكنني مسكتها من ذراعها ، أخذتها لنجلس مرة أخرى ، مسكت كفها و قلت : هل كان يضربك زوجِك ؟

نظرت إليّ جلبهار ، في عيونها نظرة رقيقة لم أراها من قبل و قالت : لا ..

قلت لها في حيرة هامسة : و لماذا قتلتيه ؟

أجابت بسرعة : أنا لم أقتله ، إنما شخص آخر فعل ..

عقدت حاجباي كأنني لم أفهم .

تنهدت هي و أضافت : رجل يقوم بأعمال السحر الأسود ، لجأت له ليخلصني من منه ..

أدعيت إنني ما زلت لا أفهم الصورة كاملة وقلت : و لماذا تزوجتيه ؟

إبتسمت إبتسامة ساخرة ، مالت برأسها ، قالت : و هل أستطيع الإعتراض ؟

أنا لم أرد الزواج على الإطلاق ، سبق أن إعترضت على أكثر من شخص لكن بنت في العشرين سينعتها الناس بمائة صفة إذا لم تتزوج بالنهاية . .

هو من عائلة كبيرة و يصعب أن أرفضه بالأخص أن والداي أصرا على أن اتزوجه . .

ربتت على يدها مرة أخرى و قلت : ماذا فعل لكِ ؟

هزت رأسها بلامبالاة مزيفة قائلة : لم يكن يعذبني بالضرب و لكنه كان شخص ضعيف ، لا يهتم إلا بالأكل و الجنس ، كان يتعمد إحراجي أمام أمه و عائلته لإثبات رجولته لأنه كان يشعر إنني أقوى منه . .

صمتت لحظات ثم قالت و في عينيها إبتسامة مكر: حاولت أن أشكو لوالداي و لكنهما لم يهتما ، فأفتعلت المشاجرات المتكررة معه ، تقمصت دور الضحية ، في البداية لم أشأ أن أقتله ، لذلك ذهبت للداهية صوّان من وراء أمي ، و ما المانع ؟

نهر و نور تذهبان له كثيراً من ورائها ، و أعطيته بعض من مجوهراتي و طلبت منه أن يفعل أي شئ ليهدم كرامته و يحرمه من رجولته ، أردت التخلص من أي علاقة جسدية معه فلم يكن لدي أي رغبة فيها أبداً . .

زادت إبتسامتها الماكرة ، مررت أصابعها على رقبتها و أضافت : بالفعل ذلك الداهية صوّان جعله رجل تالف جنسياً ، من هنا جاءت لي الفرصة أن أعايره ، أنتقم مما جعله أكثر جنوناً ، جعل أمه تزيد من إهانتي و بالفعل بدأ والداي أن يقفا بصفي إلى أن تشاجرت معه في ليلة ،

صفعني ، جئت أبكي لأمي التي قالت بدون تردد إننا يجب التخلص منه مادام وصل به الحال لذلك ، و بالطبع وافقت و ذهبنا لصوّان الذي لم يخبر أمي بفعلتنا السابقة ..

قلت لها بفضول واضح : وماذا فعل به صوّان ؟

نظرت جلبهار لي ، قد عادت النظرة الرقيقة لعيونها : لا أصدق إنني أخبركِ بكل هذا ، و لكنني أشعر بالإرتياح معكِ و لا أعرف لماذا !

شكرتها فمالت نحوي و قالت : لماذا تهتمين بأمري ؟

أدركت إن جلبهار تشعر بإنجذاب نحوي و أردت أن أحفظ ثقتها بي و قلت : لأنكم مثل عائلتي الآن ، لطالما أردت أن يكون هناك شقيقة تهتم بي و أهتم بها ، أنا أشعر بذلك معكِ ..

بهتت نظرتها الرقيقة قليلاً ، ثم قالت برقة لا تتلائم مع شخصيتها و هي تتداعب خصلات شعري : طالما أردت أنا أن يكون لدي صديقة مقربة جميلة مثلكِ أشاركها كل شئ ..

إبتسمت ، شكرتها مرة أخرى ثم قلت : لم تخبرينني ماذا فعل به صوّان ؟

رجعت جلبهاربظهرها ، وضعت ساقاً على الأخرى : كما أخبرتكِ إن زوجي المغفور له كان يأكل أكثر من دب بري ، كان يعشق الملح على الطعام ، و مائدة الطعام لا تخلو أبداً من الملاحة الخاصة به التي تحتوي على الملح البحري المفضل عنده ، طلب صوّان أن آتيه بها بعد أن سألني

عن كل شئ يفعله زوجي في يومه ، قام بطقوسه الغريبة بعد أفرغ الملح في صحن أسود عليه نقوش محفورة لم أفهمها ، ثم أتى بدودة حمراء وضعها في قلب الصحن ، ردد بعض الكلمات الغريبة لا أتذكرها جيداً مثل : عوساء البحر .. شيصّان .. أيروس !

أخرج تلك الدودة من الملح ، أعاد الملح في الملاحة مرة أخرى ، لكنني رأيت أغرب شئ في حياتي ، كان الصحن بلا أي نقوش عليه و كأنها تبخرت !

مررت جلبهار أصابعها على رقبتها كعادتها ثم أضافت : و بالفعل وضعت ملاحة الطعام على المائدة ، كان يستخدمها كعادته ، و الغريب أن بدأ أن يأكل بشراهة أكبر من شراهته المعتادة ، كأنه لا يشبع و لا يستطيع التوقف ، كان يأكل و يأكل إلى أن شعر بالألم ، لكنه إستمر و بدأ الصراخ و تجمعنا حوله و أحضرنا طبيب ، إستمر في الصراخ طالباً المزيد من الطعام ، حاولوا منعه لكن لم يستطع أحد إيقافه ، لم تنجح أي أدوية في إيقافه إلى أن إضطروا لربطه في السرير، و لكنه فك قيوده أثناء الليل و إستمر في الأكل إلى أن مات ..

وقفت ثم إتجهت إلى المرآة و نظرت لها قائلة بصوت خافت : كان أكثر ما يحبه هو الطعام ، لقد قتله ما أحبه هو الآخر، لقد إلتهم الطعام زوجك بدلا من أن يلتهم زوجكِ الطعام !

نظرت ناحيتي جلبهار مستفسرة ، تركت المرآة و ألتفت لها بإبتسامة حانية قائلة : أتفهم ما فعلتيه ، لقد نال ما يستحق ، لا تقلقي ، من

اليوم أصبح لديكِ صديقة تستطيعين الوثوق بها.

نظرت إلي جلبهار ، قد بدت مخدرة بكلماتي ، أرتمت في أحضاني ، لحظتها إبتسمت أنا مرة أخرى و أنا أتأملها فهي بالفعل الأرملة السوداء لم تجد لزوجها أي نفع فتخلصت منه ، لم تأكله كما تفعل أنثى العنكبوت ، إنما سلطت عليه قوة صوان السوداء التي جعلت قاتله هو الطعام أكثر شئ أحبه في حياته كما كان عطر النرجس قاتل (حسن) هو الآخر.

إذاً فصوّان يستخدم أكثر ما يحبه الشخص و يحوله إلى سلاح قاتل ..

صوّان يحول الحب إلى سفاح لا يرحم ضحيته ..

و كما حدث مع سرور تكرر مع جلبهار حيث زادت جلساتي معها و تقربها مني ، فضلت كل منهما أن تكون على إنفراد بي و لكنني إستطعت منحهما الشعور الذي تريداه ، شعور الإمتلاك ، أعطيت كل منهما ذلك الشعور بإمتلاكي كصديقة خاصة لها تستطيع مشاركتها أي سر يخطر ببالها ، بالطبع زاد فضول منصورة الذي كان يظهر في كل تعليقاتها و في ذلك اليوم على مائدة الطعام دار ذلك الحوار ..

منصورة بحاجبها الأيمن المرفوع و إبتسامتها الداهية : ألم تلاحظ يا يزيد كم أصبحت سالينا مقربة من بناتنا في وقت قصير؟

لم ينظر لها يزيد فقد كان ينظر إلي و هو يأكل من صحنه قائلاً بغزل مستتر: و لماذا ستجد البنات صعوبة في التأقلم مع القمر؟

كانت جلبهار تجلس على يساري فربتت على رجلي بينما إبتسمت لي سرور من يميني ، نظرت كلاً من نهر و نور لبعضهما نظرة مستنكرة ممزوجة بالغيرة التي تشع منهما ليلاً و نهاراً فلم أملك مفاتيحهما حتى الآن ثم نظرا ناحية منصورة التي ضمت شفتيها قائلة : لا !

أنا سعيدة إن سالينا تأقلمت معنا و إن كنت بدأت أن أغير منها ، فبناتي لا يجلسون معي بقدر ما يجلسون معها ..

إبتسمت أنا مدعية البراءة الرقيقة التي تذيب الرجال و تخدع النساء : لا أحد يستطيع أن يأخذ مكان سيدة راقية و أم حنونة مثلك ..

نزل حاجب منصورة الأيمن إلى مكانه الطبيعي ، عادت شفتيها إلى وضعهم الأصلي ، كأن جملتي خدرتها مؤقتاً ، إستمر يزيد في إلتهام ما في صحنه بينما عيونه تلتهمني أنا ، أما نهر ونور كانا خارج نطاق سيطرتي ، أدركت إنه آن آوانهما ، لكنني لم أعرف كيف أتقرب منهما ، أكسب ثقتهما كما فعلت مع الشقيقتين الكبرى و الصغرى ، فهما نماذج مصغرة من الأفعى الأم التي يصعب ترويضها إلا بعد إزالة سمها ! و كيف أزيل سمهما ؟! كل ما عرفته عنهم إنهم سبق لهم زيارة صوّان أكثر من مرة ، كأنهم لم يلجأوا إليه في حالات فردية كما حدث مع سرور للإنتقام من حبيبها ، و ما حدث مع جلبهار للتخلص من زوجها

∞

"عيشة . . القنديشة"

معظم أحاديث نهر و نور تدور حول الناس ، القريب منهم و البعيد ، من تزَوجت مِن مَن و مَن تركت مَن ، مَن بدت قبيحة و مَن صارت دميمة ، مَن بدا فستانها رخيص و مَن و مَن و مَن . .

كانا في حالة إستنفار و غيرة من العالم أجمع ، عندما تقضيان على من تبقى من العالم تبدأ غيرتهما تجاه بعضهما . .

لم أفهم أبدا سبب عدم زواجهما ، على عكس جلبهار كانت رغبتهما في الزواج واضحة للسامع و الرائي ، لماذا تذهبان لصوّان بكثرة ؟

لماذا تذهبان بدون منصورة ؟

هل تذهبان لصوّان ليأتيهما بنصيبهما ؟

لكن صوّان يبدو و كأنه تخصص في الألم و الإنتقام و الموت ، أما الفرح و الزواج و الحياة فتبدو ككلمات لم و لن تسكن قاموسه . .

كان التقرب من نهر و نور صعب جداً فلم تكن هناك أي فرصة تجمعني بأي منهما ، فهما غالباً مع أمهما داخل المنزل و خارجه . .

كنت أحاول إستغلال كل الفرص التي تجمعني بهم ، لكنني لاحظت توترهما من وجودي ، بالأخص عندما يأتي ضيوف إلى المنزل حيث

أبدى أغلبهم الإعجاب بي ، كان من الواضح إن جمالي يثير غيرتهما و خوفهما في نفس الوقت ، فهما لا تقبلان فكرة أن تكون أي فتاة أجمل منهما أو حتى ترتدي ملابس أفضل منهما ، لهذا كان حرصهما على حضور كل الزيارات داخل المنزل أو خارجه مع أمهما لإظهار نفسهما أمام الجميع ..

من خلال أحاديثي مع جلبهار و سرور كنت قد فهمت إن نهر و نور يشعران بالمنافسة تجاه بعضهما منذ الصغر، لم تستطيع أي منهما تكوين صداقات ناجحة ، كما كانتا تعانيان من سوء الحظ في الزواج ..

كادت كل منهما أن تتزوج من قبل و لكن دائماً ما ينتهي الإرتباط قبل الزواج بفترة قصيرة لأسباب غير مفهومة ، مرة لإصابة العريس المرتقب في حادث إصابة بالغة ، و مرة لسفر الآخر فجأة و بدون أسباب ..

يبدو أن خيبة أمل والديهما من إنجاب توأم من البنات بعد الإبنة الكبرى قد أثرت عليهما منذ طفولتهما و أدت لرغبة كل منهما في أن تكون الأفضل و الأجمل ..

دائما كنت أشعر هناك سراً ورائهما أكثر قبحاً من أسرار جلبهار و سرور..

كانت الكثير من التساؤلات حولهما تدور في رأسي كلما رأيتهما متلاصقتين في كل مكان .

كيف تقضيان أغلب أوقاتهما معا بالرغم إن كل منهما تحمل غيرة

شديدة تجاه الأخرى ؟

لماذا تذهبان لصوان كثيراً ؟

في أحد الأيام كانت الخياطة موجودة بالمنزل حيث كانت تحيك لكل منهما فساتين جديدة ، وقفت نهر و نور أمام المرآة يتفحصن فساتينهن ، شعرت أن كل منهما تريد أن يبدو فستانها الأجمل و الأكثر إختلافاً ، بالرغم من ذلك بدت الفساتين متشابهة جداً و لكن عيونهما لم تعد ترى التشابه من فرط رغبتهما في الإختلاف !

دخلت الحجرة ، وقفت أتأملهما ، و أنا أضع على وجهي علامات الإعجاب الشديد و الإنبهار المبالغ و قلت : لا أصدق ، كم هي جميلة فساتينكم ، كل فستان أجمل من الآخر . .

إنتعشت الخياطة ، نظرت لي بفخر ، إستمرت في عملها بهمة و نشاط مثل نحلة لا تكل و لا تمل ، بينما نظرتا نهر و نورلكل منهما نظرة غيورة متفحصة ثم نظرتا للمرآة على نفسهما و أستدارا ناحيتي ، وضعت نهر كفيها على خصرها و قالت بنبرة تعالي واضحة : إنها أغلى أقمشة و أحدث تصميمات ، بالتأكيد أجمل فساتين ، دائماً نكون نحن الأكثر أناقة من كل الأخريات و لكن هناك دائماً فستان أجمل من الآخر حتى فيما بيننا . .

و تحسست نهر أكمام فستانها بإعجاب كأنها تؤكد على إن فستانها هو المقصود بالأجمل ، بينما كانت تبرم نور خصلة من شعرها حول أصبعها

و قالت نبرة تحدي لا تخفى على أحد : دائماً ما تظنين ذلك يا نهر ، و بالنهاية ينال فستاني أنا كل الإعجاب ..

ثم نظرت لي قائلة : سالينا أنتِ قولي فستاني أم فستانها هو الأجمل ؟

حافظت على ملامح الإنبهار على و جهي ، إبتسمت قائلة في حيرة : حقاً يصعب إختيار الفستان الأجمل ، لكن الأهم من الفستان هو من ترتديه ، و كلاكما تزيداً الفساتين جمالاً ..

مالت نور برأسها ، تطلعت للسقف ، مازالت تبرم خصلة شعرها حول أصبعها و كأن راق لها كلامي ..

بينما إستدارت نهر للمرآة مرة أخرى ، و أحد كفيها مازال على خصرها قائلة و هي تطلع ناحية نور : معكِ حق سالينا ، قوامي يزيد أي فستان جمالا على عكس (نو ....

قاطعتها قائلة و كأني تذكرت شيئاً مثيراً : لقد تذكرت تلك القصة التي سمعتها و أنا صغيرة ، كم كانت ترعبني وقتها ، جعلتني أتطلع على أقدام النساء قبل فساتينهم مهما كانت جميلة ..

توقفت الخياطة عن حياكة الملابس ، تجمدت الإبرة و الخيط في يديها ، تطلعتا نهر و نور على أقدامهن في نفس اللحظة ثم نظرتا إليّ بفضول يشتعل و قالت نهر: أي قصة ؟

صمتت للحظات أشعلت فيها فضولهن أكثر و أكثر ثم قلت بصوت خافت : قصة عيشة القنديشة !

رفعت نور حاجباها و قالت بنفس النبرة الخافتة : عيشة مَن ؟

جلست على المقعد المقابل لهم ، ملت بنصفي الأعلي تجاههم و كأني على وشك إطلاعهم على سر و قلت : لا أحد يعلم إن كانت عيشة حقيقة أم خيال ، فقد قيل عنها الكثير من القصص ، إنها إمرأة مغربية فاتنة ، منهم من قال إن لقب القنديشة جاء من لقب عيشة الكونتيسة ، هو لقب أطلقه الجنود البرتغال عليها خلال القرن الخامس عشر حيث قيل إنها كانت تدعم الجيش المغربي ضد الإستعمار البرتغالي ، منهم من قال إن البرتغاليون قتلوا جميع أهلها و لذلك تولد عندها كراهية وحشية ضد الرجال و لكن الكثيرين أكدوا إنها ليست من جنس البشر ، إنما كانت جنية ملكت عقول و أجساد الرجال ، حيث كانت تغوي الرجال و تستدرجهم ثم تقتلهم لتتغذى على دمهم و لحمهم . .

شهقت الخياطة المسكينة ، ضربت على صدرها من فرط إندماجها بينما إتسعت عيونهم جميعاً فاستمريت أنا بنفس الآداء المسرحي : لم يسلم منها أقوى الرجال و أصلبهم فقد كان سحرها لا يقاوم ، إغراء جسدها يضعفهم ، كانت تبقي الكثير من الرجال أحياء أسرى لجمالها ، المتزوجون منهم ينفرون فجأة من نسائهم و يتركوهن و العزاب لا يستطيعون الإقتراب من أي إمرأة سواها و كأن أعينهم لم تعد ترى سواها . .

شردت كل من نهر و نور للحظة ، صمتت أنا لأتأملهما ثم أضفت :

بالرغم من جمالها الشديد و جسدها الفتّان إلا إن قدميها كانوا مثل قوائم الجمل ..

نظرن جميعاً نحو أقدامهن مرة أخرى بينما أضفت : في أحد المرات إعترضت طريق مجموعة من الرجال الذين كادوا الوقوع في شباكها ...

صمتت للحظة بدت لهن كدهر كامل من فرط إندماجهن ثم أضفت بنفس الآداء المثير: قيل إنها لم تكن تخاف من أي شئ إلا من النار، خلعوا الرجال عمامتهم و حرقوها أمامها لإخافتها ..

سألتني نهربقلق : هل قتلوها ؟

أجبتها : لا لقد هربت ..

شعرت و كأن نهر تنفست بإرتياح و أستمريت أنا : قيل أيضاً إنها ليست بالجمال الذي تظهر به مرتدية ملابس مغرية ، لكنها في الحقيقة إمرأة قبيحة بجسد متهدل و أقدام مثل الجمل تسحر الرجال حتى لا تحظى بهم أي إمرأة أخرى ..

توقفت نور عن برم خصلة شعرها ثم قاطعتني بتوتر: و لكن أين ذهبت عيشة ؟

أقتربت منهم و قلت بخفوت : لا أحد يعلم بالضبط ، لكن يقال إنها قررت الإستقرار في عالمها عالم الجن ، و التفرغ لإنجاب جيل جديد من الجنّ !

كانت نظرات نهر و نور تتذبذب بين الشرود و التوتر الملحوظ مما أوحى لي بأفكار قد تكون إجابات لكل الأسئلة التي تدور برأسي حولهما ..

أفكار سيطرت على رأسي طوال الشهور السابقة ، أفكار تراقصت أمامي كلما رأيتهما معاً لا تفترقان بالرغم من تنافرهما ..

ماذا لو كانت رغبتهما الدائمة لتكونا مسار إهتمام الناس و بالأخص الرجال هي سبب زيارتهما المستمرة لصوّان ؟

ماذا لو كانت غيرتهما من باقي الفتيات هي سبب ذهابهما لصوّان ؟

كل القصص التي يحكونها عن الفتيات آلاتي صارن دميمات أو مريضات أو آلاتي إنفصلن فجأة عن أزواجهن أو حتى تعرضن لمواقف محرجة ، ماذا لو كان كل هذا من أفعالهما بمساعدة صوّان ؟

لكن ما هو تفسير عدم إكتمال زواج كل منهما لأسباب غامضة ؟

فجأة توقفت كل الأفكار الراقصة عن الحركة لتفسح الطريق لتلك الفكرة المجنونة التي قد تكون إجابة لتساؤلاتي ..

أيمكن أن تكون كل منهما تحارب الأخرى و لا تعلمان ؟! و لهذا لا تفترقان مع إنهما لا تطيقان بعضهما ، كل منهما تحاول أن تبعد الشبهة عن نفسها و هي تراقب الأخرى في ذات الوقت ..

فجأة ربطت كل حكاياتهما و تصرفاتهما مع ردود أفعالهما ، و وجدت تحليلي للأمور يقنعني بشدة على الرغم من جنونه !

بعد ذلك اليوم إنكسر الحاجز بيني بين نهر و نور بشكل ما ، لم أقترب منهما بنفس إقترابي لجلبهار و سرور ، لكنني لم أكن بحاجة للإقتراب أكثر، كنت على يقين إنني قد علمت سرهما ، بل علمت أكثر مما تعلمه كل منهما عن الأخرى ، بالإضافة إن إقترابي المفاجئ منهما قد يثير شكوك و غيرة منصورة أكثر التي لا تخفيه عيناها كلما رأتني جالسة مع جلبهار و سرور ..

إذا كانت الأفاعي الصغار قد فعلن كل هذا ، فماذا يمكن أن تكون أفعال منصورة الأفعى الأم ؟!

إن الشر يسكن في هذه العائلة و يجري في دمائها ..

هذه العائلة تحالفت مع الشيطان ..

الشيطان المسمى بصوّان ..

لن أتفاجأ بما تفعله منصورة ، فالأشخاص الذين شاركوا في قتل عائلتي ليس غريباً عليهم أن يفعلوا أي شئ ، ليس غريباً أن تسلك بناتهم نفس الطريق الدموي ..

∞

"النساء أولاً"

في الأسابيع التالية إستمرت علاقتي بجلبهار التي تكاد أن تهيم بي عشقاً ، و سرور التي كانت تشاركني أي فكرة تخطر ببالها ، و بالطبع تحسنت علاقتي مع نهر و نور بشكل أفضل من السابق و مع ذلك حاولت ألا أثير شكوك منصورة التي تعتبر بناتها ملكية خاصة لا يجوز لأحد الإقتراب منها بالأخص إذا كانت تلك الملكية تحمل الكثير من الأسرار الدموية ..

و مع كل محاولاتي للتقرب من منصورة إلا إنها بدت ، كأنها تضع حدوداً لي في التعامل معها يصعب تخطيها ، بداية من أول يوم لي في المنزل عندما أعطتني غرفة في الطابق الأرضي لأبقى بعيدة عن الطابق العلوي و غرف نومهم ، و أيضاً عندما بدأت غيرتها تظهر بشدة كلما إقتربت من البنات ..

يوجد بالمنزل مكتبة كبيرة مملوءة بكتب لا حصر لها ، أشك أن أي شخص من هذه الأسرة قد قرأ أياً منها ، و إنما يحتفظون بها كنوع من أنواع المظاهر التي توحي برقي أصحاب المكان مع إنهم لا يدركون قيمة الكتب التي تحتويها ، كنت قد إعتدت قراءة كتاب منهم كل ليلة بالأخص بعدما يهدأ المنزل و ينام الجميع ، في هذه الليلة جاء يزيد متأخراً للمنزل ، رآني أمام المكتبة فاقترب ، سألني بهمس على الرغم

من ضخامة المنزل : أين الجميع ؟

تفاجأت برقة مصطنعة و رسمت إبتسامة ، أنا أجيبه بنفس الهمس : الجميع نيام .. إن الوقت متأخر جداً ..

تطلع لي بإعجاب يشتعل في عينيه قائلاً: و لماذا لم تنامي بعد ؟

إبتسمت برقة ممزوجة بخجل مشيرة للغرفة الملحقة و قلت : لم أستطع النوم و لذلك جئت لأخذ كتاب و أجلس لأقرأه إلى أن أشعر بالنوم ..

فأشار لي بيده لأمر من أمامه بإتجاه الغرفة الملحقة قائلاً :

(Ladies First)

خطوت أمامه و إتجهت للغرفة الملحقة ، جلست على الأريكة مبتسمة قائلة : هل تعرف أصل هذه الجملة ؟ جلس بجانبي قائلاً : أي جملة ؟

أجبته بابتسامة : السيدات أولاً ..

إنها من أرقى الكلمات التي يستخدمها الرجال بغرض إحترام النساء و تقديرهم و لكن هناك قصة ورائها مخالفة تماماً لذلك ..

إقترب مني و عيونه تنبض بالإعجاب المشتعل قائلاً : إحكي لي يا شهرزاد ..

ضحكت بدلال قائلة : كان ياما كان في قديم الزمان و سالف العصر و الآوان شاب في إحدى قرى إيطاليا من عائلة غنية جداً ، قابل فتاة جميلة

جدا من طبقة فقيرة ، أعجب بها و أحبا بعضهما حباً لا مثيل له ، أرادا الزواج ، لكن أسرة الشاب الثرية عارضت زواجهم بشدة ، فشل الشاب في إقناعهم بكل الطرق .. عندما فشلوا في أن تجمعهما الحياة إتفقا على أن يجمعهما الموت و طلعا على قمة جبل للإنتحار معاً ، همت الفتاة برمي نفسها لكن الشاب منعها قائلاً إنه لا يستطيع رؤيتها ميتة و إنه يريد أن يرمي نفسه أولاً ، بالفعل قفز من الجبل و عندما رأت الفتاة المشهد خافت و رجعت عن قرارها بالإنتحار ، عادت إلى حياتها ، فلما عرف الناس بالحكاية قرروا أن تقوم النساء بأي عمل أولاً و منها جاءت كلمة النساء أولاً ..

ضحك يزيد كثيراً ثم أسند ظهره ، كأنه مجهد من يوم طويل ..

وضعت الكتاب جانباً ، نظرت له قائلة برقة مفرطة : تبدو مجهداً جداً، مسكين !

أهي أعمال المصنع ؟

تنهد قائلاً بصوت مستكين : نعم ، أعمالنا تتوسع و مسئوليتي تتزايد ، هناك أشياء كثيرة يجب عليّ مراجعتها بنفسي ، بالأخص أن مصنع الزيوت أصبح حمل ثقيل بجانب مصنع الحرير ، لم يعد قاسم بنفس القوة والحماس بعد موت آلماس و يبدو إنه لا يستطيع تخطي صدمته بعد ..

تنهدت أنا بدوري قائلة : مسكين أبي قاسم لقد حرم من حبه الوحيد بكل قسوة و وحشية.

هرب يزيد بعينيه للحظة تأملته فيها ، ثم عدت برقة قائلة : و لكنه مجهود ضخم .. كيف تستطيع تحمله وحدك ؟

أليس هناك من يحمل العبء معك ؟

هز أكتافه و حك ذقنه قائلا : أنا لا أثق في أي شخص ، أكثر شخص وثقت فيه هو قاسم .

تطلعت إليه بنظرة خاوية متسائلة .. هل يمكن لشخص يجري في دمه الغدر أن يثق في أحد، فأضاف هو بنبرة طيبة مصطنعة : و بالطبع كان والدك رحمه الله أكثر شخص وثقت به في حياتي.

نظرت للأرض و كأني تأثرت بكلامه قائلة : أنا واثقة إنه حمل لك نفس الشعور ، لو كان على قيد الحياة لكان ساندك بكل قوته ، لو كانوا أشقائي على قيد الحياة لكانوا بمثابة أبناء لكَ و خصوصاً إنك حرمت من الإبن ..

إرتعشت نظرته فعلمت إنني عزفت على وتر حساس ، فأشاح بوجهه فأضفت سريعاً بنبرة هامسة مترددة : أريد أن أصارحك بشئ ، طالما واردتني بعض التساؤلات ، شخص مثلك ثري و لديه فرصة الزواج من أخريات لماذا لم تتزوج مرة أخرى؟ لعلك رزقت بالإبن الذي طالما حلمت به.

نظر إليّ ، و كأنه إستعاد صورة في ذهنه ثم صمت لحظات ، مددت فيها أصابعي لتلامس كفه برقه ، تطلع هو إليّ بعد أن وضع كفه الثاني على أصابعي و قال بنبرة تحمل حزن : قليلون من يعرفون و لكنني فعلت و تزوجت من سنوات عديدة و لكن...

في هذه اللحظة دخلت منصورة فجأة قائلة بطريقة حادة و قد رأت كفوفنا المتلامسة : يزيد لماذا تجلس هنا ؟

و متى جئت ؟

و أنتِ يا سالينا لماذا لم تنامي حتى الآن ؟

قمت أنا من الأريكة ، وقفت ممسكة بكتابي قائلة : لم أستطع النوم لذا جلست أقرأ ، إلى أن جاء عمي يزيد، مسكين كم يبدو مرهقاً..

تطلعت لي منصورة رافعة حاجبها الأيمن و كأنها تتفحصني ثم نظرت ناحية يزيد الذي ظل جالساً ثم قالت له بنبرة تحمل تهكم مبطن : عادة لا يرهقك العمل أم هناك أسباب أخرى لا أعلمها ؟

حك يزيد ذقنه و تطلع إليها قائلاً : يبدو أن العمل صار يرهقني على عكس الماضي .. ربما لو كان عندي الإبن لما كانت الأحمال ثقيلة مثلما هي الآن ..

ضمت شفتيها للحظات ثم قالت بإسلوبها الصارم : لذلك يجب عليك أن تنام لترتاح من إرهاق العمل ، أم البقاء هنا طوال الليل يريحك أكثر؟

ثم نظرت ناحيتي بنفس النظرة و الحاجب المرفوع ، فرسمت على وجهي تعبيرات البراءة و كأني لم أفهم تلميحاتها . .

بدا الموقف كأنه حلبة قتال باردة يستعد مقاتيليها للمعركة ، معركة صامتة ، إستمر يزيد خلالها في حك ذقنه ، إستمرت منصورة في رفع حاجبها ، و قد جمعتهما نظرة تحدي إلى أن أُعلن إنتصار منصورة ، قام يزيد من على الأريكة و إتجه صاعداً إلى الغرفة ، سارت خلفه منصورة بخطوتين ثم إستدارت لي قائلة بنبرة آمرة : سالينا أنصحكِ بالنوم مبكراً

أجبتها بإبتسامة رقيقة ترضي صرامتها ، و إستدرت أنا مدركة إن غيرة منصورة لها تاريخ ، يزيد لم يكن وفياً لها مثلما كان قاسم وفيا لآلماس ، فقد تزوج من قبل رغبة منه في إنجاب الإبن أو حتى رغبة في أن يكون مع إمرأة أخرى ، يبدو أن منصورة قد علمت عن زواجه أو لديها شكوك حوله . .

و طوال الأيام التالية لم تأتي لي أي فرصة للتواجد مع يزيد منفردين ، كانت منصورة تحاصره و بعيونها نظرات شك تحوم حولي . .

∞

"أربع إرباع"

ذهبت لأنام و بمجرد أن فتحت باب غرفتي شهقت بشدة و شعرت أن قلبي قد قفز خارج صدري ، فقد رأيت أبي و أمي و شقيقاي بالغرفة ، و ليسوا بالمرآة كالعادة !

نعم ، لقد عادوا أخيراً ، بدون تردد إندفعت لأرتمي في أحضانهم و لكن بعد خطوتين إرتديت ، سقطت على الأرض ، هناك حائط شفاف في منتصف الغرفة يفصل بيني و بينهم ، بينما كانت عائلتي تناديني و أنا أحاول أن أجد مخرج لهذا العازل و فجأة تبدل نصف الغرفة حيث يقفون ، إختفت الجدران و تلاشى الأثاث ، و من خلف أسرتي ظهرا يزيد و منصورة آتيان و من خلفهم بناتهم الأربعة و وجوهم يكسوها الشر، صرخت على أسرتي و حاولت أن أحذرهم لكن الزجاج الشفاف تحول لمرآة كبيرة لا أرى فيها إلا نفسي أقف وحيدة ، صرخت بأعلى صوت فوجدت نفسي جالسة على سريري ، ركضت نحو المرآة لأطمئن على أسرتي ، وجدتهم بإنتظاري كالعادة يقفون بإنتظاري ، شعرت كأنني أريد أن أقفز داخلها ، أن أذهب إلى عالمهم ، لكن فجأة رأيت يزيد و منصورة و بناتهم قد عادوا مرة أخرى و في أيديهم سكاكين هجموا بها على أسرتي بلا رحمة ، صرخت صرختي المختنقة التي أيقظتني لأجد نفسي على سريري ، قد أدركت إنه كابوساً جديداً من كوابيسي التي تطاردني طيلة السنوات السابقة . .

في صباح اليوم التالي كان الطقس خريفي يتراقص بين الصيف و الشتاء ، أشعة الشمس الدافئة تمتزج مع النسمات الباردة ، أجلس في الحديقة مع جلبهار و سرور، نشرب القهوة ثم إنضمت لنا نهرو نور حيث كانت منصورة خارج المنزل . .

وجدت نفسي أجلس منفردة بالأربع بنات لأول مرة منذ شهور طويلة ، شعرت و كأنني أرى سكاكيناً بأيديهم مثل اللاتي رأيتها في كابوسي ، تطلعت في وجه كل واحدة منهم ، لم أشعر أبداً بأي روابط تجمعني بأي منهم على الرغم من تقربي منهم طوال الأشهر السابقة ، لم أكن أرى في ملامحهم سوى وجوه يزيد و منصورة ، لم أكن أحمل أي قدر من التعاطف مع أي منهن ، بل على العكس لم أراهم سوى نماذج مصغرة من والديهن ، رؤيتي لهن تذكرني بهما و تزيد من كراهيتي لهم جميعاً . .

برمت نورخصلة من شعرها كعادتها و قالت : كم أتمنى تعلم قراءة الفنجان !

عارضتها نهر بعناد و هي تضع كفها على خصرها كعادتها هي الأخرى : لا أحد يتعلم قراءة الفنجان و إنما هي قدرات خاصة أنتِ لا تملكينها

عقدت نور حاجبيها و همت بالرد ، فاقطعتهما بحماس : هل تحبون قراءة الفنجان ؟

نظرتا لي فأضفت سريعاً : أنا أجيد قراءة الفنجان منذ كنت صغيرة ،

كل من قرأت لهم الفنجان إنبهروا بما قلته لهم . .

تحمست جلبهار قائلة بهيام واضح : كم أنت موهوبة يا سالينا أنتِ تبهريني كل يوم بموهبة جديدة !

جلست كل من نهر و نور بينما إبتسمت قائلة : إن قراءة الفنجان مزيج من القدرات الخاصة مع تعلم فك الرموز، قصته بدأت عندما إعتقد علماء الفلك إن أي شخص يتركب دمه من ذرات صغيرة تشكل عالمه و محيطه بما فيه من ماضيه و حاضره و مستقبله ، و ذرات الدم هذه تجذب ذرات الطبيعة المحيطة مثل ذرات البن التي تتشكل حسب طبيعة صاحبها عن طريق شهيقه و زفيره لتترجم داخل الفنجان بأشكال و رموز . .

رفعت سرور حاجبيها بإنبهار شديد و هي تقول : لم أتوقع أبداً أن تكون قراءة الفنجان علم بهذا التعقيد . .

أضافت جلبهار بنظرات تهيم بي : لم أرى في حياتي شخص بمثل الذكاء و المعرفة الموجودة لدى سالينا . .

نظرت لهن بنظرات حائرة مترددة و قلت : لكنني أخاف من قراءته إلا لو كان ما يحمله أخبار سعيدة . .

قالت نهربإصرار و قد حسمت أمرها : لا يهمني إذا كانت أخبار سعيدة أو أخبار حزينة !

ستقرأين لي الفنجان الآن . .

إعترضت نوربطريقتها التنافسية : لا .. ستقرأ فنجاني أولاً...

تقمصت دور الفتاة المغلوبة على أمرها ، مددت يدي للبن و وعاء القهوة قائلة : يجب عمل قهوة لكما خصيصاً الآن ، يجب أن تغلى لمدة دقيقتين ، و ألا يضاف سكر، يصب في الفنجان مرة واحدة ، أثناء شربه فكروا في كل الأشياء التي تشغل بالكما ، بعد الإنتهاء من شربه نتأكد إن ما به ليس جافا تماماً أو سائلاً أكثر من اللازم ثم يوجه الفنجان جهة اليسار لطبه ، تركه أربع دقائق قبل تحريكه ، يستحسن أن أحركه أنا لأضمن لفه بطريقة صحيحة و توزيع ما به على جدار الفنجان ..

كنت أعد القهوة و أصبها أثناء كلامي ، فبعد أن شربتا قوهتهما ، أخذتُ كلا الفنجانين ، قمت بكل الإجراءات و تركتهما لدقائق ، عقب ذلك رجّتهما بحركة دائرية ، بدأت أتطلع داخلهما بتفحص على بقع البن المتقطعة المتناثرة عشوائياً ، أديرهما عكس عقارب الساعة ثم أخذت نفساً عميقاً ، نظرت لهم لأجدهم جميعا في حالة ترقب و تلهف لما سأقوله ثم نظرت لنهر و نور مشيرة لفنجانهما قائلة : الربع الأيمن السفلي هو ربع الجسد ، الأيمن العلوي ربع المال ، الأيسر السفلي ربع المستقبل ، و الربع الأيسر العلوي هو ربع الحياة ..

فناجينكما من أغرب ما رأيته ، بهم تفاصيل مشتركة كثيرة ، مثلاً فنجان نهر يملأه خطوط مستقيمة تدور مابين ربعيّ الحياة و المال مما يعني الإستقرار و راحة البال ، ربع الجسد يقول إن الصحة في أحسن حالاتها ، أما في ربع المستقبل تدل الخطوط المتقطعة على حيرة آتية بخصوص

قرار ما يقف في آخره باب خلفه رجل يقف بيده زهرة دليل إن عريس قادم يطلب موافقتك . .

إنتعشت نهر بفخر و هي تنظر لنا جميعاً ، كأنها تُوجّت ملكة في هذه اللحظة بينما ملأت الغيرة عينيّ نور ، فأسرعت أنا قائلة لها : أما نور عندها نفس الخطوط المستقرة في نفس الأجزاء التي تخص الحياة بشكل عام و تخص الوضع المادي ، بينما يوجد طائر كبير يطير في منتصف دائرة ظاهر في ربع المستقبل . .

سيطرت ملامح الفضول على وجه نور بينما إستمريت قائلة بنفس النبرة الجادة : يبدو أن هذا الطائر هو زوج المستقبل ، آتي من خارج مصر ، و تشير الدائرة من حوله على ثراء كبير يتمتع به . .

رفعت نور أنفها حتى كاد أن يلامس السماء من فرط إنتعاشها مما سمعته ، مددتُ يداي لأريهم الفنجانين كإثبات على ما أقوله ، فنظروا كلهم لها رافعين حواجبهم بانبهار ، كأنهم رأوا ما أقوله بأعينهم .

ثم تطلعت داخل الفنجانين مرة أخرى للحظات ، عقدت حاجباي كأني أرى شيئاً مزعجاً ، تحول إنبهارهم لفضول و قلق فقلت : و لكن قاع الفنجان يعني مكان قريب من صاحب الفنجان ، في كلا الفنجانين يوجد شئ غريب ، كأن كل منكما فقد شخص عزيز ، في قاع فنجان نهر يوجد شخص يرقد على سرير منذ مدة طويلة وهناك إمرأة نصفها يبدو مثل عقرب . .

عقدت نهر حاجباها ، بينما أضفت موجهة كلامي لنور: و في فنجان نور يوجد شخص مربوط في ذيل أفعى مشقوق بخطين و كأنها تأخذه بعيداً في سكة سفر منذ فترة طويلة و الأفعى لها رأس إمرأة ..

بُهِتَ وجه نور و تطلعت في وجوهناً جميعاً ، بينما كنت أستمر بصوت مهزوز من سرعة أنفاسي و كأني ألهث وراء الصور التي أرها في الفنجانين قائلة : و الغريب إنه يوجد حرف في الفنجان يبدو إنه أول حرف في إسم الـ ...

ثم نظرت لهن و كأني مصدومة واضعة الفناجين على المائدة ..

فنظرت لي جلبهار قائلة بتوتر : ماذا بكِ يا سالينا ؟

لماذا تبدين و كأنك رأيتي شيطاناً ؟!

نظرتُ إليها و لم أجيبها ، فمسكت نهر فنجانها لتنظر بداخله لعلها ترى الإجابة ، أما نور فقالت بصوت مختنق : من هي الأفعى التي تريد إيذائي ؟!

ما هو الحرف الموجود ؟

أهو الحرف الذي يبدأ به إسمها ؟

توترت نظراتي ثم قلت بنبرة غير مقنعة : لا أبداً ، لا شئ على الإطلاق ، إنما أنا أتوتر عندما أرى أشراراً يريدون إيذاء من أحب ، لم أحتمل رؤية شر أو أذى لأي منكما ، عموماً يبدو أنه شر قديم إنتهى منذ فترة

فلا تقلقا و إنما خذا حذركما ..

قالت نهر بنبرة جدال غير مقتنعة : و لكنك قلتي إنك رأيتي حرف يدل على إسم هذه العقربة ؟

هربت بنظري بشكل مصطنع و قلت : لم يكن شيئاً بهذه الأهمية ..

إدعيت الإحساس بالإرهاق ، وإنني بحاجة لبعض من الراحة ، لم تبدو أيا من البنات مقتنعة بإجاباتي ، قد كان ذلك ما أردته تماماً ، أردت أن أشعل فضولهما و أثير قلقهما و حيرتهما حتى تسعى كلا منهما لمعرفة ما رأيته في الفنجان ، عندئذ ستكون هذه هي فرصتي للوصول إلى شخص بعينه ، شخص يجب مقابلته بدون إثارة أي شكوك و بكل سرية ..

∞

" وجهان لس واحد "

في مساء تلك الليلة حاولت كلاً من نهر و نور الإنفراد بي لمعرفة ما رأيته في فنجانهما ، قبل العشاء إنتهزت نور فرصة إنشغال الأخريات و أخذتني بعيداً ، طلبت مني معرفة ما رأيته و قالت إنها تعلم إنني أخفي شيئاً ، طلبت بصوت هامس يملأه الحذر منها تأتي لغرفتي بعد أن ينام الجميع ..

بينما حاولت نهر فتح نفس الموضوع معي بعد العشاء فأجبتها بنفس الطريقة الهامسة المقتضبة ، و طلبت منها المجئ إلى غرفتي في الصباح الباكر قبل أن يصحو الباقين ..

بالفعل بعد ما إنتهت الليلة و نام الجميع ، جاءت نور تتهادى على أطرافها حتى لا يسمع خطاها أحد ، دخلت غرفتي حيث كنت في إنتظارها ، فقبّلتها و أجلستها فنظرت لي متسائلة بعنين على وشك أن يقفزا خارج وجهها : أريد أن أعرف من هذه الأفعى التي رأيتيها في الفنجان و لماذا لم تكملي كلامك ؟

إدعيت الإرتباك و الحيرة بنظرات مشتتة يميناً و يساراً ثم قلت : لأنني رأيت شخصاً قريباً منكِ ..

ثم سكتت ، بُهت وجه نور، مَدت رقبتها و مالت ناحيتي قائلة : شخص قريب مني !

من هو؟

رفعت وجهي لها و أجبت بصوت يملأه الثقة : هي ...

كادت نور أن تقتلع خصلة شعرها المموج التي إلتفت حول أصبعها من فرط توترها بينما أضفت أنا بنبرة واثقة هامسة : أختكِ نهر....

شهقت نورو كادت عيناها أن تقفزان خارج رأسها قائلة : نهر! .. هي الأفعى؟! ... التي كانت في الفنجان ؟!

أومأت برأسي بالإيجاب و كأنني متأكدة تماماً ، فعقدت نور حاجبيها و مسكت خصل من شعرها من جديد و بدأت في لفها حول أصبعها قائلة : لماذا؟ أعني كيف عرفتي؟ أليس من الممكن أن تكون أي إمرأة ..

حركت رأسي نفياً بأسى قائلة : لقد كانت في قاع الفنجان ، ذلك معناه إنها من نفس البيت و إنها قريبة ، كان للأفعى أيدي حول خصرها تماماً مثلما تفعل نهر، بدت و كأنها سحرت لأحد عزيز عليكي لأن يسافر بعيداً.

سكتت للحظة خيل لي فيها إن نور قد لفت كل خصلات شعرها على إصبعها من فرط التوتر ثم أضفت : كان الحرف المكتوب بجانبها هو (ن) ، هو أول حرف في إسمها ، لا يوجد أي شخص آخر في المنزل يبدأ إسمه بحرف (ن) !

شهقت نورمرة أخرى ، توقفت أصابعها عن الحركة ثم قالت بأنفاس تتلاحق بين الكلمات : نعم !

كنت أعلم أن سفر سليم فجأة وراءه سر، فقد كنا على وشك الزواج و فجأة و بدون أسباب .. سافر.. هرب.. و إنتهى كل شئ ..

ثم صمتت لحظات قالت بعدها بتردد : لكنك رأيتي عقربة في فنجانها و حرف أيضاً..

هززت رأسي قائلة : لم أقل إن هناك حرفاً في كلا الفنجانين لكن نعم كانت هناك عقربة في فنجانها ، لكنها بدت شخص بعيداً عن المدينة كلها حيث كانت على طرف فنجانها ..

بدأت نور برم خصلة جديدة من شعرها و على وجهها ملامح إرتياح ، رَبَتت على كفها قائلة : هل تعرفين شخص يفهم بالسحر و لديه قدرة على وقف أي سحر ضدكِ ؟

نظرت نور لي مترددة ثم قررت أن تجيب قائلة : نعم .. اعرف شخص معروف بقوة سحره .. إسمه صوّان ..

نظرت لها و كأنني تذكرت شيئاً قائلة : نعم ، أتذكر أن أمي آلماس رحمها الله ذكرته في أحد المرات ، لكن أنا أعرف إنه مختص في أمور الإنتقام و الأذى ، كيف تعرفينه ؟

إرتبكت هي للحظات ، ثم قالت بصوت متحشرج : ذهبت له من قبل مرات قليلة أغلبهم مع نهر حتى نطلب منه أن يساعدنا في تأديب

أشخاص يزعجوننا أو يضايقوننا . .

تطلعت إليها ، قد بدا أن نظريتي عنها هي و نهر تُثبت صحتها ، فأضافت هي بنبرة براءة مصطنعة : و لكنني لم أفكر ابداً في إيذاء أي شخص برئ من قبل . .

أومأت برأسي لها و مسكت يدها قائلة : أنا متأكدة يا نور من طيبة قلبكِ و حسن نواياكِ ، لستِ مضطرة لقول ذلك . .

شردت نور ثم شهقت لمرة ثالثة قائلة : لكن هل يمكن أن يكون صوّان نفسه هو من يساعد نهر في إيذائي ؟!

نفضت رأسي بثقة قائلة : أستبعد ذلك فلن تخاطر نهر بالتعامل معه في ذلك الأمر إذا كنتِ تذهبين له معها بإستمرار . .

سكتت أنا للحظة ثم إنتفضت ، و كأن أتتني فكرة مفاجئة : يجب أن أذهب له أكتشف حقيقة الأمر . .

نظرت لي بدهشة فأضفت أنا سريعاً : لكن عليكي إبقاء كل ما قلته لكِ سراً و إلا سيسوء وضعكِ أكثر ، لن نتمكن من وقف ما تفعله نهر أو حتى نتأكد من نوايا صوّان ناحيتكِ . .

أومأت نور رأسها ، وضعت كفها على فمها إشارة بإنها لن تنطق بكلمة ، فإبتسمت أنا لها بحنان و قلت : إعطيني عنوان صوّان . . .

غادرت نورغرفتي لتنام بعد أن طمأنتها ، كان الفجر على مشارفه ، لم

أنم تلك الليلة إستعداداً لإستقبال نهر ، و بالفعل أتت و قد بدت قلقة فأدخلتها الغرفة ، قد كانت مهمتي أسهل بكثير بعد ما أتممت نصفها و تأكدت من ظنوني حولهما ..

وقفت نهر و كفيها على خصرها قائلة : لماذا أخفيتي عني ما رأيته في الفنجان ؟

ماذا رأيتي في فنجان نور هي الأخرى ؟

أظهرتُ نفس ملامح التعاطف و الإرتباك التي أظهرتها لنور قبل ساعات ، أخبرتها إنني رأيت شخصاً من داخل البيت مسئول عن سحر يمارس ضدها ، و مسئول عن المرض المفاجئ للشخص الذي كانت ستتزوجه ..

إنفعلت نهر متسائلة فطلبت منها أن تخفض صوتها و أجبتها بصوت آسف : إنها نور..

صدمت نهر ، كررت نفس إنفعالات نور تقريباً ، سألتني كيف عرفت ، و إذا كنت قد رأيت شيئاً مماثلاً في فنجان نور ، أجبتها أنا بنفس إجاباتي على إسئلة نور ، ثم طلبت منها أن تهدأ و تتعامل معها بنفس الطريقة حتى لا تثير شكوكها حتى نوقف أي سحر ضدها و نتأكد من صوّان ، و بالطبع طلبت منها أن تعطيني عنوانه حتى أذهب إليه ..

و بذلك كنت قد وصلت لما كنت أريده ، فقد عرفت الطريق إلى صوّان ، و كشفت وجهيّ السر المشترك لكل من نهر و نور ، بالإضافة إلى إنني حصلت على ثقتهما بي و إحتياجهما لي مثلما فعلت مع جلبهار و سرور ..

"سالينا و الوحش"

طوال اليومان التاليان حافظت على ثقة كلا من نهر و نور بدون إثارة شكوك أيا منهما ، اقنعتهما أن يتصرفا بطبيعية حتى أُخلصهما من السحر الموجه ضدهما . .

في اليوم الثالث تحججت بإنني أريد الذهاب إلى الكنيسة لأصلي ، بالفعل تركت المنزل وحدي متجهة للقاء ذلك الوحش الذي سيطر على كل فرد في هذه العائلة ، ذلك الوحش الذي يعمل لصالح كل منهم كما يعمل ضدهم ، ذلك الوحش الذي تخيلته كائناً لا يُقهر . .

طوال الطريق كنت أحاول ترتيب أفكاري ، لم أكن أحمل تصور واضح لصوّان ، فالصورة التي أحملها له كوّنتها من القصص التي سمعتها من البنات الأربعة ، لم تكن صورة كاملة على الإطلاق ، إنما ينقصها الكثير من الأجزاء التي لن أعرفها قبل مقابلته وجهاً لوجه ، لم تكن حكايات نهر و نور هي سبب ذهابي إليه ، كل ما أريده الآن هو مقابلة ذلك الكائن الذي يملك قوى مخيفة تتخطى حدود العقل ، لم أكن واثقة ما الذي سأقوله له أو أطلبه منه قبل أن آراه و أفهمه جيداً ، لن أخاطر بعد كل هذه السنوات التي إنتظرتها ، لن أخسر معركتي في منتصفها ، و لكي أنتهي من معركتي بإنتصار كاسح يجب أن أجند وحش كاسر!

لكن كيف يمكنني أن أروض ذلك الوحش بعد كل ما سمعته عنه ؟!

كانت أول مرة في حياتي أشعر و أن أفكاري مشتتة لهذا الحد و على الرغم من أنني سعيت للوصول لصوّان إلا إنني شعرت بتوتر شديد طوال الطريق لم أشعره من قبل ، لم يخفف توتري سوى صديقي الغراب الذي رافقني محلقاً فوقي و متقدما أمامي كأنه يستشعر وجهتي ..

كانت المنطقة مليئة بمحلات العطارة و المنازل الصغيرة و المقاهي ، لكن كلما كنت إقتربت من محل منزله لاحظت إن عدد الناس يقل بينما يزيد عدد المنازل المهجورة من حوله ، كأن هناك قوى خفية تنفي الناس بعيداً عن مملكته ، إلى أن وصلت للمنزل ، وقفت أتأمله فهو مكون من طابق واحد و لم يكن مثل ما قد يتوقعه الناس أن يكون حالك السواد أو مهدم أو محاط بأشجار متشابكة أو يقف على أعتابه الغربان و البوم ، على العكس كان من الخارج يبدو نظيفاً تُظلل جانبيه شجرتان عاليتان تبدوان راسختين من زمن بعيد ، كأنهما تحرسان المنزل ليلاً نهاراً ، باب المنزل و نوافذه كانوا محاطين بأشكال دقيقة محفورة عليهم من الإتجاهات الأربعة شرق و غرب ، شمال و جنوب ، أما عتبة المنزل فكان مرسوم عليها مربع داخله شكل حلزوني يلف حول نفسه يتوسطه شكل لعين واسعة ..

كان الشئ الغريب أن المشهد من حولي لم يكن فقط هادئاً ، بل بدا ساكناً أيضاً ، لم أسمع أي صوت و لم أرى أي شئ يتحرك حتى أوراق الشجر بدت ثابتة ، كأنني خارج حدود الزمان و المكان أو داخل لوحة أراها و لا أسمعها ، أتحرك داخلها و لا تتحرك بالتبعية من حولي ..

إتجهت نحو الباب ، وقفت للحظة قبل أن أخطي من فوق الشكل المرسوم على عتبته ، و عندما خطوت من فوقه شعرت بتيارات خافتة من الهواء قد مرت من حولي و كأنها تتفحصني ، مددت يدي لأطرق على الباب و بمجرد أن لامسته فُتح الباب فجأة ، رجعت خطوة إلى الوراء ، وقفت للحظة منتظرة أن أرى وجهاً من خلف الباب الموارب لكن لم يظهر أي أحد ، أخذت نفساً عميقاَ ، مددت يدي لأدفع الباب و أدخل فأنا لم أعتاد الخوف و لن أسمح له أن يسيطرعلي رغم توتري الذي تضاعف منذ أن وصلت لمنطقته .

بالفعل دخلت لأجد ممراً قصيراً يؤدي إلى صالة واسعة بها أثاث عادي ، يبدو عليه آثار الزمن و لا يوجد أي شئ يميز الصالة عن أي بيت لأسرة عادية ، لم أسمع أي صوت أو أرى أي حركة ، وقفت في منتصف الصالة ، كان على يساري غرفة و يميني غرفة و في المنتصف ممر آخر، بالرغم من النهار لكن كاد المكان أن يكون مظلماً لأن كل النوافذ كانت مغلقة و مغطاة بستائر داكنة ، شعرت بعيون خفية تراقبني ، عيون لا أراها و لكنني أشعر بها من حولي ، مرت دقيقة كاملة بدون أن يظهر صوّان فقررت أن أنادي عليه : سيد صوّان .. أنت هنا ؟!

لم يأتيني رد ، و لكن بعدها بلحظات فتح بابيّ الغرفتين في آن واحد ، أُنير القنديل الذي يتوسط الممر، يبدو أن صوّان يرحب بي على طريقته و يداعبني قليلاً ، جلست على الأريكة و كأنني لا أهتم بألعابه تلك ، لم تمضِ دقيقة أخرى إلا و رأيت القنديل يتقدم ناحيتي من الممر المظلم محمولاً ..

وقف صوّان على أعتاب الصالة ، و في يده القنديل ينظرلي على بعد أمتار قليلة ، لم أكن أرى ملامحه جيداً فكان يضع عمامة كبيرة على رأسه لا تشبه الأشكال التقليدية لعمامات العرب أو المصريين ، إنما عمامته كانت ملونة بألوان متداخلة و مضفرة حول بعضها و يزينها حليات ذهبية على أشكال رموز أو حروف قديمة ، يرتدي سروال فضفاض داكن اللون و قميص من نفس اللون يعلوه معطف ملون و مزين بتطريز و حليات تشبه الموجودة على عمامته . .

لم أكن أرى وجهه جيداً فوقفت ، ثم أقتربت بخطوات أوقفها صوته الرخيم : قفِ محلِكِ . .

نظرت له متسائلة بينما لم يضيف أي شئ فقلت له بثبات : لقد جئت لمقابلتك . .

قال بصوت هادئ به نبرة غريبة : أعلم ، لهذا أنتِ داخل منزلي .

إبتسمت قائلة بنفس هدوئه : و هل سأبقى واقفة محلي طوال الوقت؟

قال بنبرته الهادئة الغريبة : لحظات قصيرة لن تكون أصعب من سنوات طويلة !

إقترب خطوتين مني فوضح وجهه و قامته أكثر، متوسط الطول تقريباً ، يصعب معرفة عمره بالتحديد ، أما ملامحه فقد كانت غير كل الوجوه التي رأيتها في حياتي ، داكن البشرة ، ملامح وجهه شرقية أما عيناه من أغرب العيون التي رأيتها إحداهما زرقاء ثلجية و الأخرى عسلية تكاد

تميل للصفرة ، لم أرى في حياتي مثل هذه العيون الملونة مجتمعة معاً بالأخص على وجوه سمراء . .

شردت في ملامحه للحظات إقترب فيها مني قائلاً : لقد تأخرتي كثيراً .

عقدت حاجباي متسائلة : تأخرت عن ماذا ؟

رد بنفس هدوءه : عني ....

إبتسمت و قد شعرت إنه بدأ يتقمص دور المشعوذ ليرهبني و قلت : و هل كان بيننا موعد من قبل ؟

أجاب هو بنبرة أكثرة غرابة تشبه نبرة الشوق : نعم ، بيننا موعد قديم عمره أكبر من عمرك بكثير. . .

وجدت نفسي أضحك بنبرة ساخرة من شدة تأثره بما يقول ثم إقتربت منه قائلة : ما هو إسمي إذا طالما إنتظرتني كل هذا العمر؟

نظر لي بعينيه المتناقضتين ، نظرات تمتلئ بشوق غريب قائلاً : و هل يهم ؟!

رفعت حاجباي بسخرية و هممت بالرد لكنه أضاف بسرعة : لم أكن بحاجة لمعرفة إسمكِ حتى أنتظركِ ، لكن إسمكِ ليس عربياً مثل جمالكِ ، إسمكِ لا يسكن معنا في الأرض بل آتى من بعيد . .

تطلع داخل عيناي مضيفاً بصوته الرخيم : إسمكِ يسكن القمر.

أدركت لحظتها إن صوّان لم يكن يحاول أن يستعرض هيبته و قدراته و إنما هو يملكها فعلا ، من الواضح إنه أخطر مما كنت أتوقع ، حاولت أسيطر على إنفعلاتي أمامه ، كنت أدرك مدى سواد سحره و نفوذه الشيطاني ، لكن لم أشعر به إلا في تلك اللحظة و أنا واقفة أمامه . .

أخذت نفساً عميقاً ، إستجمعت قوى تركيزي مرة أخرى و رسمت على وجهي إبتسامة واثقة و سألته : و هل تعرف لماذا جئت لك؟ أم أن هذا لا يهمك أيضاً ؟

إتجه لأحد أركان الصالة ، علق القنديل ثم نظر نحوي قائلاً : جئتِ تطلبين رؤيتي بالطبع . .

ضحكت أنا مرة أخرى و قلت بنبرة متهكمة : أليس كل من يأتون هنا يطلبون نفس الشئ ؟

جلس صوّان على مقعد من الخشب العتيق ، مُلئ بنقوش يدوية ، خلفه إنبعث نور القنديل فبدا مثل ملك يجلس على كرسي عرشه ، خلع عمامته فظهرت رأسه الملساء التي زادت من شكله غرابة ثم قال بنفس نبرته الهادئة : من يأتون هنا لا يهمهم رؤيتي ، بل كل ما يهمهم هو تحقيق مرادهم ، أما أنتِ فقد أتيتِ هنا لرؤيتي فقط و لم تأتي برغبة تسعين لتحقيقها . .

ثم قام من على الكرسي و اقترب مني مرة أخرى و تطلع في أعماق عيناي قائلاً : على الأقل حتى الآن . . .

إستفزتني ثقته بنفسه و هدوئه القاتل، فنظرت في أعماق عيناه هو الآخر و قلت بنبرة تحدي : لقد جئت لأني أعرف كل أفعالك مع عائلة يزيد بهادير و بالتحديد مع إبنتيه نهر و نور، أعرف إنك تساعد كل منهما لإيذاء الأخرى بدون علمهما ..

إنفجر صوّان في ضحك صاخب متواصل أشد إستفزازاً من هدوئه القاتل ثم قال بنبرة إستخفاف : هل يجب أن أخاف ؟

هل يجب أن أشعر بإنني مهدد بعدما كشفتي هذا السر العظيم ؟ يجب عليكِ كشف المئات من الأسرار قبل أن أشعر بالتهديد ...

شعرت و كأن صوّان لا يبالي بأي شئ ، فتمالكت أعصابي و حاولت أن أعيد الإبتسامة على وجهي قائلة : وهل قلت إنني قد أتيت لتهديدك ؟

لانت ملامحه بسرعة غريبة و عادت نبرته المليئة بالشوق مرة أخرى و قال : لا أحد يستطيع تهديدي على هذه الأرض و أعرف إنك لم تقصدين تهديدي لأن بنات يزيد ليسوا أكثر من أداة للوصول إلى مرادك ..

أربكني كلامه مرة جديدة ، كل كلمة ينطق بها تحمل تلميحات كأنه يعرف ما لا يعرفه أحد غيري ، وجدت نفسي أواجهه بشكل حاد مرة أخرى قائلة : صوّان ماذا تعرف عني ؟

نظر لي بنفس النظرة المشتاقة ، إلتقط يدي ، ثم جذبني نحو الممر الموجود في نهاية الصالة ، فسحبت يدي منه قائلة بإنفعال : إلى أين تأخذني ؟

نظر لي بحنان غريب و أشار بيده لي لأهدأ و قال : لا تخافي مني ..

بل ضعي ثقتك فيّ ...

عقدت حاجباي و قلت بنفس النبرة المنفعلة :

و هل أعرفك حتى أثق بك؟

و هل يمكن لأحد أن يثق بشخص مثلك ؟

إستمر هو بنفس نبرته الحنونة قائلاً : معكِ كل الحق ، لهذا يجب أن أثبت لكِ أولاً إنني محل ثقة..

أدهشني إسلوبه الحنون الذي لا يتناسب مع شكله و لا شخصه و لم أعرف بماذا أجيبه.

وقف بثبات يتطلع لي في صمت للحظات ، كأنه على إستعداد أن يعطيني الزمن كله ، إستجمعت نفسي في هذه اللحظات ثم قلت بهدوء متحفز : إلى أين تريد أن تأخذني ؟

إبتسم و قال ببساطة : إلى منزلي ..

عقدت حاجباي مرة أخرى و قلت بإستنكار: هل تستخف بعقلي أم إنك تتلاعب بي ؟

أشار بأيديه مرة أخرى ليهدأني و قال : أقصد الطابق الأسفل ..

قلت أنا بإندهاش : هل يوجد طابق آخر تحت الأرض؟

إبتسم و أومأ رأسه بالإيجاب قائلاً : هنا مجرد واجهة للناس ، صورة

تناسب بني البشر و تناسب عالمهم، أما منزلي الحقيقي فهو بالأسفل ، غير مسموح لأي شخص النزول إليه أبداً.

نفضت رأسي من فرط حيرتي و قلت : لماذا تتكلم عن البشر و كأنك لست منهم ؟! .. لماذا تسمح لي أنا بما هو ممنوع على الآخرين ؟

حافظ صوّان على إبتسامته و قال : لأنك غير كل الآخرين ، و الدليل إنني أتركك تسألينني طوال الوقت بينما لا أحد يسألنني أبداً.

أخذت نفساً عميقاً فكل إجاباته تزيد من تسأؤلاتي بشكل يزيد من إنفعالي و يقتل ما تبقى عندي من صبر..

زادت إبتسامة صوّان عندما رأى شكوكي تتلوى على وجهي ، مد يده في ملابسه و أخرج ورقة مطوية ، جذب يدي و وضع الورقة فيها ، قال بنفس النبرة الحنونة المستفزة : إرجعِ إلى البيت ، حينما تكونِ مستعدة ستجدينني بإنتظاركِ ..

فتحت الورقة التي وضعها في يدي ، وجدتها خالية من أي كلمات ، نظرت له بغضب و نفاذ صبر، فأسرع هو قائلاً : عندما تعودي إلى المنزل ستكشف لكِ النار ما لا تستطيعين رؤيته الآن ..

ثم مال ناحيتي بنفس الإبتسامة الحنونة قائلاً : سأكون في إنتظاركِ المرة القادمة ..

كدت أن أنفجر في وجهه من فرط غرابته و كلامه الذي أربكني تماماً ، لكنني طويت الورقة و تركت المنزل بخطوات غاضبة ..

عدت إلى المنزل و أنا أكاد أنفجر من شدة غيظي ، كانت نظرات كلا من نهر و نور تطاردني ، الفضول يشتعل داخلهما لمعرفة نتيجة زيارتي لصوّان ، أشرت بنظرات مستترة لطمئنة كل منهما بدون أن تلاحظ الأخرى ، فقد كانت أفكاري مشوشة بعد زيارتي الفاشلة لصوّان ، كانت بعيدة عن أي شئ توقعته ، و عليّ الآن أن أطمئن كل منهما تماماً حتى أبعدهما عن صوّان حتى أجد طريقي في التعامل معه ..

بالفعل إنفردت بكل واحدة منهما سريعاً ، أخبرت كلاً منهما إن صوّان سيوقف أعمال الأخرى ضدها ، لكن عليهما أن تتبعا أوامره بأن تبتعدا تماماً عن مصارحة الأخرى أو التورط في أي أعمال لمدة أربعين يوم حتى يبطل مفعول كل سحر مقام ، و إلا سيأتي بنتيجة معاكسة و يقوى مفعول السحر المُقام إذا كسرت كلا منهما أوامر صوّان !

بعدها دخلت إلى غرفتي ، أغلقت الباب بعد أن إدعيت إنني أحتاج لبعض الراحة ، كنت بالفعل أشعر بالإرهاق بعد زيارتي لصوّان التي جعلتني أشعر بحيرة لم أشعر بها من قبل ..

وقفت أما المرآة أنظرلعائلتي من حولي ، شعرت كأنني لم أراهم منذ فترة طويلة ، لكن عيونهم كانت تحمل كالعادة تلك النظرات التي تشعرني بالأمان ، أخرجت الورقة و نظرت لها فوجدتها خاوية كما هي فتذكرت جملة صوّان : ستكشف لكِ النار ما لا تستطيعين رؤيته ..

إتجهت نحو الشمعدان الموجود على الطاولة ، أمسكت الورقة ناحية النار المنبعث من الشموع حتى رأيت تلك الكلمات تتكون أمامي ، بدت

كأنها خرجت من العدم أو إنبعثت من عالم صوّان و إستقرت في عالمي ، كلمات قليلة جعلتني أرتعش للحظة و كأنها لسعة برد في يوم حار . .

" الغدر لن يضربه سوى حجر صوّان "

تلك الكلمات القليلة شعرت و كأنها تحمل رسائل كثيرة في باطنها . .

صوّان يعلن عن معرفته بكل شئ عني و يختصره في هذه الكلمات ، يقصد الماضي الذي إفترسه الغدر و الحاضر الذي تعاهد مع الإنتقام ، يعرض عليّ مستقبل يحمل كل ما أسعى إليه بمساعدته . .

أنا لا أهتم بماذا يعرف ! و لا كيف عرف ! و لا حتى أهتم إذا كان صوّان إنسان أم شيطان !

ما يهمني الآن هو معرفة إجابات لأسئلة أخرى تدور في رأسي و تكاد أن تفجرها ، هل صوّان يريد أن يساعدني فعلاً ؟

و إذا كان فلماذا ؟

و هل يمكنني أن أثق به ؟

أم هو فخ نهايته سوداء مثل عالم صوّان ؟!

∞

"عواصف رملية و سيول رعدية"

في تلك الليلة لم أستطع النوم ، جلست في أحد أركان الصالون أتطلع لتلك الساعة الضخمة المليئة بالنقوش اليدوية الفخمة و بندولها الضخم الذي يتأرجح يميناً و يساراً في إيقاع رتيب لا ينتهي و الفضل يرجع للإيطالي جاليليو جاليلي صاحب نظرية البندول و من بعده الهولندي كريستيان هوجنس أول من نفذها ..

هل يوجد شئ أكثر رتابة من بندول الساعة ؟!

جلست أنظر لذلك البندول الذي لا يكل و لا يمل ، أتخيل مخترعي الساعة البندولية عندما كانوا يجلسون ليحصوا عدد أرجحة البندول التي تعدت عشرات الآلاف على مدار اليوم بأكمله من فرط رغبتهم في الوصول إلى ساعة دقيقة ، لأول مرة شعرت و كأنني لا أسمع صوت دقات عقاربها المزعجة فقد كان للأسئلة التي تدور في رأسي أصوات تفوق دقات الساعة صخباً و إزعاجاً ..

ويبدو إن شخصاً غيري كان يشاركني عدم الرغبة في النوم بعمد أو بدون ، سمعت صوت خطواته على السلم رغم محاولته للتهادي بصوت خافت ، بمجرد أن رآني علت وجهه ملامح الإرتياح ، يبدو إنه أتى متمنياً أن يجدني مستيقظة مثلما يتمنى التائه أن يجد مخرجاً لمتاهته ، إقترب مني فرسمت تلك الإبتسامة الرقيقة على وجهي التي

لا يبطل مفعولها أبداً مع الرجال ، قلت : كم تمنيت ألا أكون الوحيدة التي هرب النوم منها !

إبتسم هو بغزل واضح و قال بصوت خافت : و كم تمنيت أنا أن تكوني أنتِ الوحيدة التي هرب منها النوم ..

رسمت على وجهي عتاب ممزوج بدلال فأضاف هو بضحكة قصيرة : حتى أنضم لكِ و نجلس وحدنا ..

أشرت له بالجلوس قائلة بابتسامتي التي تذيب عقله : و أنا مستعدة ..

مال نحوي و سحب يدي في رقة قائلاً : إن القمر مكتمل الليلة و ما أجمل أن يكون معي قمرين !

ما رأيك أن نجلس في الشرفة ؟

إبتسمت برقة و خجل ، اتجهت معه نحو الشرفة المطلة على الحديقة حيث كان الطقس ربيعي و القمر مكتمل و السماء صافية لامعة مما أعطى للمشهد أمامنا جمالاً و غموضاً في نفس الوقت ، وقفنا نتطلع نحو القمر، فنظر لي يزيد و قال بنبرة غزل صريحة : سالينا .. هل تعرفين كم أنتِ جميلة ؟

إبتسمت و كأنني أستمتع بغزله و أدعي الخجل مثل كل الفتيات ثم داعبته قائلة : لا أعلم .. إخبرني أنت ..

إقترب مني أكثر و مد يده و مررها على خدي و قال بنبرة هيام : لم

تخترع اللغات أي كلمات بعد تكفي لوصف جمالك ..

أصطنعت الإرتباك و إبتعدت خطوة و قلت : أخاف أن تأتي عمتي منصورة و ترانا ، أنا أشعر إنها تنزعج مني كلما تكلمت معك ..

عقد يزيد حاجبيه و قال بعدم إكتراث مفتعل : لا تهتمي بها ، طالما أنا معكِ ..

نظرت للأرض بحيرة ثم قلت له : لكنها زوجتك و من حقها أن تغار عليك.

حك يزيد ذقنه و نظر للحديقة قائلاً بنبرة حزن غريبة : منصورة تغار من أي شئ و كل شئ ، و لا تهتم إلا بنفسِها فقط ..

إقتربت مرة أخرى منه و ربتت على ذراعه قائلة : لا تبدو سعيداً ، لقد أخبرتني من قبل إنك تزوجت و لكننا لم نكمل كلامنا ..

نظر لي صامتاً كأنه يتذكر الامر، و تحول وجهه الممتلئ بملامح الرجولة إلى وجه طفل يبحث عن الحنان ، أمسك يدي قائلاً : نعم .. لقد تزوجت مرتين أثناء زواجي بمنصورة ..

شعرت بارتباك من عينيه اللتان حملتا مزيج من الصدق و الهيام و لكنني واريت إرتباكي بشهقة رقيقة قائلة : و هل كانت تعلم ؟

داعبت أصابعه خصلات شعري و هو يقول : في بداية كل زواج لم تكن تعلم ، لكنها كانت تكتشف رغم إنني كنت أخفي زواجي في

كل مرة بمنتهى الحرص ..

لامست أصابعي يديه بتلك اللمسة السحرية التي تجعل الرجال مثل الكتاب المفتوح و قلت : و ماذا حدث؟ إين هم الآن؟ هل أحببتهما ؟

إبتسم يزيد تلك الإبتسامة العاشقة التي تبعث مباشرة من قلبه و قال : بعد أن أنجبنا بناتنا الأربعة تزوجت الأولى رغبة مني في إنجاب الصبي ، و لكنني أحببت الثانية كثيراً التي تزوجتها بعد الأولى بأكثر من ستة سنوات ..

شعرت بانجذاب غريب لإبتسامته الرقيقة رغم مفاجأتي بما يصرح به ، نظرت إليه طالبة المزيد و قلت : و لكنك ليس لك أبناء من اي منهما ؟

تنهد يزيد بمرارة من أعماق صدره ، رأيت في وجهه الصلب نظرات ترتجف حزناً تحت ضوء القمر، في هذه اللحظة شعرت إن داخله إنسان لم أراه من قبل ، إنسان حساس يتناقض مع صورته الدموية التي حملتها له في مخيلتي طوال عمري ، ثم نظر إلى نقطة بعيدة في الحديقة و قال : لقد حملت كل منهما بذكور ، لكنهم ولدوا ميتين في المرتين ..

مسحت دموع وهمية من على وجهي و أرتميت بين ذراعيه قائلة : ليس من السهل أبدا فقدان أكثر ما نتمناه من هذا العالم ، لقد تعذبت كثيراً

ثم نظرت له قائلة بنبرة شك : و لكنه شئ مريب أن يموت الأبناء في المرتين فور ولادتهم بالأخص إن الأمهات مختلفة ..

حك ذقنه كعادته كلما تضاربت مشاعره و قال بصوت مرتبك : نعم

.. في المرة الأولى كانت منصورة دائما تؤكد لي إن فقدان الإبن عمل شيطاني مؤكد معقود بسحر من فعل أشخاص لا يريدون أن يكون لي الإبن الذي يحفظ إسمي و ثروتي ..

سألته بسرعة : من هؤلاء ؟

تلعثم و نظر بعيداً ثم حك أنفه قائلاً : لا أعلم .. أقصد .. إنه من المؤكد إنهم أشخاص منافسين لي في السوق ..

شعرت و كأنني أقرأ بين السطور سطوراً خفية مخيفة لم يذكرها ، حركت رأسي بحيرة و قلت : لكنه شئ مرعب أن يتمنى أشخاص الشر لك طوال هذه السنوات فكما قلت بين المرة الأولى و الثانية سنوات عديدة ..

تلعثم يزيد مرة أخرى و قال بنبرة توتر واضحة : نعم !

قد .. قد تكون صدفة .. فمن أثاروا شكوكِ لم يكونوا على قيد الحياة عند زواجي في المرة الثانية ..

سألته بسرعة مرة أخرى : ألم تقل إنك لا تعرف من هم ؟

إرتبك مرة أخرى ثم إبتسم محاولاً تغيير مسار الحديث ، لمس خدي بيديه قائلاً : دعينا ننسى الأحزان ، ألم نأتي لنجلس معاً و نستمتع بهذا القمر الساطع ؟

أعدت تلك الإبتسامة الرقيقة على وجهي و قلت : صحيح ! أعتذر إذا

كنت قد أفسدت عليك الليلة بأسئلتي ..

إقترب مني أكثر و ملامحه الوسيمة تحمل هيام صادق و أحاطني بذراعيه و قال بصوت عاشق : على العكس .. أنا أسعد رجل في العالم و أستمتع بأحلى ليلة ، فالقمر يقف أمامي و بين يدي ..

بدون أن أقصد إرتسمت على وجهي ملامح الخجل و الرقة التي يستمتع الرجال برؤيتها مرسومة على وجوه النساء دليلاً على إستمتاعهن بالغزل ، فأقترب أكثر ليقبلني ..

فجأة غاب القمر و اكتست السماء الصافية بالغيوم السوداء ، هبت عاصفة عاتية كتلك العواصف الرملية التي تجتاح فصل الربيع بدون مبرر، خلفنا وقفت منصورة و على وجهها هبت كل عواصف العالم معلنة غضب شديد بعد رؤية مشهدنا المُقمر، و قالت بنبرة لم أسمعها بتلك الحدة من قبل : ما أجمل هذاالمشهد !

يزيد باشا يقف محتضنا بنت في عمر أصغر بناته تحت ضوء القمر ..

عقد يزيد حاجبيه معلناً هطول سيول غضب مواجهة للعواصف الرملية بينما تراجعت أنا خطوتين للوراء ، فأضافت منصورة مزيداً من رمالها العاصفة تجاهي : و أنتي بعد ما أحسنت لكِ و ضميتكِ لمنزلي و بناتي تحاولين إغوائه ؟!

ماذا تريدين؟

أتريدين أن تأخذي مكاني ! .. بيتي ! .. بناتي ! .. و زوجي !

شهِقت بذعر و كأنني زهرة رقيقة تواجه أهوال الطبيعة مما أثار رجولة يزيد فوقف أمامي و كأنه يصد عواصف منصورة بعيداً عني و قال لها : إخرسي ! هل جننتي ؟

أم أن غيرتِك و شكِك قضوا على ما تبقى من عقلِك !

صدت منصورة سيول يزيدالغاضبة و قالت : أتجرؤ أن تشكك في عقلي بعد ما رأيتكما بعيني ؟

كأن الخيانة ليست من طبعك ؟!

إنفجرت ببكاء متقن و كأنني تلك الزهرة الرقيقة التي إستسلمت لبطش الطبيعة من حولها قائلة : أنتي مخطئة يا عمتي !

فقد كان عمي يزيد يواسيني لأن ذكرى رحيل أسرتي قد إقتربت ، و أنتِ تعلمين كم يؤلمني تذكر كيفما قتلوا بلا رحمة ..

تجمدا كلاهما و ركضت و الدموع تملأ وجهي تاركة الطبيعة من خلفي بعواصفها الرملية و سيولها المائية في حالة تترنح بين الهجوم و الدفاع بعدما نجحت في إبعادهما عني ..

دخلت غرفتي ، أغلقت الباب من خلفي ، أشعر بأن أصوات أسئلتي الصاخبة قد عادت إلى رأسي مرة أخرى ليعلو صوتها على صوت دقات كل ساعات العالم بعدما زاد عليها كلام يزيد الذي تصاعد صوت صداه برأسي :

.. و لكنهم ولدوا ميتين في المرتين ..

كانت منصورة دائما تؤكد لي إن فقدان الإبن و الأم فعل شيطاني مؤكد معقود بسحر من فعل أشخاص لا يريدون أن يكون لي الإبن ...

فمن أثاروا شكوككي لم يكونوا على قيد الحياة عند زواجي في المرة الثانية ...

فجأة تذكرت آلماس و حملها الذي تكرر على مدى سنوات و دائما ما إنتهى بموت الجنين ..

كلام يزيد فتح أبواب مظلمة لم أكن أتوقع ان أراها يوماً ، أبواب قد تكون تخفي خلفها سراً أكبر من كل الأسرار التي كنت أظن إنني كشفتها كلها ..

هل من الممكن أن يكون ما أظنه صحيحا ؟!

الآن لدي سبب جديد للعودة إلى صوّان ، إن صحت ظنوني فإن كل الكوارث لم تحدث إلا بإداراته بالتأكيد و إن كان العقل المخطط كان شيطاناً آخر أو بالأحرى شيطانة !

في اليوم التالي كان التوتر سيد البيت حيث كانت منصورة تبدو مثل شرارة لهب قد تتحول إلى نار مشتعلة في أي لحظة ، تصرخ على الخادمين و تتحرك كقطار ثائر على وشك الخروج عن قضبانه و دهس كل ما يقابله ، يبدو إن أدائي الدرامي ليلة أمس قد أسكت هجومها علي و لكنه لم يقتل شكها أبداً ، فقد كانت ترمقني بنظراتها الملتهبة

من آن لآخر مما أشعل فضول البنات اللاتي شعرن بتلك الحرب القادمة بالأخص إن يزيد كان يبدو عليه الإستنفار المضاد و كأنه في إنتظار أن ينفجر هو الآخر بمجرد أن يلامسه لهب منصورة المشتعل ، بينما كنت طبيعية في تصرفاتي و كأنني لا ألاحظ هذه الأجواء المتوترة . .

كنا متجمعين على مائدة الطعام نتناول الغذاء ، حيث كان الصمت يعزف ألحانه على الوجوه و لا يقاطعه سوى أصوات أدوات المائدة الفضية التي كانت تضرب على الأطباق مثل صفارات الإنذار التي تحذر من خطر قادم ، جلس يزيد على رأس المائدة كالعادة بينما كان حاجبيه المعقودين و وجهه المستنفر إشارات واضحة على غضب مكتوم ، أما منصورة الجالسة على يساره كانت نظراتها الملتهبة التي تتجول بيني و بين يزيد مع حاجبها المرفوع يعلنون عن بركان على وشك الإنفجار، بينما جلستا نهر و نور جانبها مثل العادة و لم يتوقفا عن الهمس و الغمز، و في المقابل على يمين يزيد جلست جلبهار و سرور و أنا بينهما ، كنت أتناول الطعام في هدوء متوارية تحت مظلتي التي أحجب بها نفسي عن تلك الغيوم التي تحوم فوق مائدة الطعام بينما سيطر الفضول على جميع البنات لمعرفة أسباب هذه الغيوم و إن كانت وجوههن تعلن إستمتاعهن و كأنهن طفلات على وشك القفز للعب تحت الأمطار بمجرد أن تسمح لها الغيوم بالهطول . .

قررت جلبهار أن تقطع الصمت الملتهب بخبث : هل تشعرون إن الطعام بارد اليوم ؟

أجابت نهر بابتسامة لئيمة : على العكس فهو أسخن من المعتاد ..

اضافت نور و هي تلوح بيدها بجانب فمها بإفتعال : لا .. كثير من الشطة و البهارات على ما يبدو، أليس كذلك يا سالينا ؟

إبتسمت بهدوء و كأنني آخذ كلامهم على محمل الجد قائلة بإندهاش : الطعام طيب جدا كالمعتاد ، لماذا لا أشعر بشئ ؟!

إبتسمت سرور و غمزت للبنات قائلة : سالينا لا تشكو أبداً من أي شئ ..

مررت جلبهار قدمها على قدمي من تحت الطاولة و إبتسمت قائلة : صحيح لم أرى في حياتي إنسانة في طيبتها ، أليس كذلك يا أبي ؟

رفع عينيه و إبتسم إبتسامة مقتضبة لي فهبت منصورة فجأة و قطعت صمتها قائلة : ألا تستطعن الأكل في صمت ؟

ثم نظرت ناحية يزيد قائلة بنبرة إستفزازية : و من لا يعجبه الأكل فليتركه و يذهب !

ضرب يزيد بالسكين على طبقه و نظر لمنصورة تلك النظرة المشحونة فأجابته بسيل من النظرات الملتهبة قائلة : الطقس جميل اليوم ! ماذا عن الشرفة ؟

أتريد أن تكمل الغذاء بها مع سالينا ؟

قام يزيد من على مقعده ، يحاول كتم غضبه و ضرب على المائدة

بالمنشفة التي كانت على أرجله ، صرخ عليها و هو يحذرها بأصبعه : أحذركِ من التطاول عليها ، هل تفهمين ؟!

غادر يزيد الغرفة وسط نظرات البنات التي سيطر عليهن فضول جائع يسعى لإلتهام أي شئ يقابله ، لقد أسعدني دفاعه الصريح عني الذي بدا نابعاً من قلبه ، لكنني رسمت على وجهي أقصى ملامح البراءة المصدومة و التي قابلتها وجه منصورة بهجوم ، إستدارت نحوي باحثة عن هدف لإطلاق لهبها عليه ثم ضربت بكفها على المائدة فارتج كل ما عليها ، و كأنه زلزال مدمر ضرب كل ما على الأرض ، ثم قالت بغضب خارج عن السيطرة : كل هذا بسببك أنتِ ! لا تفكري أبداً بالتلاعب معي و إلا نهايتك ستكون مثل كل من سبقوكِ !

نظرت نحوها بعيون متحدية كادت أن تفجر كل لهبها و لكنني كنت أقوى منها فسرعان ما إستعدت تلك الملامح البريئة التي توشك على الإنهيار من فرط الصدمة ، بالفعل قلت بصوت غزال رقيق مختنق يصارع حيوان متوحش و لا يستطع من يراه إلا التعاطف معه : أنا ؟!

ضمتني سرور نحوها و قالت جلبهار بإنفعال : ماذا بكِ يا أمي ؟ لماذا تتحدثين لسالينا بهذا الشكل ؟

نظرتا كل من نهر و نور بصدمة نحو منصورة منتظرين إجابتها ، قامت منصورة من على مقعدها و مالت على المائدة ناحيتي و قالت بنفس الغضب : لأنها تخطت حدودها و لم تصن المعروف !

نظرت لها و الدموع تملأ عيوني قائلة : لا أصدق إنك أنتِ من بين كل الناس تظنين بي هذا و أنتِ تعلمين كم أحبكم جميعاً مثل عائلتي !

و إنطلقت أركض نحو غرفتي ومن خلفي سمعت البنات توجه لمنصورة أسئلة بين الفضول و الإستنكار ، بينما إستمرت منصورة في ترديد عبارات الغضب ، بعدها بدقائق وجدت البنات تأتي تباعاً إلى غرفتي حيث إستمريت أنا في آداء دور الغزال الجريح حيث كنت أبكي و أنا أقول : لا أصدق أن عمتي منصورة تظن بي مثل هذا الظن البشع ، كيف ؟!

ربتت جلبهار على كتفي و ضمتني ، كانت سرور على جانبي تظهر تعاطفها، بينما وقفت كلاً من نهر و نورأمامي حيث قالت الثانية مبررة لتصرف منصورة : أمي تغار على أبي كثيراً يا سالينا من أي إمرأة تقترب منه ..

نظرت نهر لها متحيرة ثم سألتني : لكن لماذا كنتي تجلسين مع أبي وحدكما في هذا الوقت المتأخر؟

مسحت الدموع عن وجهي و جاوبت بتأثر بالغ : لم يكن هناك أي شئ !

فأنا معتادة على القراءة ليلاً كما تعملون و كنت أجلس وحدي و جاء عمي يزيد و كان يخبرني عن والدي رحمه الله بالأخص إن ذكرى رحيل أسرتي قد إقتربت ، كان يواسيني فهو في مرتبة أبي و عمتي منصورة مثل أمي و أنتم إخواتي اللاتي طالما تمنيت وجودهن حولي طوال حياتي

لا أعرف كيف تظن بي هذا ؟ كيف ؟ كيف ؟

ثم إنفجرت في البكاء بين ذراعي جلبهار التي ضمتني قائلة بإستنكار : أمي لا تعي ما تقوله أبداً ! فالشك قد أعماها !

ربتت سرور على يدي و قالت : لا تبكي سالينا فلا أحد منا يصدق مثل هذا الكلام ، فكلنا نعرف غيرتها الشديدة و شكها الدائم في والدي . .

إقتربت نهر مني بإبتسامة لئيمة و بصوت خافت قالت : صحيح بالأخص إنه تزوج من أخريات من قبل و إذا لم تحاصره أمي ليلاً نهاراً سيكررها مرة أخرى . .

لعبت نور في خصلات شعرها المموج ثم أضافت بخبث : بعد ما حدث من أمي اليوم أنا متأكدة إنه سيكررها . .

ثم نظرت إلى البنات و تشاركن في الضحكات الخبيثة و كأن ما يحدث بين والديهم يمتعهن أكثر مما يقلقهن ، بينما واصلت أنا تأثري الشديد بما حدث فالتفوا حولي كلهن يحاولن إضحاكي و أنا أبتسم تلك الإبتسامة الشاحبة التي زادت من تعاطفهن معي و رفضهن لتصرفات منصورة ضدي . .

∞

" مملكة إريشكيجال "

في اليومين التاليين كانت الأجواء متجمدة بعد أن حاوطتتني البنات بالإهتمام و التعاطف ، مما جعل منصورة تتوقف عن إتهاماتها لي و إن كانت عيناها قد كشفت عن غضب أكبر تضاعف داخلها ، كان من الواضح إنها لم تعد تشعر بالغيرة مني على يزيد فقط وإنما تشعر بالغيرة مني على بناتها ، فهي تحب بناتها لدرجة تتجاوز شعور الأمومة الطبيعي و إنما تحبهن لدرجة السيطرة و التملك فهي لا تستطيع أن تتقبل فكرة أن يكون هناك إنسان على الأرض أقرب لهن منها و إقترابي منهن طوال الأشهر السابقة أصبح واقع لا يقل إزعاجا لها عن شكها في علاقتي بيزيد ..

قررت زيارة صوّان التي أصبحت مقابلته مرة أخرى ضرورة و ليست إختيار، و بالفعل أخبرت الجميع عن رغبتي للذهاب إلى الكنيسة للصلاة ، و كما حدث في المرة السابقة بعد أن أوصلني الحارس ، نزلت من العربة بعد أن أخبرته إنني سوف أتأخر و دخلت الكنيسة من بوابتها و خرجت من باب خلفي ، إتجهت نحو منزل صوّان و في هذه المرة كنت أكثر إصراراً من المرة السابقة ، كانت التساؤلات التي سكنت رأسي طوال الأسبوعين الماضيين أقوى بكثير من شكوكي حول دوافع صوّان ، كانت رغبتي للوصول إلى إجابات تستحق المخاطرة رغم إنني لن أسمح لأي مخلوق أن يشكل خطر على ما بنيته طوال السنوات السابقة ، حتى

و لو كان هذا المخلوق يدعى صوّان ..

وصلت إلى منزل ، اتجهت لبابه بدون أي تردد و مددت يدي لأدفع الباب ، لم يكن لدي شك إنه سيكون مفتوحاً في إنتظاري ليبدأ صوّان في استعراض قدراته كما فعل في المرة الماضية ..

دخلت صالة المنزل التي كانت كما تركتها و لم أنادي لصوّان ، بل وقفت أمام الردهة المظلمة التي تتوسط الصالة و في لحظة رأيته قادم ناحيتي و على وجهه تلك الإبتسامة الحانية الغامضة و زاد عليها نظرة الثقة إنني سأعود له ..

نظرت له بهدوء كأنني انتظره ليبدأ الكلام ، مد يده لي ، و قال بنبرته الحنونة : هل إنتِ مستعدة الآن ؟

سلمته يدي بكل ثقة ، مشينا خطوات قليلة في هذه الردهة المظلمة بينما يده الأخرى حملت قنديل صغير إلى أن وقفنا أمام مرآة كبيرة لها إطار خشبي عتيق سطحها يبدو قديما لدرجة إنني شعرت إنها لا تعكس صورتنا عليها على عكس كل المرايا ، إبتسم ثم ترك يدي و مد يده ليزيح المرآة عن الحائط ليظهر خلفها سلالم للطابق الأسفل تحت الأرض ، بدا السلم بالأسفل مضاءاً ، أشار صوّان بيده لأتقدمه و بالفعل لم أتردد ، كان سلماً طويلا من الرخام الفاخر يستند على حائط من الجهة اليمنى و له على الجهة اليسرى حاجز خشبي أنيق عليه نقوش بدأت من أعلى بكف مفتوح يتوسطه دائرة كبيرة داخلها دائرة أصغر ويخرج من الكف نقوش بطول الحاجز الخشبي بدت مثل ضفيرة ممتدة شديدة

التعقيد بخطوطها المحفورة ، يتموج داخلها خط مختلف لونه أحمر زاهي يستمر حتى آخر الحاجز الخشبي لينتهي في داخل عين منقوشة حدقتها من نفس اللون الأحمر الزاهي . .

وقفت عند نهاية السلم أنظر للمشهد المظلم أمامي الذي أضاءته الشموع فجأة ، بدت كأنها أنيرت من تلقاء نفسها ترحيباً بي مما جعلني أصدر تلك الشهقة المكتومة برغم من توقعي أن أرى في عالم صوّان ما لم أراه في عالمي ، كان المكان الذي وضحت معالمه بفضل الشموع السحرية قد بدا أضخم كثيراً من الطابق الأعلى أو بالأحرى الطابق الأرضي بما إنني أقف تحت الأرض ، بدا المكان كأنه عالم آخر لا ينتمي للعالم البسيط الموجود أعلاه ، فقد كانت أرضية هذا العالم السفلي من الرخام الداكن الفاخر و الشمعدانات الفضية الضخمة متناثرة في جميع أركان المكان ، جميعهم بنفس الشكل و الحجم يتشاركون نفس القاعدة الدائرية التي ينبعث من منتصفها خطوط مثل أشعة الشمس ينكسر كل خط في آخره و في منتصف الدائرة يمتد قائم الشمعدان لأعلى حاملاً ثلاث شمعات ، إثنتان باللون الأسود و الثالثة باللون الأبيض ، و في منتصف الأرضية سجادة لم أرى مثلها من قبل فقد كانت كلها من اللون الرملي لا يوجد داخلها أي أشكال و رسوم إلا من شكل دائري كبير لثعبان أسود يلتف حول نفسه ليبتلع ذيله و كأنه يمثل دائرة لا تنتهي ، أما الحائط المقابل للسلم فقد إكتسى برفوف لا حصر لها تبدأ من الأرض و حتى السقف عليها كتب و لفائف و قنينات مختلفة الأحجام و الأشكال و الألوان تمتلئ بحبوب و أعشاب و سوائل ، على الحائطين الآخرين إستقرت

لوحتان ضخمتان ، على الحائط الأيمن لوحة لهرم مقلوب يتوسطه عين واسعة و ينبعث من حول الهرم خيوط كأشعة شمس في نهاية كل شعاع منهم طائر ناري ، أما اللوحة الثانية على الحائط الأيسر فمن الصعب فهمها فبدت كأنها خطوط متداخلة داخل شكل مستدير مثل متاهة يصعب إيجاد مدخلها أو مخرجها يقف حولها في الأربع إتجاهات أربع أقمار بداخل كل قمر مفتاح !

وقفت أتأمل المكان الذي ميزته تفاصيله عن أي مكان رأيته من قبل، فهو لا يحمل هوية لأي مكان أو زمان رأيته أو قرأت عنه ، به جمال ساحر مغلف برهبة مخيفة في نفس الوقت تماما مثل الرائحة المنبعثة منه التي تجمع بين نقيضين أحدهما لاذع و الآخر حلو . .

وقف صوان خلفي فإستدرت له و أنا تحت تأثير إنبهاري بالمكان ، فأبتسم و قال : أهلاً بكِ في منزلي !

هربت مني الكلمات قبل أن أنطق ، فأسرع هو مشيراً لي أن أتقدم لأجلس على أحد مقعدين فخمين مبطنين بلون ذهبي داكن و محاطين بإطار خشبي مرصع بأحجار ملونة ، فخطيت بقدمي التي لامست تلك السجادة الرملية فوقفت و نظرت له ، فضحك و أمسك يدي ، خطونا فوق السجادة إتجاه الرفوف الموجودة عند الحائط الموجود أمامنا ، جلست و وجدت نفسي أضحك ، ابتسم صوّان و قال : ماذا يُضحكِك ؟

تحسست جوانب المقعد الفخم و قلت : لقد تذكرت إسطورة بابلية قرأتها من قبل عن مملكة إمرأة تدعى إريشكيجال كانت إلهة العالم

السفلي الذي يسكنه الأموات ، يعيشون حياة كاملة غير التي يعيشها الأحياء على الأرض التي تتزعمها أختها عشتار إلهة الحياة و الحب و المتعة . .

ضحك صوّان و قال : و قررت عشتار زيارة مملكة أختها (إريشكيجال) لسبب أختلف عليه الكثيرين ، يقال إنها أرادت إعادة زوجها الميت للحياة ، و يقال إنها أرادت إكتشاف ذلك العالم السفلي ، و مرت عشتار ببوابات المملكة السبعة إلى أن وصلت لعرش أختها ، جلست عليه ، مما أغضب إريشكيجال فأمرت بقتل عشتار.

صفقت لصوّان و قلت : لم أكن أعلم إنك قارئ جيد لهذا الحد . ضحك صوّان مرة أخرى و قال : لا زال لديكِ الكثير لتعلميه عني ، و لكنني أعلم إنكِ لست عشتار و بالطبع أنا لست إريشكيجال!

إبتسمت فمال ناحيتي و قال بهدوء شديد : و أعلم إنني لن آمر بقتلِك كما لم تأتي أنتِ لإعادة من ماتوا إلى الحياة . .

إختفت الإبتسامة من على و جهي ، نظرت له للحظة ثم قمت من على المقعد لأتطلع على تلك الرفوف المحملة بأسرار و كنوز تخص عالم صوّان السفلي ، ثم أخذت نفساً عميقاً و قلت : و أنا أعلم إنني لا أريد أن أغرق في دوامات الغموض و الأسرار، لذلك عدت إليك ، يبدو إنك تعرف عني مالم أخبرك به و لن أسألك كيف ، و إنما سأبدأ من هذه اللحظة . .

إستند صوّان بظهره ، وضع يديه على جوانب مقعده و على وجهه تلك الملامح الغامضة الممتزجة بنظراته الحنونة ، وقفت أمامه و نظرت لعيناه المصبوغتان بحرارة النار و برودة الثلج قائلة : أنا متأكدة إنك تعلم إن أسرتي قد قتلوا على يد شركاء أبي يزيد و قاسم بعلم و مشاركة زوجتيهما ..

إبتسمت عيناه و كأنه يعرف فأضفت أنا : إنني أسعى للإنتقام ممن قتلوا أسرتي ..

وقف صوّان و إتجه نحو صحن إمتلأ بالفواكه النضرة و أحضره ليضعه أمامي و أشار لي لأكل منه و هو يقول : و هل يكفي الإنتقام ؟

لم أفهم سؤاله تماماً فنظرت له قائلة بحزم : أريد أن أراهم يعانون من فقدان أحبائهم بنفس الشكل الوحشي الذي أفقدوني به أسرتي.

مال برأسه و كأنه ما زال في إنتظار إجابة سؤاله السابق ، تجولت بعيني بعيداً ثم عدت بهما و أنا أقول : لا .. لا يكفي الإنتقام ، و إنما يشعرني ببعض الراحة و يجعلني أشعر إنني لست ضحية أتعذب كل يوم من ذكرى ما حدث ..

توقفت عند قنينة زجاجية بها مسحوق أبيض ثم قلت : لقد قتلت آلماس زوجة قاسم و رأيتها تتعذب أمامي لحظة بلحظة و شعرت براحة غريبة مثل تلك الراحة التي يحدثها الصمت عندما يقضي على ضوضاء مزعجة ، و زاد ذلك الشعور بالراحة عندما رأيت قاسم يتألم من مقتلها

و تحول هو الآخر لمجرد جثة !

جثة مازالت تتنفس !

إلتفت له لأراه ينصت لي بإهتمام فسألته : و أنت ؟! هل تظن إن الإنتقام كافي ؟

مد صوّان يده لصحن الفواكه و قال : الإنتقام مثله مثل هذه الفواكه، له أشكال و ألوان و مذاق يختلف من نوع لآخر..

إبتسمت و أنا أجلس مرة أخرى على المقعد قائلة : هذا لا يجيب على السؤال أيضاً ..

عاد هو الآخر ليجلس على مقعده ، يمد يده لعنقود عنب أحمر ، قطف أحد حباته و هو يقول : بل يجيب !

كل إنتقام له مذاق مختلف تتذوقين حلاوته و تستمتعين بها و لكنها سرعان ما تختفي عندما يعاودك الجوع مرة أخرى ..

عقدت حاجباي بتساؤل : تبدو و كأنك لا تحبذ الإنتقام !

أنت من بين كل الناس؟!

إبتسم إبتسامته الغامضة و قال : و من قال إنني لا أحبذه ؟!

أنا أتذوق حلاوته كل يوم و لا توجد فرصة للجوع أن يذكرني به !

حركت رأسي بحيرة و قلت : كيف تشعر بحلاوة الإنتقام من آخرين لا

تعرفهم و لا تعرف إذا كانوا يستحقون الإنتقام أم لا ؟ إحتفظ بابتسامته على وجهه و هو يجيب : و من قال إنني لا أعرف ؟!

جميعهم يستحقونه !

من هو ضحية اليوم هو جلاد الغد . .

ثم نظر إلى صحن الفاكهة و قال : لم تريننني ما هو مذاق إنتقامِك المفضل . .

ضحكت و ممدت يدي لآخذ حبة فراولة حمراء متوهجة و لوحت بها أمامه و أنا آكلها .

ضحك و هو ينظر لي بهيام : هناك معتقدات قديمة ربطت بين الفراولة و الجمال و الربيع و تجدد الحياة الدائم . .

الآن تأكدت إنهم كانوا على حق !

إبتسمت لكلماته الرقيقة و قمت مرة أخرى ، اتجهت نحو منتصف الغرفة في قلب السجادة التي تحوي الأفعى التي تبتلع ذيلها في شكل دائري كبير يشعرني إنها تدور حول نفسها و حولي بالرغم من إنها لا تتحرك بينما قال صوّان من خلفي : إذا هدفكِ هو حرمان قاتلي أسرتك من إحبائهم ، هل ستفعلين بمنصورة ما فعلتيه بآلماس ؟

وقفت أتطلع لرأس الأفعى كثيراً ثم نظرت له : هل طلبت منك منصورة قديما أن تتخلص من أبناء يزيد من زوجاته الأخريات ؟

إبتسم صوّان ، برقت عيناه كأنهما نجمتان في سماء حالكة و قال : يبدو إنني لست الوحيد القادر على إكتشاف الأسرار !

تقدمت نحو رأس الأفعى و أنا أفكر بتلك الفكرة التي تحوم حول رأسي طوال الأيام السابقة ثم نظرت له بشك دون أن انطق ، قام من مقعده و أتى ليقف أمامي و بيننا على الأرض رأس الأفعى ، ثم اومأ برأسه بالإيجاب و كأنه قد سمع تساؤلاتي بدون أن أنطقها .

حدقت به للحظات و أنا مصدومة ثم قلت : إذا آلماس هي الأخرى و حملها المتكرر و موت أبنائها فور ولادتهم لم يكن صدفة أبداً !

منصورة هي من طلبت منك أن .. !

و لكنها كانت تحب آلماس و أحضرت لها تلك الساحرة لتساعدها في الإنجاب !

لماذا إذن ؟!

مد صوّان يديه ليلامس يداي ليهدأ من سرعة تساؤلاتي و يريح عقلي اللاهث قبل أن يقول بإبتسامة ساخرة : لم تفلح كل الوسائل مع منصورة لتنجب الإبن الذي أراده يزيد ، لم تحب أبداً إلا نفسها و بناتها و لم يرعبها إلا فكرة أن يكون لآلماس إبن يعزز وضعها هي و قاسم ، و يرث كل هذه الأملاك و الثروات المشتركة.

نظرت له بإستنكار و نفور قائلة بإنفعال : كيف تستطيع أن تكون وراء موت كل هذه الأطفال البريئة ؟!

كيف تطيع منصورة في كل ما تطلبه منك ؟!

نظر لي و في عيناه تلك النظرة الحنونة و قال بنبرة حازمة : ليس كل ما طلبته مني !

وقفت كالحجر في مكاني للحظات أنظر داخل عينيه و انا أحاول قراءة السطور التي كتبت داخلهما ثم قلت و قد إختنق صوتي : هل كانت قد طلبت منك أن تتخلص من أسرتي أيضاً ؟

إتجه صوّان ناحية الرفوف و أزاح سلماً ضخماً إلى منتصف الرفوف و هو يقول : نعم !

كانت منصورة تكرهكم !

كرهت السعادة التي جمعتكم ، كرهت أمك و شعرت إنها تملك أكثر مما تستحق ، الجمال و الزوج المخلص و الأبناء الذكور و كانت تشتعل غضباً كلما رأت نظرات الإعجاب في عيني يزيد عندما يرى أمك أو حتى يذُكر إسمها أمامه ، أرادت أن تفنيكم من الوجود حتى تشعر بالأمان و تعود لها راحة البال !

طلبت مني ذلك و كنت قادر على تحقيق مرادها و لكنني لم أفعل ما لم أريده !

عقدت حاجباي و أنا أقترب منه و هو يفتح صندوق صغير مخفي وسط أحد الرفوف ، أخرج منه عقد و مد يده و أعطاه لي ، بمجرد أن ألتقطت العقد باغتت الدموع عيناي و أنا أتذكر أمي و هي تبحث عنه لأيام في

كل أركان المنزل و هي حزينة لفقدانه فقد كان هدية عزيزة عليها من والدي . .

نزل من على السلم و وقف أمامي و قال : هذا دليل على محاولاتها لعمل سحر يقضي على أمك و لكنني لم أفعل أبداً ! مسحت دموعي و نظرت له متسائلة : و لماذا رفضت ؟!

أجاب سريعاً بنبرة حاسمة : لا يمكنني أن أتسبب في أذى لكِ !

لم أجد ما أقوله من فرط حيرتي ، فأضاف هو : لهذا قررت منصورة أن تحرض الجميع ضد والديكِ ، أقنعتهم إنهم يتمنون لهم الأذى ليستحوذوا على كل الأملاك ، و إنهم يقومون بسحر ليحرم يزيد من إنجاب الذكور و يحرم قاسم و الماس من تحقيق أملهم في الإنجاب . .

بالفعل إستطاعت أن تزرع الفكرة برأسهم و لهذا إنقلب يزيد و قاسم على والدك و بدأوا في سرقته كنوع من العقاب له و الإنقلاب ضده، و عندما تصدى لهم والدك و أخواك إشتعلت الحرب بشرارة الكراهية التي أشعلتها منصورة . .

لم يكمل صوّان كلامه ، أكتفى بما قال عندما الألم و الغضب مجتمعان في عيني ، أخذت نفساً عميقاً ثم خطوت لأقف على رأس الأفعى الموجودة على السجادة و قلت : إذاً فمنصورة هي أصل كل الشر و الأحقاد ، هي من دمرت حياتي . .

وضع صوّان الصندوق الصغير بجانب صحن الفواكه و جلس و هو يقول

بتلك النبرة الحازمة العميقة : هذا لا يغير حقيقة إنهم جميعا شركاء فيما حدث ، كلهم أرادوا القضاء على أسرتكِ ..

شبك يديه أمام وجهه و هو يتطلع لي ، ثم أضاف بمزيج من الحنان و الدهاء : و هل تريدين الإنتقام منهم بنفسك ؟ أو.. يجب أن أتدخل ؟

إقتربت منه و نظرت له قائلة : لماذا تساعدني ؟ رغم إنك لم تطلب مني أي شئ ..

إبتسم و قال : العطاء ليس له مقابل لو كتبته الأقدار...

مرة أخرى لم أفهم ما يقوله ، و لم يكن لدي رغبة في الإستفسار، سكتت للحظة ثم جلست أمامه و قلت ببطء : أريد أن أرى منصورة تتألم دون توقف ..

أريد أن أحرمها من كل شئ أحبته و غدرت من أجله..

أريد أن أراها تفقد قوتها يوما بعد يوم ..

أريد أن أراها ذليلة.. دميمة.. وحيدة !

زادت إبتسامته و هو يقول : أمركِ مطاع ...

كنت أحاول السيطرة على أنفاسي من شدة إنفعالي ثم قلت : و بعد أن أنتهي منها يحين موعدي الأخير مع قاسم .... ثم يزيد ...

صمت صوّان للحظة و هو يتفحصني بعينيه ثم حرك رأسه ببطء مؤيداً.

قلت له بلهفة و توتر : الوقت تأخر، يجب أن أعود للمنزل ، لكن أخبرني ماذا ستفعل ؟ و هل تريد مني شيئاً ؟ لدي بعض المال و المجوهرا . . .

أشار بيده بحدة لأصمت و هو يقوم من مقعده و قال بنبرة حاسمة : هل تثقين بي ؟

ترددت في الإجابة و لم أنطق فأكمل هو : ثقي بي !

هذا كل ما أريده منكِ . .

كادت عيناي أن تنطق قبل لساني من شدة حيرتي أما هو ابتسم و اتجه نحو السلم المؤدي للطابق الأرضي .

صعدنا السلم و مررنا من الباب المغطى بالمرآة ، وصلنا لصالة الطابق الأرضي ، أخرج صوّان من طيات ملابسه قنينة صغيرة بها سائل شفاف و أعطاها لي قائلاً : ماء الورد المفضل عند منصورة !

نظرت له متسائلة : ماذا سيحدث ؟

ابتسم بثقة و قال : هل تريدين أن أفسد عليكِ متعة المشاهدة ؟

إستسلمت له رغم غموض إجابته و قبل أن أصل إلى باب المنزل إستدرت و إبتسمت لهو فتحت كفي : أشكرك . .

نظر إلى عقد أمي الذي إحتضنته بكفي ثم هز رأسه في صمت و عيناه تحمل نظراته الحنونة المعتادة التي تتناقض مع شكله و حياته و أفعاله و تاريخه ، لكنني تقبلت فكرة إنه مخلوق مختلف خارج المنطق المعروف

لدى البشر...

تركت منزله ، عدت و انا أحمل إحساس غريب بالراحة ، راحة لم أشعر بمثلها من قبل ، لأول مرة أشعر بأنني أشارك أحداً بما خبأته داخلي لسنوات ، لأول مرة أشعر بإن أحداً يساعدني و إنني لست وحدي ، و الغريب إنني أشعر بتلك الراحة مع المخلوق الذي لا يمكن لإنسان على الأرض أن يأمن له أو يرتاح معه ...

أشعر بالراحة مع شيطان !

لكن الأغرب من الشعور بالراحة كان الشعور بالتردد و الإرتباك ، لماذا أشعر به تجاه يزيد ؟

لماذا شعرت في الأيام الأخيرة إنه يختلف عن الصورة التي طالما حملتها عنه؟

لماذا أشعر إنه ليس وحش كاسر كالآخرين؟!

بل على العكس !

أشعر برقة قلبه الذي يختبئ وراء وجه جامد يحاول يعكس صورة ليست حقيقية !

ماذا بي ؟! هل أتعاطف مع أحد قاتلي أسرتي ؟!

هل هو مجرد تعاطف فقط ؟! أم هو أكبر من مجرد تعاطف ؟!

دخلت غرفتي و ارتميت على السرير و لم أعرف كم من الوقت نمت و لم أشعر بالعالم حولي إلا في اللحظة التي سمعت فيها صوت بكاء و نحيب ، إنتفضت من على السرير و فتحت الباب لأجدهم أمامي يبكون جميعاً ..

نعم كانت أسرتي تجلس على الأرض بينما يحترق حولهم المنزل و هم يبكون و يمدون أيديهم لي طلباً في المساعدة و بدون أن أفكر تقدمت نحوهم و لكن ذراع قوية جذبتني ، ذراع يزيد التي منعتني من الذهاب إلى أسرتي بينما تعالت أصوات بكائهم ، إختلطت مع أصوات ضحكات مزعجة من خلفي ، ضحكات منصورة و آلماس و قاسم ..

قاومت يزيد و تخلصت من ذراعه و لكن بعد فوات الأوان حيث طالت النيران أسرتي و هم يصرخون فصرخت أنا الأخرى لأجد نفسي على سريري بأنفاس تكاد أن تختنق من نيران كابوسي ..

ذهبت متلهفة نحو المرآة و لكنني لم أجد أسرتي لأول مرة ، ضربت عليها بجنون لعلهم يعودون !

تذكرت جملة صوّان : هذا لا يغير حقيقة إنهم جميعاً شركاء فيما حدث ، كلهم أرادوا القضاء على أسرتكِ ..

تحسست المرآة ، إستندت برأسي عليها و أنا أبكي : سامحوني .. سامحوني !

شعرت بيد من خلف المرآه تمس على رأسي ، إلتفت ، وجدتها أمي و من خلفها أبي و شقيقاي يبتسمون لي ... لقد عادوا !

" هزيمة منصورة "

طوال الأيام التالية لم أتمكن من الدخول لغرفة منصورة حتى أفرغ السائل في ماء الورد الذي تستخدمه دائماً في استحمامها ، بينما كان يزيد يحاول أن يتجنبني كلما رآني و لم أعرف إذا كان يتجنبني خوفاً من غضب منصورة عليه أم خوفاً من غضبها عليّ ، لكنني كنت أعرف إن ما يحدث يثير غضبي أنا أيضاً تجاه نفسي . .

عرفت من البنات إن حفلاً كبيراً تحضر له منصورة بمناسبة قدوم العام الجديد ، لذلك كانت البنات منشغلات بالتحضيرات النهائية لفساتينهن الجديدة التي تتناسب مع المناسبة ، لأول مرة تفاجأت منهم بفستان قمن بتحضيره مع الخياطة من أجلي . .

إعتادت منصورة إقامة حفلات بشكل مستمر تدعو فيها كبار العائلات لتستعرض ثرائها ، يبدو إنها أرادت أن يكون هذا الحفل الأكبر و الأكثر إبهاراً على الإطلاق بالرغم من علاقتها المتوترة بيزيد مؤخراً . .

منصورة تتعامل مع العالم من حولها و كأنه مملكة و هي الملكة المتوجة عليه ، لذا يجب عليها السيطرة على زوجها ، بناتها ، منزلها ، أموالها ، مكانتها و صورتها أمام الجميع حتى و لو كانت صورة مزيفة تخفي حقيقة هشة مفككة . .

و في اليوم الموعود كان القصر يعج بالخدم و الحركة التي لا تتوقف ابداً

إستعداداً للحفل المرتقب ، و ملأت الورود بمختلف الألوان و الأشكال أركان القصر ..

ورود بهرت العيون و أبهجت قلوب كل من رآها ، و كأن صوّان لم يترك شيئاً للصدفة ، فهو إختار ماء الورد المفضل لدى منصورة ليكون عقابها في اليوم الذي لوّنت فيه عالمها بكل ألوان الورود التي حضرت لتشهد على هزيمتها ..

هزيمة منصورة ...

كانت البنات في حالة حماس لأن الحفل سيمتلئ بكل شباب العائلات الكبرى و إن كان حماسهم قد زاد لحضور أحد أقاربهم الذي كان يعيش في أوروبا ، تركت البنات و كل واحدة منهن منشغلة بتحضيراتها ، بينما كانت منصورة بالأسفل تمارس تعذيبها للطباخين و الخدم بمزيد من الأوامر الصارمة ، إتجهت لجناحها الذي كان خاوياً و بسرعة إتجهت للحمام حيث وجدت قنينات ماء الورد الخاصة بها ففتحتها و أفرغت في كل منها نقاط من قنينة صوّان ..

فتحت باب الجناح ببطء و تأكدت أن لا يوجد أحد بالخارج و خرجت على أطراف أصابعي ، و عند نهاية الردهة حيث غرف البنات سمعت صوت منصورة و هي تتكلم مع بناتها بغضب و لوم و هي تقول : هل فقدتن عقولكن ؟ أم إنها سحرتكن ؟!

تحضرن لها فستان يكاد يكون أجمل من فساتينكن جميعاً ؟!

ألا تخفن منها و من جمالها ؟!

..ألا...

قاطعتها جلبهار بإستنكار شديد قائلة : ألست تبالغين يا أمي ؟ لا أدري سبب كرهك لسالينا رغم إنكِ من أحضرتيها لهذا المنزل ..

قاطعتها منصورة بحدة : نعم أحضرتها لتكون تحت عيني !

تدخلت سرور: لماذا تتكلمين عنها و كأنها تنوي الشر لنا ؟

إزدادت منصورة حدة : لأنكن جميعا غبيات و لا تدرون شيئاً ! إنها صورة من أمها !

إنقبض قلبي عندما سمعت منصورة تذكر أمي بينما إستمرت منصورة قائلة : لقد كانت أمها تغار منا و أرادت الإستحواذ على كل شئ بل و حاولت إغواء والدكن قديماً ...

شهقت نور و هي تبرم خصلات شعرها بينما قالت نهر بتردد : حتى لو هذا ما أرادته أمها !

فهي ماتت أو قتلت منذ سنوات مضت ، ما علاقة ذلك بسالينا ...

كادت منصورة أن تنفجر في وجهها قائلة : سالينا عادت لتنتقم و تكمل ما بدأته أمها !

إنقبض قلبي مرة أخرى بينما نظرت الفتيات لبعضهن البعض بنظرات

تتأرجح بين القلق و الشك و عدم الإقتناع ، فاستمرت منصورة بغيظ و هي تتجه لباب الغرفة عائدة لجناحها لتستعد للحفل : لا أدري ماذا أصابكن ! و لكنني حذرتكن !

أسرعت أنا للطابق الأرضي و دخلت غرفتي و نظرت للمرآه حيث تنتظرني عائلتي دائماً ، نظرت لهم نظرة مطمئنة بإن النهاية آتية قريباً .

في المساء كان موعد الحفل حيث بدأ الضيوف في القدوم للقصر بينما كنت أراقب المشهد من خلف باب غرفتي حيث كان في إنتظارهم منصورة ، بدت كملكة متوهجة بشعرها الأحمر الداكن المرفوع و المزين بحليات من الأحجار الكريمة الحمراء ، بينما إرتدت فستان أحمر داكن زينة أطرافه بقماش الدانتيل الأسود الفاخر، بينما وقف جانبها يزيد بوسامته و أناقته المعتادة و وجهه لا يحمل أي تعبير إلا الترحيب بضيوفه ، لاحظت في الأيام الماضية إنه يتحاشى حتى النظر ناحيتي على عكس ما إعتدت عليه منه ، هل قرر أن يبتعد ؟!

هل كانت مشاعره نحوي مجرد نزوة و إنتهت بعد مواجهته مع منصورة ؟

لماذا أهتم ؟! و لماذا أشعر بالغضب ؟!

بدأت البنات في النزول حيث كان كلاً من نهرو نور في المقدمة ليتنافسا كالعادة في مظهرهنا اللافت للإنظار بفستان ذهبي لامع و آخر أصفر زاهي ، من بعدهما سرور بفستانها الناعم بلون العاج ، بينما ظهرت جلبهار بفستانها الرمادي الوقور المزين بخيوط و زخارف زرقاء ...

بينما أنا كنت قد قررت أن أبدو في أزهى مظهر بالرغم من إن نهر و نور قد إختارا لي فستان باللون الرمادي مثل لون فستان جلبهار، و سواء إختاراه بقصد أو بدون فلم أكن لأختار أفضل منه حيث أضفت عليه لمساتي الخاصة من ورود الدانتيل الملونة التي جعلته أكثر تميزاً و أكثر ملائمة للمناسبة بينما زينت شعري ببعض من هذه الورود مما جعلني مميزة عن الجميع !

فتحت باب غرفتي ، اتجهت نحو الحضور و كما ينتشر النار في الهشيم إنتشرت شهقات الإعجاب من الرجال و همسات الغيرة من النساء بين كل الحاضرين . .

حتى إن البنات تجمدن و على وجوههن آثار المفاجأة و كأنهن لم يتوقعن أن أبدو بهذا الجمال . .

أما يزيد فعادت عيناه لتلاحقني مرة أخرى كما عادت الإبتسامة لوجهه بعد أن كانت قد هجرته الأيام الماضية ، بينما هربت من على وجه منصورة تلك الإبتسامة المتقنة التي رسمتها أمام الحضور و عادت لترفع حاجبها فوق عينان إشتعلتا بالغضب و الغيرة . . .

كانت الموسيقى تعزف بينما كنت أتابع منصورة بدون أن تلحظ ، لم يكن يبدو عليها أي شئ مختلف عن المعتاد بل على العكس كانت متألقة ، و للحظات تسائلت هل ماء ورد صوّان لم يأتي بمفعول بعد ؟!

أم هل نسيت أن أضعه في كل القِنان ؟

هل يمكن أن يكون صوّان قد خدعني؟! ...

قطع أفكاري صوت هادئ يقول : أعتقد إن جمالك فاق جمال كل الورود الموجودة في القصر ...

إلتفت لصاحب الصوت لأجد شاباً وسيماً شديد الأناقة ، أبتسمت له قائلة : أشكرك على المجاملة و لكنني لا أستطيع أن أنافس وردة واحدة في جمالها ..

لمعت عيناه العسليتان و هي يقول : من هن في نصف جمالك لا يملكن نصف تواضعك ..

ضحكت لكلامه الرقيق و عيناي تتجول لمراقبة العائلة ، كانت البنات نهر و نور و حتى سرور قد عادت على وجوهن ملامح الغيرة القديمة التي إعتادت أن تسيطر عليهن سابقاً ، أما جلبهار فقد بدا عليها غيرة من نوع آخر، بينما كانت منصورة تراقبني بعيون مشقوقة كالأفعى و هي تتابع يزيد الذي لم يستطع أن يخفي نظراته التي تتابعني بلهفة حقيقية أسعدتني ، واصلت ضحكتي و قلت للشاب : ألن تعرّفني بنفسك ؟!

إبتسم الشاب و مال مقبلاً يدي قائلاً : أنا مراد سليمان ، عمتي هي منصورة هانم، جئت منذ أيام لمصر حيث كنت أدرس الطب في فرنسا.

زادت إبتسامتي بعد معرفتي بقرابته للعائلة فهو سبب إضافي لإحساسهم بالغيرة بجانب وسامته ، بينما إقتربت البنات و على وجوههن الفضول الغيور حيث حاولن لفت إنتباهه و تشتيته للحظات إلى أن مد يده لي و

سألني إذا كنت أرغب في الرقص ، فقبلت و إتجهت معه لمنتصف الصالة حيث كانت العيون تتابعنا خطوة بخطوة ، بدأنا بالرقص بينما أراقب وجوه البنات التي بدأت الغيرة الصريحة في إلتهامهن ، منصورة قد بدا عليها التأهب و الإستنفار و كأن حرباً قد تشن في أي لحظة بينما بدا حاجبا يزيد كقطاران على وشك أن يتصادما ...

رقصت مع مراد كما لم أرقص من قبل حتى إنني شعرت إن الموسيقى تتابع خطواتنا و لسنا نحن من نتبع نغماتها !

حتى أن الحاضرين لم يجرؤوا أن يشاركوننا الرقص و فضلوا مشاهدتنا ، كأنه عرضاً مسرحياً يستمتعون به ..

لكن فجأة توقفت الموسيقى عن ملاحقتنا عندما قاطعتها صوت منصورة التي أرادت إنهاء هذا المشهد بدعوى إنه آن آوان العشاء ..

تجمعنا حول المائدة حيث كانت العيون أكثر تعبيراً من كل الكلمات ، عينا مراد ظلا يمطراني بنظرات الإعجاب أما عينا يزيد لم يفارقاني ، لم يعد يرى سواي دون أن يهتم بعينا منصورة التي لاحقتنا جميعاً بنيرانها المشتعلة أما عيون البنات ضلت طريقها بين الغيرة و الحيرة ، كان واضحا إن كلام أمهن قد أثر فيهن و زرع فيهن من جديد ذلك الشعور بالغيرة مني و دعم ذلك حضوري الطاغي الذي جذب إعجاب جميع الموجودين بالحفل و بالأخص مراد ، لم أكن أدرك ما أفعله !

هل أخاطر بكل شئ لإثارة غيرة يزيد ؟

هل نسيت وعودي لعائلتي ؟! هل دعم صوّان لي أفقدني عقلي ؟!

بينما كان الحاضرين يتبادلون أحاديثهم على مائدة الطعام العملاقة ، لم يحرك يزيد عيناه عني ، كانا يحملان رسائل مختلطة كتبتها مشاعره المتصارعة بداخله ، منصورة تراقبه و هي على وشك إنفجارلم يمنعه سوى وجود الضيوف ، فجأة قام مراد و أشار للحاضرين طلباً لإلقاء كلمة و نظر لنا جميعاً بإبتسامته اللبقة : في البداية أود أن أشكر السيد يزيد و زوجته منصورة هانم عمتي العزيزة على هذا الحفل الرائع، كما أوجه تحياتي لبناتهم الجميلات اللاتي لم أرهن منذ سنوات طويلة إزددن فيها جمالاً على جمالهن . .

إعتلت الإبتسامات وجوه البنات في هذه اللحظة بينما عادت منصورة لتقمص شخصية الملكة المتوجة دون أن تفقد تركيزها مع يزيد، بينما أضاف مراد : و بالرغم من حياتي خلال السنوات السابقة في فرنسا أحد البلاد التي تشتهر بالجمال إنني لم أتوقع أن أجد الليلة جمالاً فاق ما رأيته هناك . .

و نظر مباشرة لي نظرة تجهر بإعجابه للجميع . .

في هذه اللحظة تشنجت نظرات البنات و تعالت همسات الحضور الذين تفاجأوا بجرأة مراد بينما تجمد يزيد مصدوماً للحظة ثم نظر لي و قال كأنه إنفصل عن كل من حوله و لم يعد يرى سواي :

أحبـــــــــــــــــــــــك . .

لم يسمعه أو يدرك ما قاله سواي أنا و منصورة التي فقدت السيطرة على غضبها المكتوم ، ضربت بيدها ضربة زلزلت طاولة الطعام ، أخرست الجميع و همت بالصياح ...

لكن لم يخرج صوتها و إنما خرج صوت متقطع مخنوق أقرب لفحيح مخيف حيث مسكت رقبتها و كأنها تختنق ، إنتفضت نهر الجالسة بجانبها تصرخ بذعر ، تبعتها نور بكوب من المياه الذي ضربته منصورة بيدها ليطير و يسقط منكسراً أمامنا على الطاولة ليتضاعف الذعر و تعالت الصرخات المتسائلة لما يحدث حيث إمتقع وجه يزيد و هو يشاهدها تختنق قبل أن يقوم ليلمسها فيرتد مصدوماً وسط صرخات البنات التي توالت حيث كان وجه منصورة يتورم بسرعة شديدة و يتلون بلون أحمر داكن مخيف ، كأنه ما بداخلها يغلي و على وشك أن تنفجر أمامنا ..

كان مراد هو بطل تلك الليلة حيث فعل كل شئ في الإمكان لإسعاف منصورة التي تورم جسدها بشكل مخيف و فقدت قدرتها عن الكلام الذي أستبدل بفحيح ..

إنصرف أغلب ضيوف الحفل الأسود و بقى مراد مع بعض الأطباء طيلة الساعات التالية يحاولون إكتشاف ما يحدث لمنصورة و التخفيف عنها بإعطائها بعض المسكنات ، البنات في حالة هلع مما يحدث لأمهن أمامهن بينما جلس يزيد في غرفتها و الصدمة تعتلي وجهه و كأن عقله لا يصدق إن من يراها هي منصورة التي يعرفها ، فقد بدا المشهد

أسطورياً و كأن لعنة أصابت الملكة على أرض مملكتها الحصينة ..

أعلن مراد عن تشخيصه بأن جسد منصورة يُبدي حساسية شديدة ضد شئ ما قد تعرضت له ، أوصى مع باقي الأطباء ببعض الأدوية و الإرشادات حتى تتخطى هذه المرحلة الحرجة ..

تكررت زيارات مراد طوال الأسبوع ، في كل زيارة كان يختلس دقائق للحديث معي و إظهار مزيد من الإعجاب بينما كانت البنات تظهر الغيرة و الإستياء من تقربه مني ، كان مراد ليس فقط إبن خالهم بل كان شاباً وسيماً كما تفضل سرور و كان ثرياً كما تعشق كلاً من نهر و نور، بينما كانت جلبهار تظهر مزيداً من الغيرة منه و ليس مني ..

أما يزيد فقد إنشغل بما حدث لمنصورة و لم تأتي فرصة للحديث عن إجهاره بحبه لي أمامها قبل لحظات مما حدث لها ، و إن كانت نظراته عادت لتشتعل بالغيرة عندما رآني أتحدث مع مراد ..

إنهيار منصورة و حب يزيد الصريح و غيرة البنات التي أربكت علاقتي بهن و إعجاب مراد المتزايد، كان هذا هو المشهد العام ، مشهداً مزدحم مختلط ، على قدر ما يرضيني على قدر ما يربكني حتى تفجر المشهد تماماً في اليوم السابع عندما وقف مراد ليتحدث معي بشكل مباشر عن إعجابه بي و قال : أعرف إن الظروف الحالية لا تسمح بما أقوله و لكن عمتي منصورة سوف تتخطى مرضها بمجرد أن تشفى من جميع التورمات .. صحيح إنها لم تستعيد صوتها بعد و لكنه سيعود مع الوقت ..

مد يده ليمسك يدي و هو ينظر داخل عيناي : هناك شيئا ما يجذبني إليكِ من أول لحظة رأيتكِ فيها ..

و زاد إعجابي بكِ طوال الأيام الماضية بعد أن عرفتك عن قرب و رأيت مساندتك للجميع في هذه المحنة.

إقترب خطوة و هو ما زال يمسك يدي ، تنفس نفساً عميقاً و أضاف : صحيح إن الوقت لم يكن كافٍ و لكنني يجب أن أعود إلى فرنسا قريباً ، لا أعرف إذا كنتِ تبادليني نفس الشعور و لكن ما أشعر به أكبر من مجرد إعجاب .. أنا أحبك ..

كنت أستمع لكلماته و أنا أحاول أن أجد الكلمات التي سأجيبه بها عندما يصل لهذه الكلمة ، فلم أكن أسيطر على أفكاري و مشاعري طيلة الفترة السابقة و وجدت نفسي أهمهم ببعض الكلمات لأجد مخرج من هذا الموقف ، لكن صوت نهر قاطعني و هي تقول بغضب : أعتقد يا سالينا أن أمي تستحق منكِ مزيداً من الإحترام لحالتها ..

نظرت لها لأجدها تقف على السلم و بجانبها نور التي أضافت بصوت يلتهمه الغيرة : هي تتألم و أنتِ تقفين هنا في حالة عشق و هيام .

قاطعها مراد بنبرة صارمة : كلاكما مخطئتان ، سالينا لم تتوقف لحظة عن مساعدة و مساندة الجميع ..

و إن كان هناك أي شئ قد أزعجكما فهو خطأي أنا لأنني من طلبت التحدث معها ..

في هذه اللحظة جاءت كلاً من جلبهار و سرورعندما سمعا الحديث ، كان صمت سرور يصرخ بالغيرة و الحقد ، قد وضعت آمالاً كبيرة على مراد ، أما جلبهار إبتسمت ساخرة و كأنها تستمع بما تفعله شقيقاتها لفض أي لحظة رومانسية تجمعني بشخص آخر، إنضم يزيد للمشهد قادماً من الخارج و سرعان ما لاحظ الإستياء و الغضب على الوجوه فعقد حاجبيه و هو يتساءل بتوتر : ماذا بكن ؟! ماذا حدث ؟!

كانت نظراتهن التي فاحت رائحة الغل منها كافية للإجابة بالأخص عندما تقدم مراد خطوتين نحو يزيد و قال بجدية شديدة : عمي يزيد أعلم أن الوقت غير مناسب ، لكنني أريد أن أتقدم للزواج من سالينا !

تتابعت شهقات البنات التي تحشرجت بصوت أنفاسهن المصدومة بينما تجمدت ملامح يزيد للحظات ثم أخذ نفساً عميقاً محاولاً أن يخفي وراءه إرتباك شديد إختنق به صوته : صحيح مراد إن الوقت غير مناسب

حدق مراد فيه ثم أضاف : و لكن يجب أن . .

قاطعه يزيد : كما قلت لك !

ثم تركنا و صعد السلم بخطوات واسعة لينهي هذا المشهد ، تطلع مراد نحوه قبل أن يختفي في الطابق العلوي ، بينما وقفت البنات تتابع المشهد ثم نظر لي و مسك يدي و هو يقول بصوت بإصرار : سأعود غداً . .

غادر و ترك من خلفه البنات تحترق على نيران الغيرة ، غيرة أحرقت

روابط الثقة التي ربطتني بكل واحدة منهن..

لن تشفع لي الصداقة معهن من الآن ، فقد ورثتن حب الإمتلاك و الرغبة في السيطرة و الإستحواذ ، أسلحتهن هي السحر و الأذى و القتل مثلما تفعل كلاً من نهر و نور إتجاه بعضهما و إتجاه الآخرين بإسم الأنانية ، و مثلما تفعل سرور للإنتقام ممن يهجرها ، و مثلما تفعل جلبهار لتدميرمن تكرهه ..

في اليوم التالي إستمرت البنات في حالة نفور مني و لم يلطف الأجواء إلا وصول هدية مثلما إتفقت معها على المجئ بحجة رعاية منصورة ، ضمتني بفرحة و إشتياق شديدين بمجرد أن رأتني و هي تقول بتلقائيتها المعتادة : حبيبتي سالينا ... كم إشتقت لكِ ! كيف حالك ؟ و كيف يعاملونكِ هنا ؟ و ماذا حدث لتلك الأفع....؟

قبل أن تنتهي من إسئلتها التي لن تنتهي ، أتت كلاً من نهر و نور لتفحصها و على وجههما نظرات أمهما المتعالية بنفس التحفظ و النفور تجاهي، فرسمت إبتسامة على وجهي كأنني لا ألاحظ تصرفاتهما ، قمت بتقديمهما لهدية بينما وقفت نور تبرم خصلة شعرها و هي ترمق هدية من أسفلها إلى أعلاها قبل أن تقول : إنتِ من جاءت لتعتني بأمي ؟!

ردت (هدية) و هي تشبك كفيها : نعم أنا ! إسمي (هدية) .. ضمت نهر شفتيها بسخرية و هي تقول : (هدية) ؟! إسم مضحك !

أشاحت (هدية) برأسها ثم إبتسمت ممتعضة : كذلك إسمك يا سيدة

نهر! إسم .. جميل ..

وقفتا لتحدق في أنا و هدية للحظات ثم إنصرفتا بينما وضعت هدية يدها تحت ذقنها و هي تقول : من شابهت أمها فما ظلمت ! ضحكت أنا من عفويتها التي لم تفقدها و قلت : كم إشتقت لكِ ! أريدك أن تتحكمي في إنفعالاتك مهما حاولن إغضابك !

أريدك أن تكوني عيوني في المكان بالأخص هذه الفترة لأن الأوضاع غير مستقرة و علاقتي بهن متوترة ..

قبلتني هدية على خدي و هي تربت على كتفي : لا تخافي أنا بجانبك و لن أسمح لأحد أن يأذيكِ ! حتى و لو فديتك بعمري !

عانقتها و كأنني أعانق أمي فهدية ، كانت و ستظل فرداً من أسرتي التي غُدر بها و لم يبقى لي سواها ثم قلت لها : و الآن جاء الوقت لأقدمكِ لمنصوره ...

ضمت هدية شفتيها على جانبي وجهها و هي تقول : هل تظنين انها ستتذكرني ؟

أجبتها : لا أظن ! فهي لم تتعرف عليكي عندما جئتي لتودعيني قبل أن أترك الأسكندرية ...

إتجهنا للغرفة و فتحت الباب ، رسمت إبتسامة عريضة على وجهي حيث كانت منصورة ترقد على سريرها و الأورام مازالت تترك علاماتها على وجهها و جسمها بينما كانت تجلس أحد الخادمات لرعايتها ، قلت : عمتي منصورة أراكِ تتحسنين ! أدعو الله أن تتماثلي الشفاء قريباً . . .

نظرت لي بعينيها المشتعلتين بالغضب لم يطفئها آلام جسدها ، و أضفت أنا و كأنني لا أرى غضبها : هذه هي هدية جارتي منذ أن كنت أعيش في الأسكندرية ، جاءت خصيصاً لتعتني بكِ و ترعاكِ . .

نظرت منصورة لها بشك و نفور فرفعت هدية حاجبيها بإستنكار ثم ابتسمت قائلة بعد أن نكزتها في ذراعها : منصورة هانم أنا في خدمتكِ

∞

"الأشجار الأربعة"

كان موعد زيارتي لصوّان قد حان ، رغم إن جميع زياراتي لا تكون أبداً بموعد سابق !

دخلت منزله بعد أن فُتح الباب لي كالعادة دون أن يفتحه أحد ، هذه المرة كنت أعلم طريقي جيداً ، اتجهت نحو المرآة الموجود في الممر المظلم ، فُتحت لي هي الأخرى و دون تردد ، نزلت درجات السلم الرخامي الفخم ذو الحاجز الخشبي المليئ بالنقوش المعقدة حيث كانت تلك الشمعدانات ثلاثية الشموع مضاءة في جميع أنحاء المكان ، بينما كان صوّان واقفاً في منتصف سجادته الفريدة ذات الثعبان الدائري ، وقف كملك تربع على عرش مملكته السفلية و وفتح ذراعيه ترحاباً بي ، و بمجرد إقترابي أمسك بكفاي و عينيه ذي اللونين المتناقضين تشعان بتلك اللهفة الغريبة كلما رآني ..

أمسك بيدي وأوصلني للمقعد و جلس أمامي و على وجهه إبتسامة قائلاً : كيف كان الحفل ؟

إبتسمت مجيبة : كان لافتاً للأنظار!

شردت للحظة ثم نظرت له متسائلة : هل هذا هو عقاب منصورة فقط ؟

شبك كفيه أمام ذقنه و هو يقول : بالطبع لا ! إنها البداية فقط.

أومأت برأسي متفهمة : لقد أحضرت هدية لتعتني بها و لكن لا يبدو إن منصورة ستثق بها . .

إبتسم صوّان بخبث فسألته بتردد : ما هي الخطوة التالية ؟

وقف و استدار خلف مقعده متجها نحو طاولة جانبية قائلاً : هل تفضلين شيئاً محدداً ؟

أجبته بنفس التردد : لا ! أنا أثق في قراراتك ! إنما أعتقد أن منصورة يجب أن تتألم أكثر و لن يقضي عليها سوى بناتها ! إنهن نسخاً منها ! رضعن منها الطمع و الغدر و الأنانية . .

عاد نحوي حاملاً طبق فاكهة جديد ملئ بالفواكه الطازجة و وضعه أمامي مشيراً لي أن آكل منه ، إلتقطت تفاحة لم أرى في جمالها و حمرتها من قبل . .

إبتسم بحنان و قال : كانت الفراولة المفضلة لكِ . . هل بدلتيها بالتفاح ؟

قضمت قطعة من التفاحة و أنا أقول : لا . لكنها لا تقاوم !

ضحك صوّان قائلاً : مثلما تقول الأسطورة !

عندما لم تستطع حواء مقاومة التفاحة من تلك الشجرة المحرمة بعد أن أغراها إبليس !

إلتقط تفاحة هو الآخر و أضاف : لكنها لم تكن تعلم إن آدم إلتقط تفاحة هو الآخر و لكن حواء كانت الأسرع في مشاركة تفاحتها معه

لأنها أكثر عطاءاً و حناناً و لذلك تحملت هي كل اللوم لخروجهما من الجنة . .

صمت للحظة ثم سألني : ماذا فعلن معكِ البنات ؟

لوحت بيدي قائلاً : أبداً !

شخص من عائلتهم حاول التقرب مني فجن جنونهن ، سيطرت الغيرة و الحقد عليهن و تبدلن ضدي في لحظة !

إختفت إبتسامته و ضاقت عينيه : و ماذا عن ذلك الشخص ؟ لاحظت تبدل ملامحه فأجبته سريعا بثقة شديدة : لا يعنيني بشئ على الإطلاق

نظر لي لحظة ثم قضم تفاحته و أنا أسأله : ما هي خطوتك التالية إذن؟

إبتسم بغموض ثم لوح بتفاحته بحركة دائرية و هو يقول: الأشجار المحرمة !

عقدت حاجبي : أليست هي شجرة واحدة ؟

ضحك صوّان بإستمتاع ثم أجابني : كانت شجرة و أصبحت مئات بل آلاف الأشجار!

سألته: كيف؟!

قام مرة أخرى و هو يتجول في الغرفة : قديماً كانت شجرة واحدة و كان إبليس واحداً !

كلاهما كانا سببا في خروج آدم و حواء!

بل و تحولا سببا في كل أخطاء البشر لاحقا ! و لم يلتفت أحدا لحقيقة وجودهما على أرض الجنة !

مكان حصين يستمتع به آدم و حواء فقط !

لماذا إذن كانا كلا من إبليس و الشجرة في الجنة ؟!

عقدت حاجبي ثم هززت رأسي قائلة : لا أعلم ، ما علاقة هذا بخطوتنا التالية ؟

فرد ذراعيه شرقاً و غرباً و هو يقول بسعادة : سنزرع أشجاراً محرمة . .

سرقت المفاجأة الكلمات من لساني فأضاف هو: نعم سنزرعها ! بعد خروج آدم و حواء زرع أبنائهم في الأرض مئات الأشجار منها المرئي و الغير مرئي ، تخطت أشكالها شكل الشجرة المعروف فأصبح منها ما يبدو مثل كتاب أو خاتم أو دمية أو رداء أو مرآه و مئات الأشكال الأخرى ، تنوعت الأشجار المحرمة مثل شجرة معرفة الأمل و اليأس ، شجرة الرضا و التمرد ، شجرة القناعة و الطمع ، شجرة التسامح و الإنتقام ، غيرهم من الأشجار التي أصبحت ثمارها غذاءاً متجدداً لكل من أراد أن يأكل منها و لم يصبح إبليس وحده هو المسئول عن إغواء البشر بل نافسه أبناء آدم و حواء في إغواء بعضهم البعض . .

قمت من على مقعدي و الدهشة تسيطر علي و قلت : كم شجرة ستزرع إذن ؟!

أجاب : أربع شجرات !

شردت للحظة ثم سألته : فهمت من كلامك إنها ستأخذ أشكالاً أخرى غيرشكل الشجرة !

أوما برأسه إيجاباً فحركت رأسي متسائلة بفضول فإتجه نحو إحدى زوايا الغرفة حيث يوجد ستاراً ذهبياً داكناً أمسكه من طرفه و هو يبتسم بفخر ثم أزاحه كاشفا عما يوجد خلفه ..

أربع مرايا أنيقة بيضاوية الشكل لكل منها قاعدة تستقر عليها و إطار خشبي أنيق مليئ بالنقوش المتقنة الغائرة و البارزة.

وقفت أتطلع على جمال تلك المرايا في صمت ، لم أجد كلمات تجرؤ على وصف إعجابي بهم ، لم تكن مجرد مرايا لها سطح لامع و إطار أنيق ، كان بها شيئاً عجيباً يجذب من يراها و كأنها شباكا تتسابق أسماك البحر على الوقوع فيها ...

أخذت نفساً عميقاً و كأني على وشك الغطس في قاع البحر دون أن ألتف إليه ، قلت : مرايا ؟!

أجاب بثقة شديدة : إنها الأشجار التي لن تستطيع بنات منصورة مقاومتها !

إلتفت إليه و سألته : ماذا سيحدث لهن ؟

إبتسم و هو يعود ليجلس : سيحدث لهن ما يحدث لأي شخص تناديه الشجرة !

الشجرة دائما ما تنادي على فريستها مستغلة نقطة ضعفه ، حاجته ، غضبه ، طمعه ، يأسه ، خوفه !

ثمارها تعوض رغبات فرائسها و لكنها لا تشبعهم أبداً ، بل تزيد من جوعهم إلى أن ....

تطلعت إليه و الفضول يلتهمني : إلى أن ماذا ؟!

إبتسم بثقة : إلى أن تنتهي العلاقة بين الشجرة و فريستها ! عقدت حاجباي : كيف تنتهي ؟!

زاد من إبتسامته و قال: دعينا لا نتعجل النهايات !

شردت مرة أخرى للحظات لم أرى فيها سوى وجه يزيد إلى أن قاطعني صوت صوّان و هو يقول بحنانه الغريب: و الآن هل أنتي مستعدة؟

تطلعت له بدهشة : مستعدة ؟!

هز رأسه قائلاً و هو يشير للمرايا الأربعة : نعم ! هل أنتِ مستعدة لأن تروي أشجارك ؟!

تطلعت على المرايا بعيون حائرة فأضاف هو: لكي تثمر الأشجار بثمارها يجب أن تروى ! و الأفضل أن ترويها أنتِ حتى تثمر ثماراً ترضيكِ ! |

شعرت بتردد و خوف و أنا أسأله : كيف أرويها ؟!

أجاب بحنان بالغ : بدمائك !

إنقبض قلبي و أنا أتطلع له ، بينما إقترب هو ليمسك يدي التي ترددت في الإستجابة للحظة و هو يقول : لا تخافي !

فأنا لا يهمني سوى سلامتك !

أقصد قطرات معدودة من دمائك!

تحديداً أربع قطرات !

نظرت داخل عيناه الصفراء و الزرقاء بشك : و هل أربع قطرات من دمي تكفي ؟! إتجه نحو المرايا ، بدأ يتحسسهم و كأنهم مخلوقات حية أليفة رقيقة و قال : لقد قمت بصنعهم و إعدادهم بدقة شديدة لا تحتمل الشك ، فأصبحوا أشجارا نضرة جذورهم عميقة لا ينقصهم سوى الروح التي ستبث الحياة داخلهم و تطرح الثمار خارجهم ، تلك الروح هي القطرات الأربعة . .

تأملت المرايا الأربعة للحظات ، قبل أن أحسم قراري وجدت نفسي أومأ برأسي لصوّان إشارة على إستعدادي ، ذهب إلى الطاولة و التقط علبة صغيرة ، أخرج منها إبرة لامعة و عاد لي و هو يتطلع في بحنانه الغريب ، إلتقط كفي بيده الأخرى قبل أن يأخذني خطوات تجاه المرايا ، أبتسم بهدوء ، ثم غرز الإبرة في أصبعي و الغريب إنني لم أشعر بها إنما كنت أشعر بمزيج غريب بين الألفة و الرهبة تجاه المرايا ، برقة سحب

أصبعي و ضغط به على أول مرآه ليترك أصبعي قطرة دماء على سطحها لم تبقى لحظات قبل أن تتبخر أو بالأحرى تختفي و كأنها غرقت تحت سطح المرآة !

كرر نفس الشئ مع المرآة الثانية و الثالثة و الرابعة ...

بعد أن إنتهى أحضر منديلاً أبيضاً عطراً ، ضمه على أصبعي برقة و هو ينظر لي بحنانه المعتاد ، إرتبكت و سحبت يدي ثم قلت : لقد سألتك أكثر من مرة .. لماذا تفعل كل ذلك من أجلي ؟ و لم تعطيني إجابة واضحة..

أجابني بهدوء: لأنه واجبي !

عقدت حاجباي : واجبك ؟! مازلت لا أفهم !

مازلت أنت لا تُحبني!

إبتسم : ماذا يمثل لكِ الإنتقام من قتلة أسرتك ؟

أجبته : أهم ما في حياتي ! إنه الهدف الذي أعيش لأجله !

تطلع لي بنظرات حملت رسالة اربكتني : مساعدتك هي أهم ما في حياتي أنا أيضاً ! إنها الهدف الذي أعيش لأجله ..

إنقبض قلبي مرة أخرى ، هل ما اظنه صحيح ؟! هل يحبني صوّان ؟! .. كيف ؟! .. لماذا؟!

كم كانت مشاعره واضحة منذ أول لقاء معه ، لكنني لم أفهمها من

فرط غرابتها !

حاولت أن أخفي الخوف الذي أغرق رأسي و أمنعه من الطفو على وجهي الذي أرغمته على الإبتسام و أنا أقول : إخبرني إذن! كيف سآخذ تلك المرايا معي ؟!

مال برأسه و فتح ذراعيه قائلاً : لا تهتمي بتلك الأمور البسيطة ! فالمرايا ستصلك غداً ، ما عليك سوى إهدائهم لبنات منصورة و ستجدين أسمائهن محفورة خلف المرايا ...

فركت يدياي و أنا ابتسم بارتباك : هل تظن إنهن سيقبلن الهدايا مني ؟!

إبتسم و هو يلتقط يدياي : هل لديكِ شك ؟! ما عليك سوى إخبارهن بعدم رغبتك في ذلك الشاب و إن علاقتك بهن أهم و هذه المرايا دليلاً على صدق مشاعرك تجاههن !

إبتسمتُ له إبتسامة شكر و قلت : يجب أن أذهب الآن ..

أومأ برأسه فاتجهت نحو السلم صاعدة قبل أن يناديني : سالينا ! إلتفت له و أنا في منتصف السلم بين العالم الأرضي و عالمه السفلي ، صعد و فتح يديه كاشفاً عن قنينة صغيرة قائلاً : إعطي هذه لهدية كلما زادت آلام منصورة تضع لها قطرات قليلة في الماء ، فتهدأ الآلام و بذلك ستثق بها ..

أخذت منه القنينة شاكرة و صعدت نحو العالم الأرضي ..

"القرار و العقاب"

في مساء هذه الليلة تعرضت منصورة لنوبة جديدة ، أخذت تصرخ بصوتها المبحوح بشكل جنوني بينما إلتفت البنات حولها و هن يحاولن تهدئتها ، تدخلت هدية لتمسح وجه منصورة التي بدت أنها تغلي من الداخل فانفعلت عليها نور مزيحة يديها قائلة : ماذا تفعلين ؟! كانت قد تحسنت حتى جئتي أنتِ !

مطت هدية شفتيها مستنكرة : و هل كنت موجودة عندما مرضت ؟!

وضعت نهر يديها على خصرها : ماذا تقصدين يا وجه السعد ؟! أزاحتها هدية جانباً و أعطت كوب ماء لمنصورة لتشربه و هي تمس جبهتها مهمهمة بكلمات و كأنها دعاء ، ما أن شربت منصورة الماء حتى بدأت أن تهدأ بشكل سريع حتى صمتت تماماً من فحيحها فالتفتت هدية للبنات بتحدي قائلة : ألست وجه السعد بالفعل ؟!

بعدها بدقائق وصل مراد و بمجرد دخوله توترت الأجواء و غطى الحقد والغيرة وجوه البنات حينما رأين تلك النظرة المشتاقة في عينيه عندما لمحني من بعيد ، بعد أن فحص منصورة طلب مقابلة يزيد الذي حاول التهرب منه و لكن مراد أصر على الحديث ، جلسا في الطابق الأرضي حيث كنت بغرفتي بالقرب منهما ، تجمعن البنات على السلم في محاولة لسماع الحديث الذي بدأه مراد: عمي (يزيد) . . أعلم و أقدر

ما تعانونه منذ أن مرضت عمتي منصورة بذلك المرض العجيب .. أخذ نفساً ثم أضاف : لكنني على يقين إنها ستتحسن قريباً و لذلك تجرأت على معاودة طلب الزواج من سالينا ..

عقد يزيد حاجبيه : سبق و أن كررت لك إن الوقت غير ملائم لذلك الـ ..

قاطعه مراد بإصرار : أنا أثق أن عمتي نفسها لن تتمنى سوى سعادتنا !

للأسف علي العودة إلى فرنسا لمدة عام و لذلك أنا لا أملك وقت كافي للإنتظار !

وقف يزيد و بدا كأنه لا يتحمل المزيد : سالينا ليست لك ! أنا.. تردد في إكمال جملته ، وقف مراد و الإستنكار يملأ ملامحه فقاطعتهما أنا قائلة : مراد .. أنا لا أستطيع الزواج منك !

أرجوك لا تسألني عن الأسباب !

أنت شاب تتمناك أي فتاة ، تملك كل الصفات التي تجعلك فارس أحلام للكثيرات و إذا نظرت حولك ستراهن بإنتظارك !

إنبعثت الفرحة من عينا يزيد بينما غطت الصدمة وجه مراد وهمهم : سالينا ماذا.. تقولين ؟!

أجبته بهدوء : أعتذر يا مراد لكنك تستحق من هي أفضل مني .. ثم تركتهما و عدت إلى غرفتي ، و أنا أحمل ذلك الشعور بالإرتياح و لكنه

إرتياح ناقص ، يغلفه شعور بتأنيب الضمير لأنني عصرت قلب مراد لأكسب ثقة البنات مرة أخرى ، لكني لن أخفي الحقيقة عن نفسي !

لقد تخلصت منه لأكسب يزيد أحد قتلة أسرتي الذي أوقعني قلبي في حبه بعد أن هزم عقلي . .

في صباح اليوم التالي وصلت عربة تنقل المرايا المبعوثة من عالم صوّان السفلي ، كان الجميع نائمين ، أمرت بوضعهم في غرفة جانبية ، إستيقظن البنات جمعتهن في غرفتي و قلت : لقد شعرت مؤخراً إن علاقتنا لم تكن كعادتها ، و أنتن لا تعلمن كم أحبكن .

تطلعت نحو جلبهار برقة قائلة : أنا لم يكن لي صديقة مثلكن أبداً . .

ثم تطلعت بإستكانة لنهرو نور: كم تمنيت أن تكون لي أخوات أثق بهن و آتمنهن على أسراري . .

ثم لسرور: أخوات أضحي بأي شئ من أجل سعادتهن . .

ثم نظرت في الأرض بإرتباك : لأكون صريحة.. لقد شعرت أن مراد سبب ذلك التباعد الذي حدث بيننا . .

نظرت البنات لبعضهن البعض بلا مبالاة مصطنعة بينما أضفت بتأثر بالغ : لهذا رفضته لأنني لن أسمح أبداً لأي شئ ليفرقنا و لن أدع أي شخص مهما كان أن يوقع بيننا . .

تطلعت البنات لبعضهن البعض مرة أخرى بنظرات مرتبكة قطعتها

جلبهار، كانت أول من جاءت لتعانقني و من خلفها سرور و نهر و نور بإبتسامات تتأرجح بين الصدق و الزيف ، بينما قلت لهن بإبتسامة عريضة : لذلك أحضرت لكن هدايا ! قالت نهر بفضول : هدايا ؟!

أجبتها : نعم !

هدايا أوصيت بصناعتها خصيصا لكن !

نور : أين هي ؟!

إبتسمت بهدوء : ستجدونها في غرفكن الآن !

إنطلقتا نهر و نور للطابق الأعلى في سباق كعادتهما ، من خلفهما سرور و جلبهار ، و أنا من بعدهما حيث كانت هدية تقف عند السلم تتطلع علينا و في عينيها نظرات الإرتياب و الترقب ، إبتسمت لها لأطمئنها ، صعدت خلف البنات اللاتي وصلن لغرفهن ليجدن الهدايا الضخمة المغطاة بالأقمشة الفخمة الذهبية ، سمعت شهقاتهن و أنا أمر على غرفهن الواحدة بعد الأخرى ، تصلبن جميعاً أمام المرايا كتماثيل تكاد أن تتنفس مثل البشر . .

ما رأيكن في هديتي ؟! أرجو أن تكون قد أعجبتكن !

لم أسمعه إجاباتهن فقد كان إنبهارهن أعلى صوتاً . .

أمضت البنات أغلب يومهن أمام مرياتهن يبدلن فساتينهن واحداً بعد الآخر ، يصففن شعرهن ، و كأنهن إنفصلن عن العالم من حولهن ،

دخلت كل واحدة منهن في عالمها الخاص داخل مرآتها ..

حدقت هدية فيهن بدهشة شديدة : ماذا بهن منذ أن رأين تلك المرايا ؟!

لقد مضت ساعات و هن أمامها يبدلن ملابسهن و يتجملن بلا توقف!

إبتسمت بشرود : دعيهن يفعلن ما شئن !

أرتعش صوت هدية : سالينا حبيبتي! .. إني خائفة عليكِ ! إبتسمت لها : لا تخافي !

هزت هدية رأسها بلا إقتناع ، فجأة سمعنا صوت منصورة تصرخ صرخاتها المفحوحة ، ركضنا لغرفتها و بالكاد تحركن البنات تاركين مراياتهن ، أعطتها هدية دوائها ثم إلتقطت كوب المياه ذو المفعول السحري ، مرددة كلمات غير مفهومة إلى أن هدأت في لحظات ، عادت عيناها لتتفحص من حولها لترمقني بتلك النظرة الشرسة التي لم يقهرها المرض بينما ركضت البنات نحو مراياتهن مرة أخرى ، كأنهن لا يستطعن الإبتعاد كثيراً ، تركت غرفة منصورة و إتجهت لغرفتي حيث قابلت يزيد على السلم عائداً من الخارج ، وقف و هو ينظر لي بإشتياق فلم نجتمع وحدنا منذ ليلة الحفل ، سألني : كيف حالك ؟!

أجبته : بخير!

إبتسم بإمتنان و هو يصعد سلمة في إتجاهي : أشكرك عما فعلتيه بالأمس ..

حاولت إخفاء مشاعري : ماذا فعلت ؟!

صعد سلمة أخرى و قال بتأثر: إخترتي ألا تبعدي عني !

أجبته: إنه القرار الذي كان يجب أن آخذه !

صعد سلمه أخرى و وصل لمستواي : إنه القرار الصحيح !

تلفت حوله ثم قال: أنا أحبك و أنتِ تعلمين ذلك !

أثق إنكِ تشعرين بصدق مشاعري!

أثق إنكِ تقدرين صعوبة موقفي مع كل ما حدث !

لكنني لن أدع شيئا يقف بيننا !

لقد ضحيت بسنوات طويلة من عمري سجين لهذا الزواج خوفاً على بناتي و على ثروتي !

لكنني لن أدعها تفسد حياتي أكثر من ذلك . .

تلعثم من فرط إنفعاله و كأنه لم يعتاد على إعلان ما يخفيه من مشاعر ، سألته و أنا أحاول أن أكذبه من فرط ما أصدقه : تقصد منصورة ؟! أومأ إيجاباً . .

نظرت داخل عينيه مباشرة لأستخرج الحقيقة : رجل في مثل قوتك و سلطتك لماذا يخاف منها إلى ذلك الحد ؟!

أليس شيئاً غريباً ؟!

نظر حوله مرة أخرى ، كأنه تحول إلى طفل صغير تردد أن يقول شيئاً تحاسبه أمه عليه : لأنها .. تستطيع تدمير كل شئ .. لأنها تحالفت مع الشيطان فلم تعد ترى إلا ما يرضي رغباتها .. أقتربت منه أكثر و أنا أنظر داخله : و ماذا عنك ؟ من إخترت و مع من تحالفت ؟!

صدمته أسئلتي فأجاب بارتباك : أنا ؟! طالما أردت الإبتعاد عنها !

ليس لإنجاب الإبن فقط كما قد تظنين و لكنني أردت الحب الذي لم أشعر به أبدا معها..

تلعثم مرة أخرى و هو يحاول أن يخفي عينيه الدامعتين: و لكنها تدفع ثمن شرورها الآن ..

إنه العقاب عن كل الآلام التي تسببت بها لإشخاص كثيرين!

لم أعد أستطيع أن أكذبه فكنت أشعر بصدق كل كلمة ينطقها ، إرتميت بين أحضانه ، أحاول الهرب من كل العالم من حولي ، نعم إرتميت في حضن أحد قتلة أسرتي لأهرب من شعور الإنتقام الذي لازمني طوال حياتي حتى قاطعنا صوت شهقة هدية ، نظرت لها لأجد الإستنكار على وجهها ..

و في غرفتي قالت هدية بعتاب و لوم : ما الذي رأيته هذا ؟ وقفت أتطلع للخارج من النافذة دون أن أجيب فاقتربت مني وقالت : هل غرر بكِ ذلك القاتل ؟!

نظرت لها مستنكرة : بالطبع لا !

قالت بإندهاش : إذن لماذا ؟ كيف ؟! أليسوا هؤلاء هم قتلة اسرتك ؟! أليسوا هؤلاء من قضيتي حياتك تسعين للإنتقام منهم ؟!

أجبتها بضعف : هو ليس مثلهم ..

ضربت على صدرها : ليس مثلهم !

لا سالينا أنا خائفة عليكِ !

يكفي ما مضى من سنوات معهم ، لقد وافقتك كل هذه السنوات لأنني شعرت إن لن يقف في طريقك شئ يمنعك عما تريدين ! لكنكِ وقعتي في شباك أحد قتلة عائلتك ، تعرضين نفسك للهلاك مع سحر ذلك الوحش ..

وجدت نفسي أبكي فكلامها صحيح فأنا أشعر بالضياع و التعب ..

حضنتني و هي تبكي : يكفي ما مضى ! لا داعي للمزيد ! عودي للعيش في الأسكندرية ، لديكِ ميراثك و أموالك و كل أصدقاء عائلتك ليساندوكِ ، سأبقى دائما أختك و خادمتك .. نظرت لها بإمتنان لوجودها ، لولاها لما بقى في الحياة شخص يشعرني بالأمان و قلت: دعيني أفكر..

في المساء سمعت صوت غرابي الوفي ، ينعق بصوت تردد صداه في كل مكان ، إتجهت نحو الشرفة و رأيته يقف على تلك الشجرة التي

توسطت الحديقة ، بدت متوهجة عكس كل الأشجار الباقية ، ناديت الغراب و لكنه لم يأتي ، استمر في النعيق فنزلت للحديقة ذاهبة نحوه و فجأة ظهر يزيد تحت الشجرة يشير بيده ليحذرني ، لكن صوّان ظهر من خلفه ، في يده سكيناً ذبحه به ، صرخت و عدت أركض نحو البيت ، لكنني وقعت في حفرة عميقة نظرت بالأعلى رأيت منصورة تضحك مرددة : لن تنتصري أبداً ..

ثم رأيت بناتها حولها ، بدأن في ردم الحفرة علي و أنا أصرخ و أصرخ و أصرخ ..

حتي مسكتني من كتفي ، هدية التي كانت تنام بجانبي و هي تقول مذعورة : إستيقظي حبيبتي !

أنا هنا بجانبك ..

∞

"الوصية"

لم تنسى هدية يوم صفعتها منصورة و أسقطتها أرضاً ، نعتتها بالجرباء منذ عشر سنوات مضت ، فهي لم تشعر يوماً بالمهانة و الذل كما شعرت في ذلك اليوم ، لذلك أحضرتها لتعتني بمنصورة التي لم تتذكرها على الإطلاق ، كنت أعرف إنه ستأتي اللحظة التي تنتقم فيها هدية لكرامتها ، لم تكن منصورة تستطيع الحركة خارج نطاق غرفتها بسبب الأورام الغريبة التي أصابتها ، كانت نوبات الألم تهاجمها بشكل يومي و لم يكن يريحها سوى وجود هدية التي تحولت لدواء مؤقت أدمنته منصورة و السر في ذلك المحلول الذي أعطاني إياه صوّان ...

في ذلك اليوم أصيبت منصورة بنوبة جديدة ، بدأت في الصراخ وقفت هدية تتطلع إليها دون أن تتحرك بينما كانت منصورة تتوسل لها حتى تفعل ما تفعله كل مرة لتزيح عنها الألم ، أقتربت منها هدية ، مسكتها من ذراعها بكل قوتها و هي تقول : ساعديني ! ساعديني !

أزاحت هدية يدها عنها و قالت : أساعدك ؟! من أنا حتى أساعدك!

حدقت فيها منصورة بينما أضافت هدية : منذ عشر سنوات جئتي لمنزل سيدتي أولينا رحمها الله !

تجمدت منصورة في مكانها بينما إستمرت هدية : نعم ! أنا الخادمة

التي كانت تعمل بالمنزل ، لم أُهان يوماً من أي شخص من أصحاب المنزل بل كنت فرداً منهم !

أحضرت هدية مقعداً ، وضعت أمام منصورة و جلست تقول : يوم جئتي لتروعي هذه العائلة التي لم تؤذي مخلوقاً طوال حياتها !

هل تذكرين الآن ؟!

أنا من صفعتيها و وصفتيها بالجرباء !

حاولت منصورة النهوض و إخراج الوحش الكاسر المتعالي بداخلها ، لكن الألم كان أقوى منه فضحكت هدية و هي تتأملها بسخرية : أتدركين من هي الجرباء الآن ؟!

بدأت منصورة في صراخ جنوني بشكل متواصل ، ركضت نحو الغرفة لأجدها تنظر لي بتلك النظرة الشيطانية و هي تقول بفحيح : أنتي .. من فعلت كل هذا.. سأقضي عليكي !

صعدت خادمتان من أسفل عندما سمعتا صرخاتها ، لكنني صرفتهما ، كانت أول مرة أرى فيها منصورة ، أشعر بالضعف أمامها ، نعم لم أشعر بالضعف و هي في قمة قوتها بينما أشعر به الآن و هي بالكاد تتحرك !

جذبت (هدية) من يدها و سألتها : ماذا فعلتي ؟!

أجابتني : أخبرتها من أنا !

أجبتها : كان عليكي الإنتظار!

أجابتني : لماذا؟! لقد مضى أسبوعان منذ أن جئت و أنا أراكِ تعانين من الكوابيس كل ليلة ، لقد وافقتك على الإنتقام كل الأعوام الماضية فهم يستحقون أشد العقاب لما فعلوه !

لكنني لن أقف أشاهدك إذا كان ذلك الإنتقام سيقضي عليكِ معهم !يكفي ما حدث لها !

هل لاحظتي أن بناتها لم تتحركن من غرفهن حتى عندما صرخت ،

هل لاحظتِ كم أصبحت تصرفاتهن غريبة منذ أن أتت تلك المرايا !

دعينا نترك المكان و نرحل قبل أن تلحقنا لعنته !

وجدت نفسي صامتة أمام كلامها ، أصبحت عاجزة عن التفكير و الجدال . .

في الصباح الباكر حزمت هدية كل أغراضنا ، تركنا المنزل بعد أن تركت رسالة ليزيد مع أحد الخدم لتسليمها له تقول :

(إنني بحاجة لقضاء بعض الوقت في الأسكندرية) . .

بالفعل إستقلينا القطار المتجه نحو الأسكندرية ، لم أشعر كيف فعلت ذلك !

إنما تركت نفسي لهدية الوحيدة التي أستطيع أن آتمنها على حياتي . .

إتجهت مباشرة لمنزل ديمتري صديق والدي ، الوصي على أملاكي ، داوم

على الحفاظ عليها بكل إخلاص ، إستقبلني هو و زوجته بكل ترحاب رغم زيارتي المفاجئة ، ذهبت هدية لرؤية أشقائها بينما قضيت الليلة كلها أنظر للمرآة التي لم أعد أرى فيها أسرتي !

هل هجروها لأنهم غاضبين مني ؟! أم هجروها لأنهم يحبونني ؟!

و هل كانوا يكرهونني كل الأعوام السابقة ؟!

هل رغبتي في الإنتقام كانت سبب بقائهم في مرآتي؟! و عندما إهتزت تلك الرغبة تركوني و رحلوا ؟!

هل أرادوا فعلاً أن أنتقم لهم ؟! أم أرادوا حمايتي فقط ؟!

هل إطمئنوا الآن بعدما بعدت عن دائرة الشر؟!

هل كنت آكل من شجرتي المحرمة طوال حياتي دون أن أدري ؟!

أم حبي ليزيد هو الشجرة المحرمة الحقيقية ؟!

مع كل سؤال كنت أجد النفي و الإيجاب ! . . الشئ و نقيضه !

في صباح اليوم الثالث خرجت نحو البحر، نقطة البداية في حياتي ، وقفت أتأمله و مسامير تساؤلاتي تدق في رأسي ، وجدت نفسي ذاهبة لمنزلنا القديم ، كنت بحاجة لأن أسترجع أفراحي مثلما أحتفظت بأحزاني !

رافقني غرابي الوفي كالعادة الذي إستقر على شجرتنا التي حملت

أفراحه و أحزانه هو الآخر، فتحت المنزل و تجولت في أرجائه ، سمعت أصوات الضحكات التي طالما ملأت المكان ، رائحة الياسمين مازلت أشمها تبعث من أركان المنزل ، نغمات البيانو مازال صداها يتردد عبر الجدران ، إبتسمت و كأنني عدت طفلة تلك الأيام و كأنني لم أعش لحظة من بعدها !

إلى أن مرقت أمام تلك المرآة التي لم أرى فيها سوى وجه قبيح عيناه تدمي شرا،فجأة إنقض علي خارجا من المرآة !

إنتفضت ، فتحت الباب أركض كما فعلت في تلك الليلة المشئومة إلا أن أدركت ، و أنا في وسط الحديقة إنني عدت شابة تعيش في زمن آخر لا ينتمي لذلك الزمن !

خرجت من منزلنا و اتجهت للمرحلة الثانية في حياتي ، منزل آلماس و قاسم ، المنزل الذي نمت فيه كراهيتي لهم ، شهد أول خطواتي في الإنتقام ، فيه قتلت آلماس و كُسرقلب قاسم للأبد.. بمجرد وصولي للمنزل رأيت قاسم جالساً في الحديقة ، لقد مر أكثر من عام منذ آخر مرة رأيته ، إقتربت منه قائلة : صباح الخير..

أخذ لحظات ليدرك وجودي بالفعل أمامه و هو ينظر لي كأنني حلم أو خيال ثم قال : سالينا !

فتح يده ذراعيه مرحباً ، عانقته و أنا أقول : كيف حالك ؟! أجابني : انا بخير! أو كما ترين اجلس وحيداً منتظراً للحظة التي سأرحل فيها

للقاء حبيبتي !

دمعت عينيه فجلست أمامه : هل لا زالت تشعر بالحزن على فراقها ؟!

تجمدت ملامحه كأنه يستنكر سؤالي قبل أن يجيب : لم تكن زوجتي فقط ، إنما كانت كل حياتي كما تعلمين !

كيف أعيش بعد أن فقدت حياتي ؟!

لأول مرة أشعر بصدقه ! .. لأول مرة أتعاطف مع آلامه ! .. لأول مرة أراه مثال حقيقي للإخلاص و الوفاء! ...

مديت يدي و إلتقطت يده و أنا أنظر داخله : اتفهم حزنك جيداً ! فأنا أيضاً لم استطع التغلب عليه منذ أن فقدت عائلتي !

إرتعشت يده داخل يدي بمجرد ما ذكرت عائلتي فأضفت بصوت يفيض باللوم : لابد أنك تفهم الآن ما شعرت به طوال هذه السنوات !

إرتعشتا عيناه و هربتا بعيداً ، فقمت من على المقعد و وقفت أمامه و انا على وشك الهجوم عليه : هل كان الأمر يستحق كل هذا الصراع ؟!

إنتفض و هو ينظر لي متسائلاً فأضفت بحدة : أنسيت ؟! أنسيت عندما سرقتم نصيب أبي في الأرباح ؟ أنسيت عندما تحديته ؟ أنسيت عندما جاءت آلماس و منصوره لتهديدنا ؟

هم بالإجابة و لكن شُل لسانه عن النطق بكلمات واضحة فاستمريت : بالطبع نسيت ! و نسيت كيف قُتلت عائلتي بكل وحشية و بلا رحمة !

بدأ يتنفس سريعاً و كأنه يلهث و هو يقول : لقد كان شيطاناً يحاول أن يوقع بيننا !

لكن تعرفين كم كنا أنا و آلماس نحبك و نحب عائلتك !

إبتسمت ساخرة قبل أن أقترب منه برأسي : لقد أخبرنا القاتل إنكم أنتم من ارسلتموه !

صعق قاسم ، بدا و كأن قلبه سيتوقف عن النبض و هو يقول بصعوبة : كذب ! كذب ! أبداً ! لم نكن أنا و آلماس لنفعل ذلك الفعل البشع بكم مهما كان الخلاف بيننا ! مستحيل !

وقفت أتطلع عليه و أنا أشعر بصدق كلامه !

هل يمكن أن يكون محترف في الكذب لهذا الحد أم لم يكن هو و آلماس شركاء في تلك الجريمة !!

هل لو كان كان الإحتمال الثاني صحيحاً، هل قتلت أنا آلماس بلا ذنب ؟!

قام من على مقعده و على وجه تأثر بالغ : لم نتمنى أنا و آلماس سوى الإنجاب ، كنا نظن إن والديكِ كانا يسحران لنا حتى لا ننجب طمعا منهما في الإستحواذ على كل شئ !

سيطر علينا الغضب و لذلك تلاعبنا في الأرباح لنعاقبهما و كان ذلك أسوأ ما يمكن أن نفكر فيه و لم يكن لنا أي صلة بمقتلهم ... وقف ينظر لي و هو يلهث للحظات ثم قال بصعوبة : هل..كنتِ تعتقدين إننا من

.. قتلوا إسرتك ؟! هل كنتي .. ترغبين في .. الإنتقام ؟!

آلماس.. هل.. هل ؟!!

شلتني الصدمة للحظات ، قبل أن أركض للخارج هاربة منها و تركته خلفي يترنح ممتقع الوجه ، إذا لم يكن لقاسم و آلماس علاقة بما حدث ! من له علاقة إذن ؟!

صوّان قال إنهم جميعا شركاء ! هل يكذب صوّان ؟ هل كان يزيد شريكاً بالفعل ؟

هل حبي له أوهمني بالعكس ؟ هل فعلتها منصورة وحدها ؟!

هل لم يكن لأي منهم علاقة بما حدث ؟!

هل سقطت فريسة لشجرة الأوهام ؟!

هل أصبحت أنا الوحش الكاسر بعد كل ما فعلته ؟!

عدت إلى منزل ديمتري ، وقفت أمام البحر مرة أخرى منتظرة أن تطفو على سطحه إجابات لتساؤلاتي إلى أن سمعت صوت هدية من خلفي تناديني و هي تقول: أين كنتِ يا سالينا ؟

لقد قلقت عليكِ !

إبتسمت إبتسامة شاحبة تبعتها نوبة بكاء ثم سقطت على صدرها ..

حاولت هدية معرفة ما يزعجني ، لم أقوى على الكلام و لذلك أصرت

على المبيت معي للإطمئنان عليّ ، في الصباح أصريت أن تعود لأشقائها ، بينما طلبت من ديمتري أن نتحدث سوياً و بالفعل جلسنا نشرب الشاي معاً : عمي ديمتري أقدر لك كل محبتك و رعايتك لي و لأملاكِ طوال السنوات الماضية ..

إبتسم بوقار و هدوء : هذا أقل ما أستطيع فعله ! أنتي لا تعرفين كم كان والدك صديقاً مقرباً لي !

أخذت رشفة من فنجان الشاي و أنا أستمع إليه ثم إبتسمت : و لهذا لا يوجد أنت الوحيد الذي يمكنني الوثوق فيه ..

عدل ديمتري من جلسته و بدا عليه الإهتمام : بالطبع.. لكن لماذا يبدو عليكِ الحزن ؟

رسمت على وجهي إبتسامة عريضة : لا! لقد تذكرت عائلتي فقط .. أنا أريد أن أكتب وصيتي ..

وضع ديمتري فنجان الشاي جانباً ، ثم قال بدهشة شديدة : وصيتك ؟! ألست صغيرة جدا لكتابة وصية ؟!

أجبته : تُكتب الوصية لأهميتها و ليس لعمر صاحبها !

عقد حاجبيه متوتراً: هل هناك ما يخيفك ؟ هل هناك من يزعجك؟

أخذت رشفة أخرى من الشاي و أنا أجيبه ببساطة : أبداً ! أشعر بالرغبة في كتابة وصيتي دون سبب محدد !

قاطعني : و لكنك صغيرة !

أجبته بحزم : إذن فلتكن وصياً على وصيتي ! ساعدني على تحقيقها ! تأكد من نفاذها إذا آن أوانها ..

حاول أن يقاطعني فأضفت بإصرار : أريد أن تذهب كل أملاكي لهدية بعد وفاتي !

رفع حاجبيه مصدوماً ، حاول أن يعلق فأسرعت قائلة : أرجوك لا تجادلني .. فقط جد الطريقة التي تضمن بها أن ترث هدية كل أملاكِ بعد موتي !

لم تدرك كم من الوقت مر و هي تسترجع كل ما سبق ، طوت سالينا آخر صفحة كتبتها في دفترها ، ثم تأملت الصفحات البيضاء القليلة المتبقية و هي تتسائل إذا كان عدد هذه الصفحات يمثل الأيام المتبقية في حياتها أم إنه آن الآوان لتستبدله بدفتر جديد ..

في باكر اليوم التالي كانت قد إتخذت قرارها بالرجوع إلى القاهرة ..

∞

" صفحات لم تُكتب "

عادت سالينا إلى القاهرة بدون أن تخبر هدية ، كان قد مر خمسة أيام منذ أن ذهبت للأسكندرية ، و منذ لحظة دخولها من البوابة الخارجية لمنزل منصورة شعرت بالإنقباض كأن هالة من الخوف قد أحاطت المكان ، لم يكن حارس المنزل موجوداً على بوابته للمرة الأولى ، دخلت من باب المنزل الذي وجدته مفتوحاً ، تلفتت حولها فلم تلحظ أي حركة في المكان ، نادت على الخادمات فلم يجيبها احد ، دخلت المطبخ فوجدته خاويا لأول مرة ، عادت للصالة المهجورة مرة أخرى و التوتر يلاحقها بإصرار إلى أن سمعت أصوات حركة بالطابق العلوي بدت كضربات في إيقاع منتظم ، اقتربت نحو السلم لتتبين الصوت الذي توقف للحظة سرعان ما تبعتها صوت صرخات ثائرة فابتعدت بفزع خطوتين للوراء ، عادت لتصعد السلم بخطوات مترددة حتى وصلت للطابق العلوي ، بدأ الصراخ مرة أخرى و قد إختلط بأصوات أخرى تردد كلمات سريعة بصوت جهور يشوبه الإنفعال ، إقتربت من الغرفة الأولى غرفة جلبهار و فتحت بابها لترى كل ما في الغرفة ملقى على الأرض و كأن معركة عاتية دارت بالغرفة ، تعالت الاصوات بينما إختلطت بها كلمات غير مفهومة مع صرخات غاضبة مع أصوات الإرتطام العنيفة التي جاءت من الغرفة الموجودة في نهاية الممر ، هي تفتح غرفة نهر و نور لتراها مقلوبة رأساً على عقب مع آثار دم موجودة على الأرض فخرجت

مسرعة و في تلك اللحظة فُتح باب الغرفة الموجودة بنهاية الممر ، كأنه خُلع من مكانه و أندفعن البنات خارج الغرفة ، بالكاد تبينت سالينا ملامحهن ، فقد كانت أول مرة تراهن بهذا الشكل المخيف ، شعرهن مبعثر و ملابسهن ممزقة ، كانوا يركضن ناحيتها على بعد أمتار قليلة منها ، تجمدت في مكانها إلى أن إقتربن و وقفن حولها ينظرن لها ، كأنهن يكتشفونها لأول مرة ، كانت عيونهن زائغة ، كأنهن لم ينمن لفترة طويلة و نظراتهن عجيبة ، بدت على وشك أن تفقد آدميتها ، ظهر خلفهم يزيد ، يبدو منهك القوى و حوله أشخاص آخرين يبدو من مظهرهم إنهم سحرة ، سادت لحظات من الصمت و الترقب لم يقطعها سوى صوت يزيد الذي اختلط فيه الشوق بالخوف و هو يقول : سالينا !

بعد لحظات من إستكشاف البنات لسالينا كأنهن وحوش تبحث عن فريسة ، تركونها و ذهبن إلى غرفهن ، إندفع نحوها يزيد ليحتضنها قبل أن ينهار بكاءاً ، إستسلمت له سالينا و عيناها تدمعان هي الأخرى ، لم تكن تحتاج لتفسير، فما حولها هو نتاج الإنتقام الذي عاشت تسعى له ، ما حولها هو ثمار الأشجار المحرمة التي روتها بدمها في عالم صوّان السفلي ..

إنصرفوا السحرة مسرعين ، على وجوههم علامات الإرهاق و الإستسلام ، إستمر يزيد في بكاءه على صدر سالينا التي رفعت رأسه قبل أن تقول له : ماذا حدث ؟!

حاول يزيد السيطرة على دموعه قبل أن يقول بصوت مختنق : لقد

جنوا ! .. نعم ! .. جنوا ! .. كأن لعنة أصابتهن !

على مدار الأيام السابقة بدأن يتصرفن بغرابة شديدة !

في البداية بالغن في مظهرهن و زينتهن ، ثم بدأن في الإنعزال داخل غرفهن ، و من يحاول الإقتراب منهن يقابلونه بعنف شديد مثلما حدث مع الخادمة المسكينة التي حاولت ترتيب غرفة نهر و نور!

كادت تموت على أيديهما و كلاً منهما تصرخ إنها أجمل فتاة و لن تسمح لفتاة أخرى بالعيش !

توقف يزيد لإلتقاط أنفاسه المتلاحقة قبل أن يستدرك : سرور التي فقدت رقتها و براءتها و تخطت كل الحدود و بدأت في إغواء أي رجل تراه !

كما أن جلبهار أصبحت تتصرف بخشونة بالغة مثل الرجال و تهاجم أي رجل يعترض طريقها و كأنها تريد القضاء عليهم جميعا !

إستمر يزيد في إلتقاط أنفاسه ، عاد للبكاء مرة أخرى ، وقفت سالينا تتساءل هل هذا هو الإنتقام التي عاشت من أجله ؟! و لماذا لا تشعر بالراحة ؟!

لقد كان شعورها أبعد ما يكون عن الراحة ، إنما كان شعوراً بالألم و الندم و الخوف ، وقفت تنظر إلى يزيد الذي يبكي بحسرة على بناته حتى قاطعهما صوت منصورة التي وقفت عند باب الغرفة ، قد بدا شكلها أفضل من آخر مرة رأتها سالينا ، يبدو أن حالتها تحسنت بعد

أن تخلصت هدية من جميع قناني ماء الورد قبل أن تترك المنزل ، رفعت منصورة يدها و هي تشير نحو سالينا صارخة بصوتها المبحوح و عيناها المشتعلتين: أنتِ ! أنتِ من فعلتي بنا ذلك ! لن أتركك تعيشين بعد اليوم !

صرخ يزيد بإنهيار: كفى ! ألا يكفيكِ ما فعلتيه طيلة حياتك ؟! ألم تتعظي مما حدث لكِ ؟! نعم.. إنه العقاب الذي تستحقينه ..

ثم عاد للبكاء: و العقاب الذي أستحقه !

تجمدت سالينا و هي تنظر له ، إستند يزيد على الحائط منهك القوى و هو يقول : نعم أستحقه لأنني سكتُّ على حقدك و طمعك ! إنه العقاب لأنني لم أمنع أفعالك الشيطانية !

صمت و هو يلهث ثم ذهب نحوها و هو يصرخ : و الآن تتهمينها بإنها سبب كل الخراب و اللعنات التي أصابتنا ؟! صرخت منصورة و هي تمسك في ملابسه : أتجرؤ أن تدافع عنها ؟! و هي من قضت على بناتك !

أزاحها يزيد بكل قوته و هو يصرخ : كفى ! أنتِ من قضيتي عليهن !

سقطت منصورة أرضا بينما قال يزيد : هل نسيتي ما فعلتيه ؟! هل نسيتي عندما أوهمتينا جميعا بأن والداها يسحران لآلماس حتى لا تنجب ؟! ، و يسحران لنا أيضاً حتى لا ننجب الإبن ؟! ذلك السحر هو الذي تسبب في موت أبنائي من زوجاتي الأخريات !

لكن الحقيقة إنكِ كنتِ تغارين كلما رأيتي سعادتهم !

كنتِ تغارين من أمها لأن ما لديها كان يشعرك بالنقص الذي لن يملأه كل أموال الدنيا !

كنتِ تغارين من إعجابي بها !

كنتِ تغارين لأنهم إمتلكوا أشياءاً لا يستطيع الشيطان نفسه أن يوفرها لكِ !

خارت قوى يزيد و جلس على الأرض و هو يقول : إنه العقاب الذي أستحقه أنا أيضاً لأنني لم أقتلكِ بعدما عرفت بما فعلتيه بهم ! ثم نظر نحو سالينا التي تجمدت ملامحها تماماً قبل أن يضيف : لكنني لم أعلم أبداً إنها تنوي فعل ما فعلته ! أقسم لكِ !

لم أعلم أبداً إلا بعد ما نفذت فعلتها !

لقد عشت جباناً ! خائفاً أن أفقد حياتي ! أموالي ! بناتي ! لكنني لم أعلم بفعلتها !

ثم غطى وجهه بكفيه منهاراً ، نظرت له منصورة بإحتقار قبل أن تخطو مستندة على الحائط بإتجاه سالينا ، قد بدا الوحش بداخلها يحاول التغلب على ضعفها و هي تصرخ : كان يجب أن تموتي انتِ ايضاً ! سأقتلكِ !

هب يزيد من مكانه ، طوق رقبتها بيديه ، و هو يصرخ : أنتِ من يجب أن تموتي !

لن أسمح لشيطانة مثلك أن تقضي على ملاك برئ مثلها !

إنتفضت سالينا عندما سمعت يزيد يصفها بالملاك البرئ ! شعرت بالخزى و العار لأنها اكتشفت انها لا تختلف عن منصورة مهما اختلفت اسباب كل منهما عن الأخرى ، هزت رأسها و كأنها ترفض فكرة تشابهها مع منصورة ثم تلفتت حولها و كأنها سجينة تبحث عن الحرية ، إلتقطت ذلك التمثال الخشبي و ركضت به إلى إحدى الغرف حيث كانت سرور تجلس تتطلع داخل مرآتها منفصلة تماماً عن كل ما يدور حولها ، وقفت سالينا أمام المرآة و رفعت التمثال و ضربت به على المرآة التي لم تتأثر بتلك الضربة العنيفة مما صدم سالينا التي رفعت التمثال مرة أخرى ، ضربت المرآة ضربة أكثر عنفاً و مرة أخرى لم تتأثر المرآة بينما صرخت سرور صرخة جمعت بين الغضب و الألم و الجنون و هي تهجم على سالينا لتبعدها عن مرآتها ، في تلك اللحظة دخل يزيد ليخلص سالينا من أيدي سرور التي دخلت في نوبة من الهياج الذي يستحيل السيطرة عليه ، ركضت سالينا بعناد و إصرار نحو غرفة جلبهار التي كانت تقف أمام مرآتها هي الأخرى ، رفعت سالينا التمثال من جديد ، بدأت بالضرب على المرآة مرة و إثنتين و ثلاثة و هي تصرخ بغضب ، الأمر الذي أدخل جلبهار في نوبة هياج هي الأخرى دفاعاً عن مرآتها و هجمت على سالينا و أوقعتها أرضاً ، لكن سالينا قاومت و ضربتها بالتمثال حتى تخلصت منها ، قامت لتركض خارجاً بينما

كانت منصورة تصرخ في الممر ، تحاول الركض وراء سالينا التي دخلت غرفة نهر و نور و هي تبكي بعناد إمتزج بيأس و إصرار ، إمتزج بإستسلام لتحاول من جديد تكسير المرايا بينما هجمتا عليها نهر و نور بوحشية دفاعاً عن المرايا و في تلك اللحظات دخل يزيد محاولا تخليصها من جديد ، كانت منصورة قد فهمت أن السر في المرايا ، كأنها إستجمعت قوى العالم المضادة للسحر دخلت الغرفة ، بدأت بجذب إحدى المرايا حتى أخرجتها من الغرفة بينما كانت تدور المعركة ، عادت لتخرج المرآة الأخرى و لكن نهر و نور رأيناها و تركتا سالينا و يزيد ، هجمتا على أمهما التي صرخت : إحبسوهن ! يجب أن أتخلص من المرايا .

وبالفعل حاولا كل من سالينا و يزيد السيطرة على البنات حتى أخرجت منصورة المرآة الثانية ، دخلت غرفة سرور ، جذبت مرآتها مما زاد من هياجها و بدأت في جذب المرآة في الإتجاه المعاكس إلى جاء يزيد بعد أن حبس نور و نهر في غرفتهما و شل حركة سرور حتى أخرجت منصورة المرآة الثالثة و ركضت على غرفة جلبهار ليتكرر نفس الشئ ، كانت نهر و نور تضربان على الباب من الداخل بجنون و كأنهن وحوش عملاقة حبست في صناديق هشة حتى بدأن في تحطيم الأبواب بكل ما طالت أيديهن من أشياء صلبة ، حاولت منصوره إخراج مرآة جلبهار التي قاومتها بقوة شديدة و لكمتها عدة مرات و بصعوبة شديدة إستطاعت جذب المرآة للخارج بينما كان يزيد يحاول حبس سرور في حين شل الخوف سالينا ، وقفت مكانها تحاول السيطرة على جميع الصراعات التي تدور داخلها ...

هاجمت جلبهار أمها مرة أخرى لتستعيد مرآتها بينما قاومت سرور والدها في الوقت الذي نجحت كلاً من نهر و نور في تحطيم الباب و الخروج ، صرخت منصورة بجنون و هي تحاول أن تقف حائلاً أمام المرايا لتمنع البنات من الإقتراب : لن أسمح لكن ! عُدن إلى غرفكن ! هذا أمر!

بينما إقتربت جلبهار و كأنها لا تسمعها ، لا تهتم بما تقوله و لا تحمل عيناها سوى تلك النظرة المخيفة التي صبغت عيون البنات جميعاً ، أضافت منصورة و هي تصرخ بنبرة القائد المهزوم الذي يرفض الهزيمة : لا ! لا ! على جثتي !

أفلتت سرور من يد والدها ، قد زاد جنونها ، حاول أن يجذبها مرة أخرى و لكنها إلتقطت المزهرية و حطمتها فوق رأسه فسقط أرضاً ، الأمر الذي حرك سالينا من جمودها فأسرعت لتلتقطه بعيداً بعد أن سالت الدماء من رأسه ، بينما تكتلت البنات الأربعة أمام منصورة ، مدت ذراعيها و كأنها تسد الطريق أمامهن و هي تواصل صراخها الآمر لهن بالإبتعاد و عقلها يرفض الإعتراف إن من تراهن أمامها لسن بناتها المطيعات ، و بالفعل لم يتوقفن بل زاد إصرارهن ، هجمن عليها لإبعادها و لكنها تشبثت بالمرايا ، لم تمضي لحظات إلا و كانت البنات الأربعة تضربن منصورة بمنتهى الوحشية و العنف ، كأن لم يعد داخلهن أي مشاعر لأمهن ، بل لم يتبقى لديهن سوى الولاء لما تأمرهن به المرايا !

صرخت سالينا من هول المشهد الدموي الذي لم تتوقع يوماً رؤيته ، بدأت بجر يزيد بعيداً عنهن ، تسمع صوت منصورة يخفت تدريجياً قبل أن يصمت للأبد !

نزلت سالينا للطابق الأرضي ، تنتفض رعباً مما حدث ، أجلست يزيد على أول مقعد قابلها ، تحاول أن توقف دمه الذي يسيل من رأسه بينما لم يتوقف يزيد عن البكاء متحسراً على بناته و هو يردد منهاراً : لقد ضاع كل شئ ! ضاعت بناتي ! ضاعت بناتي ...

حاولت سالينا أن تلملم أنفاسها المتناثرة ثم ركضت للخارج ...

وصلت سالينا لمنزل صوّان و لم تدخله ، وقفت على بابه تنادي عليه بكل المشاعر الثائرة التي سيطرت عليها ، مشاعر الغضب ، اليأس ، الخوف و الضعف ...

قررت أن تبقى بالخارج في عالمها الأرضي على الجانب المنير منه ، ظهر هو آتياً من عالمه السفلي على الجانب المظلم منه ، بمجرد أن رآها في هذه الحالة سألها بلهفة : سالينا ماذا بكِ ؟! أجابته بغضب : لماذا لم تخبرني أن منصورة وحدها من دبرت مقتل عائلتي ؟! لماذا خدعتني ؟

أجابها بهدوء: و ما الفارق؟

هزت سالينا رأسها بإستنكار: الفارق ؟! فارق كبير!

لقد أصبحتُ مثلها .. و مثلك !

إقترب خطوتين ناحيتها ، قد إنتقل الإستنكار لوجهه : مثلي ؟! إبتعدت خطوة للوراء و هي تقول : نعم ! مثلك ! تعيش على أذى الأبرياء !

لقد دمرت بناتها ظناً أن كلا والديهم كانا شركاء في جريمة قتل عائلتي ! و أنت أكدت لي ذلك !

إبتسم صوّان إبتسامته الحنونة : هل كنتِ بإنتظار تأكيدي ؟! لقد كنتِ قد بدأتي إنتقامك منهم بالفعل !

كنتِ قد قتلتي آلماس و قهرتي زوجها من قبل أن نتقابل ! إختنقت أنفاس سالينا و كأن الندم يطبق كفيه على رقبتها : كان يمكنك أن تمنعني من الإستمرار!

إقترب صوّان خطوة أخرى و هو يقول : لماذا أمنعك ؟! لقد كنتِ تفعلين ما يريح قلبك المعذب ! لقد كانوا يستحقون جميعاً ما حدث لهم !

رفعت سالينا يدها في وجهه بإنفعال : لم يستحقوا ! لقد ظلمت أشخاص أبرياء!

وقف صوّان مكانه و قد عادت الدهشة على وجهه : أبرياء ؟! هؤلاء من ظلموا عائلتك من قبل !

أنتِ من إخترتِ الإنتقام منذ ذلك الحين !

من تقصدين بالأبرياء إذا كانت منصورة هي من تحمليها اللوم وحدها ؟!

بناتها اللاتي ورثن منها الأنانية و الحقد ؟ أم يزيد الذي لم يجرؤ يوما

على معارضتها ؟

إرتعشت عينا سالينا في تلك اللحظة بينما ضاقت عينا صوّان و هو يتفحصها قبل أن يقول : كل ذلك الغضب من أجل يزيد ؟! حاولت سالينا السيطرة على أنفاسها اللاهثة و هي تقول بلهجة آمرة : أريد أن أوقف اللعنة التي أصابت البنات !

تبدل وجه صوّان : فات الآوان !

البنات أكلن من أشجارهن المحرمة !

ألا تعرفين معنى ذلك؟!

لقد تغيرت رؤيتهن لأنفسهن و لمن حولهن و للعالم بأجمعه ! تبقت الثمرة الأخيرة لكل منهن !

الثمرة التي سترتوي بدمائهن !

لقد نالوا جميعا ما يستحقونه !

صرخت سالينا في وجهه بغضب يائس : من أنت لتقرر ما يستحقونه ؟!

أجابها بصرامة : و من أنتِ لتقرري ما لا يستحقونه ؟!

ثم مد يده إليها قائلاً : لقد فعلت كل هذا من أجلك ! و على إستعداد لفعل المزيد و المزيد !

إبتعدت خطوة أخرى للواء و هي تصرخ بغضب : أنا لا أريد المزيد منك ! و لا أريد معرفتك بعد اليوم !

ثبت صوّان لمكانه للحظات، كأنه صُدم قبل أن يقول : ليس بإختيارك ! إنه القدر الذي كُتب لنا قديماً !

هزت سالينا رأسها ، أشاحت بيدها قائلة : كفى ! أنت مجنون ! أجابها صوّان بصوت لم يرتفع بهذه الحدة من قبل : لست مجنوناً ! لقد كتب لقاءنا قديماً على رمال لم يلمسها إنس !

عشت أنتظر لحظة لقائك من قبل مولدك !

فعلت كل شئ لحمايتك !

حدقت سالينا به ، تنتفض من جنونه و إستدارت لتتركه فصرخ هو عليها قائلاً : أنا من أرسلت لكِ ذلك الغراب لحمايتك !

لم أتركِ يوما !

نظرت سالينا لغرابها الوفي بصدمة شلتها في مكانها ثم إستدارت لصوّان و هي على وشك الإنهيار: ماذا تقول؟ لو كنت فعلاً تسعى لحمايتي طوال حياتي ! لماذا لم تمنع مقتل عائلتي ؟!

لماذا لم تحميهم ؟!

مدّ صوّان كلا ذراعيه لها حتى لامسا ضوء النهار القادم من الخارج :

كُتب أن نجتمع معاً بعد أن ينقطع رباطك مع البشر و لا يصبح لكلا منا سوى الآخر!

شعرت و كأن عقلها قد توقف عن إستيعاب ما تسمعه ، لم يتوقف جسدها عن الإنتفاض و هي تستدير هاربة من عالمه . .

طوال الطريق كانت سالينا تنظر لصديقها الوفي انجلوس الذي رافقها طوال العشر سنوات الأخيرة ، و قد أنقذها من الموت يوماً ما !

هل لم يكن صديقاً حقيقياً كما ظنت ؟ هل لم يكن ملاكاً كما أطلقت عليه و إنما كان شيطان من شياطين صوّان ؟! هل كان وهماً مثله مثل كل الأوهام التي عاشتها ؟

عادت للمنزل لتجد هدية بإنتظارها على باب المنزل و الهلع يلتهمها بلا رحمة ، جلس يزيد بالداخل منهاراً كما تركته ، ركضت عليها هدية مذعورة : اين كنتِ ؟!

لم تجيبها فأضافت هدية و هي ترتعش : بناتها . . قتلوها !

بكت سالينا : نعم ! . . لقد رأيتهن ! . . لقد كنت مخطئة ! منصورة وحدها هي المسئولة عن مقتل عائلتي !

لم يكن أيا من الباقين شريكاً في جريمتها . .

لقد تعلمت أن الحقيقة لها وجوه كثيرة ، و ليس كل ما ندركه حقيقة !

قد يكون وهماً لا نرى حقيقته !

قد تكون الشجرة المحرمة التي أوقعتنا أسرى لها !

حدقت هدية بها و هي تعجز عن الرد ، تحاول إستيعاب ما تقوله سالينا قبل أن تضيف : لقد دمرتهم و أصبحت مثل منصورة ، أنا استحق الموت مثلها !

ضمتها هدية بشدة و قالت : لا سالينا ! .. بعيد الشر عنكِ ! .. لا تقولي هذا ! .. ألم نتفق أن نبتعد عن هذا المكان ؟!

نظرت سالينا ليزيد : عدت من أجله.. أنا احبه !

إنه الشئ الحقيقي الذي تبقى لي ! هل تظنين إنه سوف يسامحني ؟!

تجمد وجه هدية و هي تنظر برهبة في نقطة خلف سالينا التي إستدارت لترى صوّان قادماً للمنزل لأول و آخر مرة ...

أعترضت سالينا طريقه قائلة بغضب : ماذا تفعل هنا ؟!

تخطاها ، دخل المنزل و هو يقول بهدوء : جئت لأنهي الحكاية ! عقدت سالينا حاجباها ، تركض خلفه بينما دخل و تخطى هدية التي كادت أن تلتصق بالحائط من شدة خوفها منه ، وقف في منتصف الصالة ، أخرج مسحوقاً من ملابسه ثم نثره حوله على شكل دائرة بينما رآه يزيد و قام بصعوبة من على المقعد و هو يقول : من هذا ؟!

نظر له يزيد بهدوءه القاتل : إسأل زوجتك عني ! ثم ضحك ساخراً : أعتقد أنك لن تستطيع أن تتحدث معها !

فأنا أشم رائحة دمها ! ، طلبت مساعدتي للقضاء على كل من أرادت التخلص منهم ! لم تظن يوماً إنه سيأتني من يريد التخلص منها !

إرتعشت سالينا بين ذراعي هدية ، مسك يزيد رأسه و هو يصرخ بغضب : أنت الشيطان الذي تحالفت معه كل هذه السنوات ! ، إنقض على صوّان و بمجرد ما لامست قدمه المسحق المنثور إشتعلت نيران بحذائه وسط صرخات سالينا و هدية ، سرعان ما تخلص من حذائه ، ضحك صوّان ضحكة إرتجت لها جدران المنزل قبل أن يقول : ليس فقط زوجتك من تحالفت معي ! بناتك أيضاً !

ثم ضحك ضحكة أخرى إمتزجت فيها السخرية مع المرارة مضيفاً : و أخيراً و ليس آخراً . . سالينا !

صعق يزيد و هو ينظر لسالينا قبل أن يقول : كذب ! أنت شيطان !

تطلع صوّان له بنظرة خاوية و قال : و هي ملاك ؟! ، إنتفضت سالينا باكية و ضمتها هدية لتخبئها بين ذراعيها و يزيد يحول نظراته بينهم قبل أن يقول بصوت متحشرج باكي : سالينا ؟! أخرج صوّان من ملابسه شيئاً بدا مثل بيضة صغيرة ضمها بكلا كفيه ، ثم وضعهما أمام فمه و أغمض عينيه ، بدا كأنه يهمس بكلام غير واضح للحظات تجمد الجميع فيها إلا أن رفع يديه لثواني ثم قذف البيضة لتطير لأعلى لمسافة قصيرة قبل أن تنخفض و يضرب بكلا كفيه عليها بقوة لتتحطم كاشفة عن دخان أبيض خرج منها ، بدا للجميع كأنه يتوجه نحو الطابق،

الأعلى و لم تمضي لحظات من الصمت المخيف حتى قطعتها صرخات عنيفة آتية من غرف البنات ، ركض يزيد و خلفه سالينا و هدية حيث كانت جلبهار تقف في غرفتها أمام مرآتها ، في يدها سكيناً تضعها على رقبتها ، صرخ يزيد و ركض ليمنعها و لكنها إلتفتت له بتلك النظرات الغاضبة ، ضربته بالسكين فأصابته في ذراعه ، صرخت سالينا و جذبته بعيداً بينما كانت هدية تصرخ و هي تقف عند غرفة سرور حيث وقفت هي الأخرى و بيدها سكيناً وجهته إلى صدرها ، في غرفة نهر و نور وقفت كل منهما و بيدها سكيناً أمام مرآتيهما ، حاولت هدية أن تتحدث مع سرور لتمنعها مما تنوي فعله و لكنها بدت و كأنها لا تسمع حرفاً واحداً مما تقوله هدية التي حاولت الإقتراب ، لكن سرور إنقضت ناحيتها ، كادت أن تصيبها فركضت هدية خارج الغرفة ، أما يزيد فقد أمسك ذراعه المصاب ، يواصل صراخه محاولاً منع جلبهار هي الأخرى ، وقفت سالينا تنظر بيأس إلى نهر و نور ، إلتفتت كلاً منهما إلى الأخرى و رفعت يدها بالسكين لتوجهه للأخرى و في نفس اللحظة طعنت كل منهما الأخرى لتترنح كلتيهما من أثر الطعنة على مرآتهما قبل أن تسقطا على الأرض ، قد غطت دمائهما سطح المرايا التي سرعان ما اختفت و كأن المرايا تلتهم دمائهما بشراهة ، لقد تحولت الأشجار المحرمة إلى وحوش تسعى لإلتهام دماء ضحاياها ، وقفت سالينا تنظر إلى جثتي نهر و نور ، لم تحركها صرخات هدية و يزيد حيث كانت سرور في تلك اللحظة تطعن نفسها في قلبها لتروي مرآتها هي الأخرى بدمائها وسط صرخات هدية المتواصلة ، بينما كان يزيد يصرخ على

جلبهار التي ذبحت نفسها أمام مرآتها ، لتلتهم المرآة دمائها المتناثرة على سطحها ، لم يتوقف يزيد عن الصراخ و هو يركض بجنون عائداً إلى صوّان الذي وقف هادئاً داخل دائرته الحصينة ، إنقض عليه كأعصار لن يوقفه شياطين الأرض جميعاً ، لكن سرعان ما إشتعلت النيران بيزيد الذي أحاط صوّان بكلا يديه و هو يصرخ من نيران قلبه المشتعل التي لم تشعره بالنيران التي إلتفت حول جسده وسط صراخ سالينا التي ركضت لتبحث عن شيئاً تطفئ بها النيران التي تلتهم جسده ، فشلت محاولات هدية لإيقافها فبدأت بالضرب على ظهر صوّان في محاولة يائسة لسحبه خارج دائرته الحصينة ، أنهكت النيران قوى يزيد فدفعه صوّان بعيداً ليستقر أرضاً و بدأت النيران في التكاثر و الزحف حوله وسط صرخات سالينا و هي تجذب أحد الستائر لتغطي بها جسد يزيد لترى غرابها يقف خارج النافذة ينظر إليها بنظرة إختلط بها الخوف بالغضب ، كانت هدية مازالت تضرب على ظهر صوّان الذي إستدار لينقض على رقبتها و يعتصرها حتى تحشرجت أنفاسها ، صرخت سالينا صرختها الأخيرة و هي تندفع ناحيتهما ، الصرخة التي أشعلت نيران غضب غرابها و جعلته يتغلب على خوفه من سيده فهجم داخل المنزل لينقض على رأس صوّان لتسقط هدية من بين يديه و هي تلتقط أنفاسها التي كادت أن تنقطع عنها إلى الأبد ، تصلبت سالينا أمام مشهد المعركة بين الغراب و سيده مشهداً مهيباً ذكرها بمشهد مشابه ليلة مقتل عائلتها لكنه لم يوقفها عن الإنقضاض على صوّان الذي دفعها بيده كإعصار لا يرحم دفعها عدة أمتار قبل أن تسقط على رأسها و تفقد الوعي ، حاولت

هدية بإصرارأن تصل إليها ، لكن غلبها وهن أنفاسها المتقطعة التي إختنقت بدخان النيران التي إلتفت حولها ، في تلك اللحظة حُسمت المعركة بين الغراب و صوّان حيث قام الأخير بضربه الضربة القاضية التي أسقطته أرضاً لا يتحرك ، كانت نهاية المشهد الذي رأته هدية هو صوّان حاملاً سالينا ، عائداً بها لمنتصف البهو داخل دائرته الحصينة وسط النيران التي صبغت المشهد بألوانها المتوهجة بينما كان الدخان المنبعث يقضي على ما تبقى من أنفاسها ، فجأة لم تعد ترى صوّان و هو يحمل سالينا ، كأنهما تلاشا تماماً من المشهد ، لم يتبقى سوى النيران التي كانت آخر ما رأته قبل أن تفقد الوعي و هي تتساءل :

هل هذه هي النهاية ؟!

∞

" وجهان و أربع قلوب "

كان القمر مكتملاً و قد غطت ضياءه الرقيقة على جميع الأنوار العشوائية المنبعثة من السيارات و المباني و المحال التجارية ، يبدو أن الجو البارد الذي سيطر على كافة أنحاء البلاد قد أدّى إلى حالة من الهدوء الذي إنتصر إخيراً على ضوضاء المدن في واقعة لا تتكرر كثيراً في زماننا ، زاد المشهد من جمال القمر و تألقه ، أضاف طابعاً رومانسي قادراً على مغازلة قلوب السهارى و تهدئة عقول الحيارى ...

إلا أربعة أماكن سَكنتُهم حالة معاكسة تماماً ، لم يفلح القمر المكتمل في مداعبتهم بل فجر غضبهم .. يأسهم .. تمردهم .. خوفهم ...

أربع أشخاص لا يعرف أياً منهم الآخر، لا تربطهم أي صلة على الإطلاق، لم تجمعهم صدف العالم كله من قبل ، حتى أسباب تعاستهم إختلفت من شخص إلى الآخر...

من يرى المشاهد الأربعة سيظن إن ليس هناك رابط بينهم سوى ذلك القمر الذي حمل لهم وجه ثاني مقبض لقلوبهم ، يتناقض مع وجهه الأول الوديع الذي سحر به قلوب ملايين البشر في تلك الليلة ....

لكن من سيتمهل ليتأمل المشاهد الأربعة جيداً ، يغوص في تفاصيلها ، ليرى روابط أخرى بينهم غير ذلك القمر اللعين !

من يقترب من المشاهد الأربعة سيرى وميض يعلن عن عودته لم تعكسه أضواء القمر...

من يقترب أكثر سيرى مرآة مألوفة في كل مشهد من المشاهد الأربعة ..

مرايا تبدو و كأنها عادت للحياة بعد أن سقطت في غيبوبة إستمرت لقرابة المائة و ثلاثون عام !

مرايا كتمت أسراراً لا يعرفها أحد غيرنا ..

مرايا رأت شروراً لن يتخيلها أحد إلا نحن ..

مرايا عُقدت بلعنة لن ينجو و لن يُحَل منها أحد !

لم يكن لدى الأشخاص الأربعة أى دراية إنهم إشتركوا جميعاً بدون علمهم في إعادة تلك المرايا للحياة ، بعد أن حاول القمر وحده كثيراً إتمام هذه المهمة ...

إنتفضت القلوب الأربعة في نفس اللحظة عندما ومضت مراياتهم و هي تعود للحياة ، كان القمر يجلس بوجهه الثاني يستمتع بمشاهدتهم مثلما يستمتع العشاق بمشاهدة وجهه الآخر ....

هل هذه هي البداية ؟!

∞

شكر خاص

لكل من ساهم في إصدار الشجرة المحرمة و بالأخص

دار نشر زيرو وان و مالكها الاستاذ محمد السحار الذي تحمس للرواية فورا و اعطاها إهتماما خالصا

مصمم الجرافيك الموهوب محمد حاتم الذي لم يبدع فقط في تصميم الغلاف و إنما كان أول قارئ للرواية على الإطلاق

الروائي هاني محيي الذي لم يبخل بنصيحة و كان همزة الوصل بيني و بين دار النشر

أخيرا و ليس آخرا

سالي شاهين فهي ليست مذيعة متألقة فقط و إنما كانت الصديقة العزيزة التي دفعتني لكتابة الرواية عندما كانت مجرد فكرة

****

في حالة وجود أي شكاوي من جودة طباعة الكتاب يرجي التواصل
معنا عبر صفحتنا الرسمية بال Facebook

" زيرو وان للنشر و التوزيع Zero one "

او عبر التليفون : 01090288777 - 01285829109

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعّبر بالضرورة عن رأي الدار.